وقالَ الراجزُ يصفُ غيمًا :

أَقْبَلَ فى المُسْتَنِّ من رَبابِهِ   أَسْنِمَةُ الآبالِ فى سَحابِهِ

أراد : أَن ذلك السحابَ يُنْبِتُ ما تأكله الإبلُ، فتصيرُ شحومُها فى أسنمتها.

« والرَّبابُ » سحابٌ دُوَيْنَ المُعْظَم [illegible] حاب . قال المازنىُّ(١) :

كأَنَّ الرَّبابَ دُوَيْنَ السَّحابِ   [illegible] بالأَرْجُلِ

وقوله جل وعزّ : «إِنِّى أَرانِى أَعْ[illegible] عِنَبًا»(٢) فيصيرُ إلى هذه الحالِ .

وقال زُهَيرٌ :

كأَنَّ فُتاتَ العِهْنِ فى كلِّ مَنْزِلٍ   [illegible] حَبُّ الفَنا لم يُحَطَّمِ

« الفَنا » شجرٌ بعينه ، يُثْمِرُ ثَمَرًا أحمرَ ، ثم يتفرّق(٣) فى [illegible] النَّبْقِ الصِّغار . فهذا من أحسن التشبيه . وإنما وصفَ ما يسقُطُ من أنماطِهِنَّ إذا نَزَلْنَ . و« العِهْنُ » الصُّوفُ المُلوَّنُ(٤) ، فى قولِ أكثرِ أهلِ اللغة ، وأما الأصمعىُّ . فقال : كلُّ صوفٍ عِهنٌ . وكذلك قال أهلُ اللغة : الحَنْتَمُ الخَزَفُ الأخضرُ ، وقال الأصمعىُّ : كلُّ خَزَفٍ حنتمٌ ، قال القُرَشىُّ(٥) :

مَنْ مُبْلِغُ الحَسْناءِ أَنَّ حَليلَها   بِمَيْسانَ يُسْقَى فى زُجاجٍ وحَنْتَمِ

(١) قال المرصفى : « هو كما ذكر الأصبهانى فى أغانيه : زهير بن عروة بن جلهمة ، الملقب بالسَّكْبِ ، شاعر جاهلى من أشراف بنى مازن وأشدائهم » .

(٢) سورة يوسف (٣٦) .

(٣) فى ج و س و د و ه . « ويتفرق » .

(٤) فى ج « الصوف المُزْرَقُ » . ولم أجد مايؤيدها فى كتب اللغة .

(٥) قال المرصفى : « هو النعمان بن عدى بن نضلة ، من بنى عدى بن كعب بن لؤى بن غالب » .

(١) الزيادة من ج .
(٢) الزيادة من ج و س و د .
(٣) سورة النور (٣٥) .
(٤) سورة الصافات (٦٥) .
(٥) سورة يونس (٣٩) .
(٦) فى ج و س و د و ه « على ضربين » .
(٧) «الأستن» بفتح الهمزة والتاء المثناة الفوقية بينهما سين مهملة وآخره نون . قال أبو حنيفة الدينورى : « الأستن ، على وزن أحمر : شجر يفشو فى منابته ويكثر ، وإذا نظر الناظر إليه من بعد شبهه بشخوص الناس » .
(٨) الزيادة من ه وكذلك ذكر البيت كله فى اللسان ، فى مادة (س ت ن) .

وزعم الأصمعىُّ أن هذا الشجرَ يسمى « الصَّوْمَ » . والقولُ الآخرُ ، وهو الذى يَسْبِقُ إلى القلب : أن الله جلَّ ذكرُه شَنَّعَ صورةَ الشياطينِ فى قلوب العبادِ ، وكأَنَّ ذلك أبلغُ[1] من المعاينةِ ، ثم مَثَّلَ هذه الشجرةَ بما تَنْفِرُ منه كلُّ نفسٍ .

[قال أبو العباس] : وحُدِّثْتُ ، وهو من [illegible] أن أبا النَّجْمِ العِجْلِىَّ[2] أنشدَ هشامَ بن عبدِ الملك[3] [أُرْجُ[illegible]ال][4] :

☆ والشمسُ قد [illegible] أفلا [illegible] حَوَّلِ ☆

لمّا ذهبَ به الرَّوِىُّ عن الفِكرِ [illegible] ، فأغضبَه ، فأمَرَ بطردِه ، [فطُرِدَ[5]] ، فأَمَّلَ أبو النجم رَجْعَتَهُ ، وأَقام يأوى المساجدَ[6] ، فأَرِقَ هشامٌ ليلةً[7] ، فقال لحاجبه : ابْغِنى رجلاً عَرَبِيًّا فَصيحاً يحادثُنى ويُنْشِدُنى ، فطَلَبَ له ما طَلَبَ ، فوَقَفَ على أَبى النَّجم ، فأَتَى ، فلما دُخِلَ به إليه قال : أَينَ تكونُ منذُ أَقصيناكَ ؟ قال : بحيثُ أَلْقَتْنى رُسُلُكَ ، قال : فمَنْ كانَ أبا مَثْوَاكَ ؟ قال : رجلين ، كَلْبِيًّا وتَغْلَبِيًّا ، أتغَدَّى عندَ أحدهما ، وأتعشَّى عند

(١) فى ج و س و د و هـ « فكان ذلك أبلغ » .

(٢) [illegible] « الفضل بن قدامة بن عبيد الله » وهو من رجاز الاسلام ال[illegible] بصرة . وهو [illegible] وفى الطبقة الأولى منهم ، كما قال صاحب الأغانى ، وله ترجمة عنده (ج ٩ ص [illegible] ساسى) وفى طبقات الشعراء (ص ٣٨١ ـ ٣٨٦ أوربة) . الرحمن بن حميد . وأما

(٣) فى ج و س و د « أنشد هشاماً » .

(٤) الزيادة من هـ .

(٥) الزيادة من د و هـ . وفى ج و س « فأمر به فطرد » .

(٦) فى ج و س و د « فكان يأوى المسجد » .

(٧) فى ج و د « ذات ليلة » .

الآخرِ ، فقال له : مالَكَ مِنَ الوَلَدِ ؟ قال : ابنتانِ ، قال : أَزَوَّجتَهما ؟ قال : زوَّجتُ إحداهما ، قال : فبِمَ أوصيتَها ؟ قال : قلتُ لها ليلةَ أهدَيتُها :

سُبِّي الحَماةَ وابْهَتي عليها   وإنْ أبَتْ فازْدَلِفي إليها

ثم اقْرَعي بالوَدِّ مِرْفَقَيْها[1]   وجَدِّدي الحِلْفَ به عليها

بذاكِ ابْنَيها *

قال : فأوصيتَها بغيرِ ... قلتُ :

أَوْصَيْتُ مِن بَرَّهْ ... بالكَلْبِ خيراً والحَماةِ شَرَّا

لا تسأمِي نَهْكاً لها[3] ... الحَيَّ عُمِّيهِمْ بِشَرٍّ طُرَّا

وإنْ كَسَوْكِ ذهباً ودُرَّا   حتى يَرَوْا حُلْوَ الحياةِ مُرَّا

قال هشامٌ : ما هكذا أوْصَى يعقوبُ ولدَه ، قال أبو النجم : ولا أنا كيعقوبَ ، ولا بنتي[4] كولَدِه ! ! قال : فما حالُ الأُخرى ؟ قال : [قد][5] دَرَجَتْ بين بيوتِ الحَيِّ ، ونفعتْنا[6] في الرسالةِ والحاجـةِ ، قال : فما قلتَ فيها ؟ قال : قلتُ :

---

(١) الز... بفتح الواو وتشديد الدال ، قال الجوهري إنه «الوتد في لغة أهل نجد ، كأنهم ... دغموها في الدال» .

(٢) الزيادة ...

(٣) ...

(٤) ... « قال : فهل قلت لها شيئا آخر » .

(٣) في هـ «لا تَسْأَمِنَّ نَهْياً لها وأمرا» .

(٤) في ج و د «ولا بَنِيَّ» .

(٥) الزيادة من س و د و هـ .

(٦) في ج و س و د «وتَنْفَعُنا» .

كَأَنَّ ظَلاَّمَةَ أختَ شَيْبانْ يَتيمــةٌ ووالِداها حَيَّانْ
الرأسُ قَمْلٌ كلُّه وصِئْبَانْ وليس فى الرِّجْلَيْنِ إلاَّ خيْطَانْ
٭ فَهْىَ التى يُذْعَرُ منها الشيطانْ ٭

قال : فقال هشامٌ لحاجبِه(١) : ما فعلت الدنانيرُ المختومةُ التى أمرتُك بقبضِها ؟ قال : هاهى عندى ، ووزْنُها خمسُ ... ، وهو ... ها إلى أبى النجم ليجعلَها فى رِجْل(٢) ظَلاَّمةَ مكانَ الخيْطَين.

أفلا تَراهُ(٣) قال : « فهْىَ ... » وإن لم يَرَه ، لما قُرِّرَ فى القلوب من نَكارَتِه وشَ...:

وفى البَقْلِ إنْ لمْ يَدْفَعِ اللهُ شَرَّهُ شَيا... يَعْدُو بَعْضُهُنَّ على بعضِ(٤)

وزعَمَ أهلُ اللغة أنَّ كلَّ متمرِّدٍ من جنٍّ أو إنسٍ [أو سَبُعٍ أو حيَّةٍ](٥) يقال له « شيطانٌ » . وأن قولَهم « تَشَيْطَنَ » إنما معناه : تخبَّثَ وتنَكَّرَ ، وقد قال الله جل وعزَّ : ﴿ شَيَاطِينَ الإِنْسِ والجِنِّ ﴾(٦) . قال الراجزُ :

أبْصَرْتُها تَلْتَهِمُ الثُّعْبانَا شيطانةٌ تَزَوَّجَتْ شيطانَا

وقال امرؤُ القيسِ :

... س و د و هـ « فقال هشام : ياغلام » .

(٢) فى ج و س و د « فى رِجْلَىْ » .

(٣) قوله « أفلا تراه » الخ ، هذا من كلام أبى العباس المبرد ، استدلالا على ... وضعه ... فى الآية .

(٤) فى ج و س و د وهـ « يَنْزُو بعضُهنَّ » .

(٥) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٦) سورة الأنعام (١١٢) .

بصرة . وهو لم...
الرحمن بن حميد
التهذيب . وأما
المصفى

أَتُوعِدُنِى والمَشْرَفِىُّ مُضَاجِعِى ... ومَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأَنيابِ أَغْوالِ

و «الغُولُ» لم يُخْبِرْ صادقٌ قطُّ أنه رآها .

ثم نرجعُ إلى تفسيرِ قولِ أبى النجم (١) :

قوله «سُبِّى الحماةَ وابْهَتِ[...]ليها» إنما يريدُ : ابهَتِيها ، فوضعَ «ابهَتِى» فى موضع «[...]صلها «بعلى» (٢) .

والذى يُستعمل[...]، لأنها لامُ الإضافة ، تقول : «لِزيدٍ ضربتُ» و «[...]عنى : عمراً أكرمتُ ، فإنما (٣) تقديرُه : إكرامى لعمرٍو ، [...]فأجرى الفعلَ مُجْرى المصدرِ .

وأحسنُ ما يكون ذلك إذ[...] المفعولُ ، لأن الفعلَ إنما يجىء وقد عملتِ

---

(١) فى ج و د و هـ «شعر أبى النجم» .

(٢) يريد المبرد : أنه ضمن «ابهتى» معنى «اكذبى» فعداه بالحرف . لأن أصل الفعل «بهت الرجلَ» يتعدى بنفسه ، أى قال عليه مالم يقل . وقال الجوهرى إن «على» مقحمة ، وردَّ عليه ابن برى ، قال : «زعم الجوهرى أن عَلَى فى البيت مقحمةٌ ، أى زائدة ، قال : إنما عَدَّى ابهَتِى بعَلَى لأنه بمعنى افْتَرِى عليها ، والبهتانُ افتراءٌ . وفى التنزيل العزيز : ﴿ولا يَأْتِين بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ﴾ قال: ومثلُه مما عُدِّى بحرفِ الجرِّ حملاً [...] فعلٍ يقارِبُه بالمعنى قولُه عزّ وجل : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ [...]﴾ تقديرُه : يخرُجُون عن أمره ، لأن المخالفةَ خروجٌ عن الطاعة . [...] : [...]لى قول الجوهرى أن تجعل عن فى الآية زائدةً ، كما جعل على فى البيت زائدةً ، وعن وعلى ليستا مما يُزادُ كالباء» . هذا نص اللسان ، وكتب بحاشيته مانصه : «قوله : وابهتى عليها ، قال الصغانى فى التكملة : هو تصحيف وتحريف ، والرواية : وانهتى عليها ، بالنون من النهيت ، وهو الصوت» .

(٣) فى ج و س و د و هـ «وإنما» .

اللامُ ، كما قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾[1] . وإن أُخِّرَ المفعولُ فعربيٌ[2] حسنٌ . والقرآنُ محيطٌ بكلِّ اللغاتِ[3] الفصيحةِ ، قال الله جل وعزَّ : ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[4] والنحويون يقولون في قوله جل ثناؤه : ﴿ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ ﴾[5] ـ : إنما هو : رَدِفَكُمْ[6] . وقال كُثَيِّرٌ : [illegible]ىٌّ ، وهو من و[illegible]

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا [illegible] بِكُلِّ سَبِيلِ

وحروفُ الخفضِ يُبْدَلُ بعضُها [illegible] فلا[illegible] وقع الحرفانِ في معنًى في بعضِ المواضعِ ، قال الله جَلَّ [illegible] ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾[7] . أي « عَلَى » ولكنَّ الجذوعَ إذ [illegible]ـاطتْ دخلتْ «في» ، لأنها للوعاءِ ، يقال : « فلانٌ في النَّخْلِ » أي قد أحاطَ به . قال الشاعرُ :

هُمُ صَلَبُوا العَبْدِيَّ في جِذْعِ نَخْلَةٍ فلا عَطَسَتْ شَيْبانُ إلَّا بأَجْدَعَا

وقال الله جل وعز : ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴾[8] . أي «عليه» . وقال

---

(١) سورة يوسف (٤٣) .

(٢) في ج و س و د « فهو عربي » .

(٣) في ج و س و د و هـ « بجميع اللغات » .

(٤) [illegible] (١٢) .

(٥) سورة النمل (٧٢) .

(٦) في اللسان : « رَدِفَهم الأمرُ وأَرْدَفَهم : أَهَمَّهُمْ » ثم ذكر الآية وقال : أراد [ردفكم] فزاد اللام ، ويجوز أن يكون [ردف] مما يتعدى بحرف [illegible] وبغير حرف جر » ثم نقل عن التهذيب أنه فسره بمعنى « قرب لكم » .

(٧) سورة طه (٧١) .

(٨) سورة الطور (٣٨) .

بصرة . وهو [illegible]
الرحمن بن حميد
التهذيب . وأما
وضعه المرصفي

تبارك وتعالى : ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[1] . أى : بأمرِ الله . وقال ابنُ الطَّثْرِيَةِ[2] :

غَدَتْ مِنْ عليه تَنْفُضُ الطَّلَّ بعدَ ما رأَتْ حاجِبَ الشمسِ اسْتَوَى فترَفَّعَا

وقال الآخرُ :

غَدَتْ مِن عليه بعدَ ما [illegible] ـصِلُّ وعن قَيْضٍ بِزِيزَاءِ مَجْهَلِ[3]

أى : من عنده . وقال [illegible]

إذا رضِيَتْ [illegible] ـمْرُ اللهِ أَعجبنِى رِضَاهَا

وهذا كثيرٌ جدًّا .

وقوله « وَإِنْ أَبَتْ [illegible] ـى إليه [illegible] يقول : تقرَّبى ، ومن ذا سُمِّيت « المُزْدَلِفَةُ » . قال العجّاجُ[4]

نَاجٍ طَوَاهُ الأَيْنُ مِمَّا وَجَفَا طَيَّ اللَّيالِى زُلَفًا فَزُلَفَا

☆ سَمَاوَةَ الهِلالِ حتى احْقَوْقَفَا ☆

تقول[5] « زُلْفَةٌ » و « زُلَفٌ » كقولك « غُرْفَةٌ » وغُرَفٌ » .

---

(١) سورة الرعد (١١) .

(٢) [illegible] طبعة أوربة بسكون الثاء المثلثة . وضبطه صاحب القاموس بفتحها ، ولم أجد ما يرجح [illegible] وإن كان السكون أرجح إذا كانت أمه سميت بذلك لولعها باخراج زبد اللبن الذى [illegible] لثرة » ومنه « الطثر » الخير الكثير ، وكلاهما بالسكون . وابن الطثرية [illegible] يزيد [illegible] بن صمرة القشيرى » نسب إلى أمه ، وهو شاعر مشهور .

(٣) [illegible] : صاحب اللسان (ج ١٣ ص ٤٠٦) لمزاحم العقيلى ، يصف القطا . وهو مزاحم [illegible] ، شاعر إسلامى فصيح ، كان فى عصر جرير والفرزدق . قال ابن السكيت فى قوله « من عليه » : « من فوقه ، يعنى من فوق الفرخ . قال : ومعنى تصل ، أى هى يابسة من العطش » .

(٤) مضى هذا الرجز وشرحه فى الجزء الأول (ص ١٢٩ — ١٣١) .

(٥) فى ج و س و د و هـ « يقال »

وقوله « بالكلب خيراً والحماةِ شرًّا » كلامٌ مَعِيبٌ عندَ النحويين ، وبعضُهم لايُجيزه، وذاكَ : أنه عَطَفَ[1] على عامِلَين : بالباءِ[2] وعلى الفعلِ ، ومَنْ قال هذا قال : ضربتُ زيدا فى الدارِ والحُجْرةِ عمرًا . [قال أبو العباس][3] : وكان أبو الحسنِ الأخفشُ [سعيدٌ][4] يراهُ ، ويقرأُ ﴿ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ ، وهو من [illegible] الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٍ ﴾[5] فعطف [illegible] « فى » . وقال عَدِىُّ بن زيدٍ :

أَكُلَّ امْرِئٍ تَحْسِبِينَ امْرَأً [illegible] تَوَقَّدُ بالليلِ نَارَا

فعطفَ على « كلّ » وعلى الفعل [illegible]

وأما قوله «غَدَتْ مِنْ عليه بعدَ ما تَمَّ خِمْسُهَا»[6] فـ«ا لخِمْسُ» ظِمءٌ من أظمائِها ، وهو : أنْ تَرِدَ ثم تغبَّ ثلاثا ثم ترِدَ ، فيُعتَدُّ بيَوْمَىْ وِرْدِها مع ظِمْئِها ، فيقال « خِمْسٌ » . و « الرِّبْعُ » كحُمَىَّ الرِّبْعِ . وقوله « تَصِلُّ » أى : تَسْمَعُ لأجوافِها صَليلاً من يُبْسِ العطَشِ ، يقال المسمارُ « يَصِلُّ » فى الباب : إذا أُكْرِهَ فيه ، قال جريرٌ يخاطبُ الزُّبَيْرَ بمَرْثِيَتِهِ فى هِجائِهِ الفرزدقَ :

---

(١) فى س و هـ «وذلك لأنه عَطَفَ» وفى ج و د « وذلك لأنه عَطَفْ

(٢) [illegible] « على الباء » وهو أجود .

(٣) الزيادة من ج و س .

(٤) الزيادة من س .

(٥) سورة الجاثية (٥) . والقراءة بخفض « آيات » هى قراءة حمزة والكسائى « وتصريف الريح » بالإفراد . وقرأ باقي السبعة « الرياح » بالجمع ، و « آيات » بالرفع انظر التيسير (ص ١٩٨) وتوجيه الاعراب فى إعراب القرآن للعكبرى (ج ٢ ص ١٢٤) وتفسير أبي حيان (ج ٨ ص ٤٢ — ٤٣) .

(٦) فى رواية اللسان « بعد ماتم ظمؤها » .

لو كنتَ حين غُرِرْتَ بَيْنَ بُيُوتِنَا   لَسَمِعْتَ من وَقْعِ الحديدِ صَلِيلاَ

ويقال للحمارِ «المُصَلْصِلُ» إذا أخرج صوتَه من جوفه حادًّا خفيًّا.

قال الأعشى:

عَنْتَرِيسٌ تَعْدُو إذا حُرِّكَ السَّوْ   طُ كَعَدْوِ المُصَلْصِلِ الجَوَّالِ[1]

وقال المفسرون في قول… مِنْ صَلْصَالٍ مِن حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[3] قال[4]: هو الطينُ … ـرَعَهُ شيءٌ كان له صَلِيلٌ، وتفسيرُ ذلك عند العربِ الت… عنه المـاءُ في الغُدرانِ فيتشقّقُ ثم ييبَسُ.

و«القَيْضُ» قِشْرُ… ضِ[6] الأعلى، والذي يَلبَسُ البيضةَ فيكونُ ما بينها وبينَ قشرِها الأعلى يقالُ له «الغِرْقِئُ» يقال: ثوبٌ كأنه غِرْقِئُ بَيْضٍ[7].

و«الزِّيزَاءُ» ما ارتفعَ من الأرضِ، وهو ممدودٌ منصرفٌ في المعرفة والنكرةِ، إذا كان لمذكرٍ، كالعِلْباءِ والحِرْباءِ[8]، وسنذكر هذا في غير

---

(١) …نتريس» الناقة الصلبة الوثيقة الشديدة، والنون فيه زائدة، وهو مأخوذ من «العترسة»
(١) الز… ـصب والغلبة والأخذ بشدة وعنف وجفاء وغلظة.
(٢) الزيادة … س و د «في قول الله».
(٣) سـ… الحجر (٢٦ و ٢٨ و ٣٣).
(٤) … هـ «قالوا» وبها طبعت نسخ مصر.
… في … » بكسر التاء وسكون القاف، وهو اسم للطين الذي يذهب عنه الماء، كما وصف المبرد.
(٦) في ج و س و د «البيضة» وبها طبعت نسخ مصر.
(٧) في ج و س «غرقئ البيضة»، وفي د و هـ «غرقئ البيض».
(٨) يعني أن «الزيزاء» بكسر الزاي الأولى. وقد ضبطت في البيت في اللسان (ج ١٣ ص ٤٠٦) بفتحها. ولكن صاحب اللسان ضبط الكلمة في مادتها (زيز) بالكسر، ونقل عن الفراء

ذا الموضع مُفسَّرًا [إن شاء الله][1] ، على أنَّا قد استقصيناهُ في الكتابِ المُقْتَضَبِ) .

و « المَجْهَلُ » الصحراءُ التي يُجْهَلُ فيها ، فلا يُهْتَدَى لسَبيلِها .

ويقال للشيء إذا غَبَّ[2] وتغيرت[3] رائحتُه « صَلَّ » و « أَصَلَّ » فهو صَالٌّ » و » مُصِلٌّ » . ويقال « نَّ ، وهو من و » . ويقال « خَمَّ » « أَخَمَّ » ، وذاك إذا كان مستوراً ذا عَتُقَ اللحمُ فتغير خَنِزَ » و « خَزِنَ »[4] . وبيت ... فلان ... [عليه][5] :

ثم لا يَخْنُزُ فينا لَحْمُها ... يَخْنُزُ لَحْمُ المُدَّخِرِ[6]

يقال لربِّ البيتِ وربَّةِ البيت اللَّذين ينزلُ بهما الضيفُ « هي أُمُّ مَثْوَاهُ » « هو أبو مَثْوَاهُ » . وأنشد أبو عُبيدةَ :

مِنْ أُمِّ مَثْوًى كريمٍ قد نَزَلْتُ بها ... إنَّ الكريمَ على عِلاَّتِهِ يَسَعُ

قال : « الزِّيزَاء من الأرض ممدود مكسور الأول ، ومن العرب من ينصب فيقول الزَّيزَاء وبعضهم يقول الزَّأزاء ، وكله : ماغلظ من الأرض » .

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) ... الطعام » بات ليلة ، أو : تغيرت رائحته . بصرة . وهو عبد الرحمن بن حميد

(٣) في ج و س و د « فتغيرت » .

(٤) « خنز » و « خزن » ضبطا في طبعة أوربة بفتح عين الفعل فيهما وبكسرها التهذيب . وأما في كتب اللغة المعروفة أن « خنز » من باب « فرح » فقط وأن « خزن » وضعه المرصفي « نصر » ، ولكن ابن دريد أثبت في الجمهرة الفعلين من البابين (ج ٢ ص ٢٢٨) .

(٥) الزيادة من ج و س و د .

(٦) « يخنز » ضبطت في طبعة أوربة في الموضعين في البيت بضم النون ، فجرى فيهما على أن الفعل من باب « نصر » ويؤيد صحته ماأثبته ابن دريد في الجمهرة ، كما قلنا .

وفى كتاب الله جل وعزّ : ﴿أَكْرِمِى مَثْوَاهُ﴾[1] . معناه عند العربِ : إضافتُه .

☆☆☆

ومن التشبيه المُطَّرِدِ على أَلْسِنَةِ العربِ ما ذكروا فى سَيْرِ الناقةِ وحركة قوائمها ، قال الراجزُ :

كأنَّها ليلةَ [illegible] وقد مَدَدْنَا بَاعَهَا للسُّوَّقِ

[illegible] [illegible]َيْنِ تَرْتَقِي ☆

قوله « ليلةَ غِبِّ [illegible] زر[illegible] [illegible] موضعاً ، وأَحْسِبُهُ[2] ماءً ، لأنهم يقولون « نُطْفَةٌ زَرقاءُ » وه[illegible] [illegible]ال زهيرٌ :

فلمَّا وَرَدْنَا الماءَ زُ[illegible] جِمامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضِرِ المُتَخَيِّمِ[3]

وقال آخرُ :

فأَلْقَتْ عصا التَّسْيَارِ عنها وخَيَّمَتْ بأَرْجاءِ عَذْبِ الماءِ زُرْقٍ مَحَافِرُهْ

وقوله « وقد مَدَدْنَا باعَها للسُّوَّقِ » يقول : استفرغنا ما عندها من السَّيرِ[4]، يقال « تبوّعتْ » و « انْبَاعَتْ » : إذا مَدَّتْ باعَها .

[illegible]له « خَرْقاءُ بين السُّلَّمَيْنِ تَرْتَقِي » يقول : لكثرةِ حركةِ الخرقاء

(١) الز[illegible]

(٢) الزيادة [illegible] بالصُّعود .

(٣) سه[illegible]

(٤) [illegible]

---

(١) فى [illegible]ة يوسف (٢١) .

(٢) قال ياقوت فى البلدان : « وادى الأزرق بالحجاز . والأزرق ماء فى طريق حاج الشأم دون تيماء » .

(٣) قال المرصفى : « الحاضر : الذى نزل على ماء عدّ ، والمتخيم : البانى خيمته ليقيم فيها » .

(٤) فى ج و س و د و ه « فى السير » .

كأنَّها نائحــــةٌ تفجَّعُ   تبْكِى لشَجْوٍ وسِواها الموجَعُ(١)

⁂

وقال الشمَّاخُ :

كأَنَّ ذِراعَيْها ذِراعا مُدِلَّةٍ   بُعَيْدَ السِّبابِ حاوَلَتْ أن تعَذَّرَا
مِنَ البيضِ أعطافًا إذا اتَّصلَتْ دعَتْ ، وهو من و غَنْمٍ أو لَقيطَ بنَ يعْمَرَا
بها شَرَقٌ مِن زَعْفَرانٍ وَعَنْبَرٍ   ...سْنِ الرِّداءَ المُحبَّرَا(٢)
تقولُ وَقد بَلَّ الدُّموعُ خِمارَها   ... فَنِصبي أن أُعَــيَّرَا
كأَنَّ بذِفْراها مَنادِيلَ فارَقَتْ   ... رِجالٍ يَعْصِرُونَ الصَّنَوْبَرَا(٣)
كأَنَّ ابنَ آوى مُوثَقٌ تحتَ غَرْضِها   إذا ... لم يَكْلِمْ بِنابَيْهِ ظَفَرَا

شَبَّه يديها بيدَىْ مُدِلَّةٍ بجمالٍ ومنصبٍ قد سابَّتْ وأقبلتْ تعتذرُ وتشيرُ بيديها . فوَصَفَ جمالَها الذى به تُدِلُّ ، وَمَنْصِبَها المتصلَ عن ذَكَرْتُه .

وقوله « أطارتْ من الحسن الرداءَ المحبَّرا » يقول : هِيَ مُدِلَّةٌ بجمالها ، فلا تَخْتَمِرُ فتَسْتَرَ شيئًا عن الناظر ، لأنها تبتهجُ بكل ما فى وجهها ورأسها .

وقد كشَفَ هذا المعنى عمرُ بن أبى رَبيعَةَ المخزومىُّ حيثُ يقولُ :

فلما تَوَاقَفْنا وسَلَّمْتُ أقبلتْ   وجُوهٌ زَهاها الحُسْنُ أ
تَباهَيْنَ بالعِرْفانِ لَمَّا عرَفْنَنِى   وقلْنَ امرؤٌ باغٍ أَ

لبصرة . وهو غير
كر الرحمن بن حميد
التهذيب . وأما
وضعه المرصفى

(١) فى س « تبكى بشجو » ، وفى هـ « تبكى لميت » .
(٢) « شرق » مصدر « شرق » الجسد بالطيب ، من باب « طرب » أى امتلأ .
(٣) فى ج و س و د « قارَفتْ » . وفى س « بأيْدِى رِجالٍ » .
(٤) فى حاشية ا « لمـا رأَيْنَنِى » . وفى ج و س و د « باغٍ أَضَلَّ » .

وقَرَّبْنَ أسبابَ الهوَى لِمُقَتَّلٍ ... يَقِيسُ ذِراعًا كلما قِسْنَ إِصْبَعَا
[فقلتُ لِمُطْرِيهِنَّ ويْحَكَ إنما ... ضَرَرْتَ فهل تَسطيعُ نَفْعًا فتَنْفَعَا][1]

قوله :

« كأَنَّ بذِفْرَاها مناديلَ فارَقَتْ ... أَكُفَّ رِجالٍ يَعْصِرُونَ الصَّنَوْبَرَا »[2]

يقول: لسَوَادِ الذِّفْرَ... ...نها. قال أوْسُ بن حَجَرٍ :

كأَنَّ كُحَيْلاً م... ... على رَجْعِ ذِفْرَاها مِنَ اللِّيتِ واكِفُ

[« الكُحَيْلُ »[3] الفطرا... ...نِيَّة » ضربٌ منه] . وهذا معنًى يُسْأَلُ عنه ؟ لأن « اللِّيتَيْنِ » صفـ... ...ن ، و « الذِّفْرَى » فى أعلى القفا ، فكيف يَكِفُ على الذِّ... من اللِّيت ؟ والمعنى إنما هو : كأنَّ كُحَيْلاً مُعْقَدًا أو عَنِيَّةً واكِفٌ على رَجْعِ ذِفْرَاها . وقوله « من اللِّيت » كقولك كموضِعِ دِجْلَةَ من بَغْدَاذَ » إنما هو للحَدِّ بينهما ، لا أنه وَكَفَ من شىء على شىء .

وأما قوله :

« كأنَّ ابنَ آوَى مُوثَقٌ تحتَ غَرْضِها ... إذا هو لم يَكْلِمْ بنابَيْهِ ظُفُرَا »

... ...تْ تَسْتَقِرُّ ، فكأنَّ ابنَ آوَى يكلِمُها[4] بنابَيْهِ أو ...[5]

---

(١) الز...

(٢) الزيادة ...

(٣) سه...

(٤) ...

...س حاشية ج .

(٢) فى ... و س و د « قارنت » .

(٣) « الكحيل » بالتصغير ، ولا يستعمل فى هذا المعنى إلا مصغراً ، كما نص عليه فى اللسان وغيره .

(٤) فى ج و س و د « يَعَضُّها » .

(٥) فى ج و س و د و هـ « ويخلبها » .

بظُفُرِه ، فهى لا تستقرُّ . وقال أوس بن حَجَرٍ :

كأنَّ هِرًّا جَنِيباً تحتَ غُرْضَتِها   والتَفَّ دِيكٌ بحَقْوَيْهَا وخنزيرُ[1]

و « الغَرْضُ » و « الغُرْضَةُ » واحدٌ ، وهو حِزَام الرَّحْلِ .

☼

وقال آخرُ :

كأنَّ ذِراعيها ذراعَا بَذِيَّةٍ   خَلائِلَ عن عُفْرِ[2]

سَمِعْنَ لها واستفرغَتْ فى حديثِها   فلاكى يفرِى باليدَيْنِ كما تفرِى

[قال أبو العباس : أنشدنيهما عبدُ الصمد بن المُعَذَّلِ . وأنشدنيهما سعيدُ بن سَلْمٍ][3] . ولو قيل أن هذا مِن أبلغِ ما قيل فى هذا الوصفِ ما كان ذلك بعيداً . وَصَفَها بأنها بَذِيَّةٌ[4] وقد فُجِعَتْ بما أُسمِعَتْ ونِيلَ منها ، ولقيَتْ خلائِلها بعدَ زمانٍ ، وتلك الشكوى كامنةٌ فيها ، وأَصْغَيْنَ إليها يَتَسَمَّعْنَ[5] .

و « الفَرْىُ » : الشَّقُّ ، يقال « فَرَى » أَوْ داجَهُ : أى قَطَع ، و « فَرَيْتُ » الأدِيم . وإذا قلتَ « أَفْرَيْتُ » فمعناه أصلحتُ . وقولُ الحَجَّاجِ ... الله .

(١) فى ج و س و د و هـ وحاشية ا « ديك برجليها » .

(٢) فى ج و د و هـ « بذيئة » . وقوله « خلائل » جمع « خليلة » و التهذيب . وأما لها الودّ . و « عن عفر » أى بعد عفر ـــ بضم العين وسكون الفاء ـــ وهو وضعه المرصفى أفاده المرصفى .

(٣) الزيادة من هـ .

(٤) فى ج و س و د و هـ « بذيئة » .

(٥) فى ج و د « لها » . وفى ج و س و د « فتسمعن » ، وفى هـ « يسمعن » .

ما أَشَمُّ إلاَّ مَضَيْتُ ولا أَخَاقُ إلاَّ فَرَيْتُ ، يقول : إذا قَدَّرتُ قطعتُ .
يقال « فَرَيْتُ » القِرْبَةَ والمَزادةَ ، فهما « مفرِيَّتانِ » . قال ذو الرمة :

☆ كأنه مِن كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ ☆

وقال امرؤ القيس :

كَأَنَّ الحَصَى مِن ... إذا نجلَتْهُ رِجلُها خَذْفُ أَعْسَرا[1]
كَأَنَّ صَلِيلَ المَ... صَلِيلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدْنَ بِعَبْقَرا[1]

قوله « خَذْفُ أعسر » يريد أنه يدم... غير قصدٍ ، وقوله «صَلِيلُ زُيُوفٍ» يقال أن « الزَّيْفَ[2] » شَدِيدُ الصوتِ ... فيه .

وقال آخر :

كَأَنَّ يَدَيْها يَدَا مـاتِحٍ أتى يوم وِرْدٍ لِغِبٍّ زَرُودَا[3]
يَخافُ العِقابَ وفى نفسِه إذا هو أَنْهَلَ أَلاَّ يعُودا

---

(١) قال المرصفى : « نجلته رجلها تنجله — بالضم — نجلا : نزعته بمنسمها ورمت به . والخذف : كالضرب ، وهوالرمى باليد . والأعسر : من يعمل بيساره . يريد : أن رميها غير منتظم إلى جهة واحدة ، كخذف الأعسر ... وتشذه : من أشذ الشىء نحاه وأقصاه . وزيوف جمع ... ، وهو من الدراهم مافيه غش . وينتقدن : ينقرن بالأصابع . وعبقر : ذكر ياقوت أنهم ... فسره : عبقر من أرض اليمن . وهذا يدل على أنه موضع مسكون به صيارف وغيرهم . لعل هذا كان قديما وخرب » .

(٢) الزيادة ...

(٣) ... و س و د و هـ « الزَّائِفَ » .

... » هكذا رسمت فى طبعة أوربة بنقطتين فوق الحرف الأول ونقطتين تحته ، نقلا عن الأصول المخطوطة ، لتقرأ الكلمة « ماتح » و « مايح » . فالماتح بالفوقية : المستق بالدلو من أعلى البئر . والمايح بالتحتية ، وتقلب همزة ، هو الذى يملأ الدلو من أسفل البئر . وفى اللسان : « تقول العرب : هو أَبْصَرُ من المائحِ بِاسْتِ المَاتِحِ . تعنى : أن الماتح فوق المائح ، فالمائح يرى الماتح ويرى استه » . وفى ج و س و د و هـ « ماتح » بالفوقية .

جهيرَ الصَّوْتِ ، إذا خطا أَبْعَدَ ، وإذا تُؤُمِّلَ مَلَأَ العيْنَ . لأنَّ حقَّه أن يكونَ في صَدرِ مجلسٍ ، أو ذِرْوَةِ مِنْبر ، أو منفرداً في مَوْكِبٍ .

وكانوا يقولون في نعتِ السيِّد : يملأُ العَيْنَ جمالاً ، والسَّمعَ مَقالاً .

وقال أبو عليٍّ دِعْبل [بنُ عليّ(١)] في رجلٍ نَسَبهُ(٢) إلى السُّودَدِ ، يقوله لِمُعاذِ بن جَبَلِ بن سعيدٍ الْحِمْيَرِيِّ ، وهو من ولد حُمَيْدِ بنِ عبد الرحمنِ الفقيهِ(٣) :

فإذا جالَسْتَهُ صَدَّرْتَهُ ... وتَنَحَّيْتَ له في الحاشِيهْ

وإذا سايَرْتَهُ قَدَّمْتَهُ ... وتأخَّرْتَ معَ الْمُسْتأنِيهْ

وإذا ياسَرْتَهُ صادَفْتَهُ ... سَلِسَ الخُلْقِ سَلِيمَ النَّاحِيهْ

وإذا عاسَرْتَهُ صادفتَه ... شَرِسَ الرَّأْيِ أبِيًّا داهِيَهْ

فاحْمَدِ اللهَ على صُحْبَتِهِ ... واسْأَلِ الرَّحمنَ منه العافِيَهْ

وهذا المعنى قد أجمله جَريرٌ في قوله [الفائقِ الرائقِ(٤)] :

بِشْرٌ أبو مَرْوانَ إنْ عاسَرْتَهُ ... عَسِرٌ وعندَ يَسَارِهِ مَيْسورُ(٥)

---

(١) الزيادة من د .

(٢) في ج و س و د و هـ « ينسبه » .

(٣) حميد هذا بصرى من فقهاء التابعين ، كان ابن سيرين يقول هو أفقه أهل البصرة . وهو غير « حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى » التابعى ، وغير « حميد بن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن الرؤاسى » المتأخر المتوفى بعد سنة ١٩٠ وللثلاثة تراجم فى التهذيب . وأما معاذ بن جبل الحميرى فلم أجد ترجمة له . ومن أول قوله « يقوله » إلى هنا وضعه المرصفى بين قوسين أمارة أنه زيادة ، وليس ذلك صحيحاً ، بل هو من أصل الكتاب .

(٤) الزيادة من هـ .

(٥) بشر هو ابن مروان ، أخو عبد الملك بن مروان .

باب

تَجتمعُ فيه طَرائفُ من حَسَنِ الكلامِ ، وجيِّدِ الشعرِ ، وسائرِ الأمثالِ ، ومأثورِ الأخبارِ ، إن شاء اللهُ .

[قال أبو العباس[1]] : كان الحجَّاجُ بنُ يوسفَ يَسْتثقِلُ زِيادَ بن عَمْرٍو العَتَكيَّ ، فلما أثنَتِ الوُفودُ على الحجاجِ عندَ الوليدِ بن عبد الملكِ ، والحجاجُ حاضِرٌ ، قال زيادُ بن عَمْرٍو : يا أميرَ المؤمنين : إنَّ الحجاجَ سيفُكَ الذى لا ينْبُو ، وسَهْمُكَ الذى لا يطيشُ ، وخادِمُكَ الذى لا تأْخذُه فيك لَوْمَةُ لائمٍ . فلم يكن أَحَدٌ بَعْدُ أَخَفَّ على قلبِ الحجاج منه .

ولزيادٍ يقول ابنُ قيْسِ الرُّقَيَّاتِ فى معاتبتِه المُهَلَّبَ بنَ أبى صُفْرَةَ :

أَبْلِغا جارِىَ المُهَلَّبِ عَنِّى ... كُلُّ جارٍ مُفارقٌ لا مَحالَهْ

إنَّ جاراتِكَ اللَّواتِى بتَكْرِيتَ لِتَنْبيذِ رَحْلِهِنَّ مَقالَهْ[2]

لو تَعَلَّقْنَ من زيادِ بن عمرٍو ... بِحِبالٍ لَمَا ذَمَمْنَ حِبالَهْ

غَلبَتْ أُمُّهُ أَباهُ عليه ... فَهْوَ كالكابُلِىِّ أَشْبَهَ خالَهْ[3]

ولقد غالَنِى يَزيدُ وكانتْ ... فى يَزيدٍ خِيانَةٌ ومَغالَهْ[4]

عَتَكِىٌّ كأَنَّهُ ضَوْءُ بَدْرٍ ... يَحْمَدُ الناسُ قَوْلَهُ وَفَعالَهْ[5]

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٢) « تكريت » بلدة مشهورة بين بغداد والموصل .

(٣) « كابل » بضم الباء ، ثغر من ثغور طخارستان . كأنه يتهمه بأنه أشبه بالعجم . وفى بعض النسخ بعد الأبيات زيادة « قال أبو العباس : كانت أم يزيد من سبي كابل » .

(٤) « المغالة » الخيانة .

(٥) المعنى فى الأبيات فيه شيء من الاضطراب . ولذلك رجح المرصفى أن صواب ترتيبها أن يكون =
[illegible]

[قال أبو العباس][1] : وقال أسماء بنُ خارجةَ الفَزَاريُّ : لا أُشاتِمُ رجلاً، ولاَ أَرُدُّ سائلاً ، فإنما هو كريم أَسُدُّ خَلَّتَهُ ، أو لئيمٌ أشتري عِرضي منه .

وقال سَهْلُ بن هٰرون[2] : يجبُ[3] على كلِّ ذي مَقالةٍ أَن يَبْدَأَ بحمدِ اللهِ قبلَ استفتاحِها ، كما بُدِيءَ بالنعمةِ قبل استحقاقِها[4] .

وكان يقولُ عند التعزِيةِ : التَّهْنِئَةُ بآجلِ الثوابِ أَوْلَى[5] من التعزيةِ على عاجلِ المصيبةِ .

وأراد رجلٌ الحجَّ فأَتَى شُعْبَةَ بنَ الحجاجِ يُوَدِّعُهُ ، فقال له شعبةُ : أَمَا إنك إنْ لم تَرَ الحِلْمَ ذُلاًّ ، والسَّفهَ أَنَفاً — : سلِمَ لك حَجُّكَ .

= هذا البيت رابعاً والذى قبله خامساً ، وأن يكون السادس الأخير قوله « غلبت أمه » . وبذلك يظهر المعنى بيِّنا صحيحاً .

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٢) سهل بن هرون فارسيّ الأصل ، دخل البصرة ، ثم اتصل بالمأمون فولاه خزانة الحكمة ، وكان أديباً شاعراً كاتباً ، وكان شعوبياً يتعصب للعجم على العرب ، شديداً فى ذلك ، بخيلا مشهوراً بالبخل . له مصنفات منها (كتاب ثعلة وعفراء) يعارض به كليلة ودمنة . مات سنة ٢١٥

(٣) فى ج و س و هـ « وجب » وفى د « واجب » .

(٤) قريب من هذا المعنى وأبلغ منه وأعلى قول الشافعيّ فى الرسالة (رقم ٢) : « والحمدُ لله الذى لا يُؤَدَّى شُكْرُ نعمةٍ من نِعَمِهِ إلاَّ بنِعمْةٍ مِنْهُ تُوجِبُ عَلَى مُؤَدِّى مَاضِي نِعَمِهِ بِأَدائِهَا نِعْمَةً حادثةً يجبُ عليه شكرُه بها » . وقوله أيضاً (رقم ٤٧) « فنسألُ اللهَ المبتدِيءَ لنا بنعمِهِ قبلَ استحقاقِها ، المُدِيمَهَا علينا ، مع تقصيرِنا فى الإتيان على ما أَوجبَ به مِن شكرِه بها » الخ .

(٥) فى س « أَوجبُ » .

وقالَ أُوَيْسٌ القَرَنِيُّ: إنَّ حقوقَ اللهِ لم تترُكْ عند [عَبْدٍ[1]] مُسْلِمٍ دِرْهماً.

وقال دِعْبِلُ بنُ عليٍّ الخُزاعِيُّ يذمُّ رجلاً:

رأيتُ أبا عِمْرانَ يبذُلُ عِرْضَهُ ... وخُبْزُ أبي عمرانَ في أحْرَزِ الحِرْزِ

يحِنُّ إلى جاراتِهِ بعد شِبْعِهِ ... وجاراتُهُ غَرْثَى تحِنُّ إلى الخُبْزِ

وقال آخر[2]:

قَوْمٌ إذا أكلوا أخْفَوْا كلامَهُمُ ... وَاسْتَوْثَقوا من رِتاجِ البابِ والدارِ

لا يقبِسُ الجارُ منهم فَضْلَ نارِهِمُ ... ولا تكُفُّ يدٌ عن حُرْمةِ الجارِ

[أظنُّ تمامَه:

حتى إذا اسْتَنْبَحَ الأَضْيافُ كَلْبَهُمُ ... قالوا لِأُمِّهِمُ بُولِي على النَّارِ[3]

قامتْ بأحْمَرِها تَنْدَى مَشافِرُهُ ... كأنَّه رِئَةٌ في كَفِّ جَزَّارِ][4]

وقال رجلٌ مِن طَيِّءٍ، وكان رجلٌ منهم، يقال له زيدٌ، من وَلَدِ عُرْوَةَ بن زَيْدِ الخَيْلِ، قَتَلَ رجلاً من بني أَسَدٍ يقال له زيدٌ، ثم أُقِيدَ به بَعْدُ:

---

(١) الزيادة من ج و س و هـ .

(٢) أخطأ الشيخ المرصفي رحمه الله هنا خطأ غريباً، فادّعى أن صاحب الحماسة نسب هذا الشعر لدعبل. والذي في الحماسة «قال بعض آل المهلب». ثم جاء التبريزي في الشرح فقال: «قال دعبل: هو عبد الله بن عبد الرحمن ولقبه أبو الأنوار». فنقل طابع الحماسة كلمة التبريزي في المتن، ووضعها بين قوسين أمارة زيادتها. فظنها الشيخ من كلام أبي تمام، ثم أخطأ قراءتها فظن أن الشعر منسوب لدعبل، مع أن دعبلاً نسبه لأبي الأنوار. انظر الحماسة (٢ : ٢٠٦ طبعة محمود توفيق سنة ١٣٣٤) وشرح التبريزي (٤ : ٩٠ طبعة التجارية)

(٣) نسب المرصفي هذا البيت للأخطل. وأن أوله في ديوانه «قوم إذا استنبح»، وقال الذي بعده «لا نعلم قائله». ولعل هذا الشاعر أخذ البيت عن الأخطل فغيره، أو أخذه الأخطل، فإني لم أجد ترجمة أبي الأنوار هذا، ولا في أيّ عصر كان.

(٤) الزيادة من نسخة ج .

عَلاَ زَيْدُنا يومَ الحِمَى رأسَ زَيْدِكُمْ ... بأبيضَ مَصْقُولِ الغِرَارِ يَمَانِ(١)

فإنْ تقتُلُوا زَيْدًا بزيدٍ فإنما ... أقادَكُمُ السُّلْطانُ بعدَ زَمَانِ

[قال أبو الحسن : وأنشدَنا غيرُه :

عَلا زيدُنا يومَ النَّقَى رأسَ زيدِكُمْ ... بأبيضَ من ماءِ الحديدِ يَمانِ(٢)]

قال : [وقد(٣)] كلَّمَ شَمْعَلٌ التغلبيُّ عبدَ ا[illegible] كلامًا لم يرضَهُ ، فرماهُ عبدُ الملكِ با[illegible] [illegible] وهشَمَ ، فقال [illegible] :

أَمِنْ جِذْيَة [illegible] تباشرتْ ... عُداتى [illegible] عيبٌ عليَّ ولا سُخْرُ

[illegible] أميرَ المؤمنين وسيفَهُ ... لَكالدَّهرِ ، لا عارٌ بما فعلَ الدَّهْرُ(٥)

وقال الحجاجُ [بنُ يوسفَ(٦)] : البُخْلُ على الطعامِ أقبحُ من البَرَصِ على الجسدِ .

وقال زِيادٌ : كفَى بالبخيلِ عاراً أنَّ اسمَه لم يَقَعْ فى حَمْدٍ قطُّ ، وكفى بالجَوادِ مَجْداً أنَّ اسمه لم يقع فى ذمٍّ قطُّ .

وقال آخرُ :

أَلاَ تَرَيْنَ وقد قَطَّعْتِنِى عَذَلا ... ماذا من الفَضْلِ بينَ البُخْلِ والجُودِ

---

(١) فى ج و س و د و هـ و ف وحاشية ا « مشحوذ الغرار » .
(٢) الزيادة من حاشية هـ .
(٣) الزيادة من ج .
(٤) « الجرز » بضم الجيم مع سكون الراء وضمها : عمود من حديد . وفى ج و س و د « بجرز » .
(٥) فى ج و س و د و هـ و ف « وإن » بدل « فإن » . وفى س « وفعله » بدل « وسيفه » .
(٦) الزيادة من ج و س و د و هـ .

لا يَعْدَمُ السائلونَ الخيرَ أَفْعَلُهُ إمَّا نَوالاً وإمَّا حُسْنَ مَرْدُودِ

إلَّا يَكُنْ وَرِقٌ يوماً أَرَاحُ به لِلْخَابِطِينَ فإِنِى لَيِّنُ العُودِ[1]

قولُه « إلَّا يَكُنْ وَرَقٌ » يريدُ المالَ ، وضَرَبه مَثَلاً . ويقال « أَتَى فلانٌ فلانا يَخْتَبِطُ ما عندَه » و« الاخْتِبَاطُ » ضربُ الشجرِ لِيَسْقُطَ الورقُ ، فجعلَ « الخابِطَ » ال... ، و« الوَرَقَ » المالَ . كما قال زُهَيْرٌ :

وليس مانِعَ ذِى ... لا رَحِمٍ يوماً ... من خابطٍ وَرَقَا[2]

وَيُرْوَى : أنَّ ضيفاً نَزَلَ بالحُطَيْئَةِ ... وفى يده عصاً ، فقالَ [له[3]] : الضيفُ : يا رَاعِىَ الغَنَمِ [ما عندكَ[4]] ... بعصاهُ ، وقال : عَجْرَاءُ من سَلَمٍ ![5] فقال الرجلُ : إنّى ضَيْفٌ ، فقال الحطيئةُ: للضِّيفانِ أَعْدَدْتُها !

وقال دِعْبِلٌ :

وابنُ عِمْرَانَ يَبْتَغِى عَرَبِيًّا لَيس يَرْضَى البَنَاتِ للأَكْفَاءِ

إنْ بَدَتْ حاجةٌ له ذَكَرَ الضَّيْـفَ ويَنْسَاه عندَ وقتِ الغَدَاءِ

وقال أيضاً :

أَضيافُ سالِمَ فى خَفْضٍ وفى دَعَةٍ وفى شَرَابٍ ولَحمٍ غيرِ ممنوعِ

---

(١) « أراح » بفتح أوله ، فعل مضارع مسند للمتكلم . من قولهم « راح يراح » كخاف يخاف ، أى نشط للمعروف وأخذته له خفة .

(٢) فى ج و س و هـ « ذى قربى ولا نسب » . وفى د « وذى نسب » . وفى س و هـ « ولا معدم » .

(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٤) الزيادة من س .

(٥) « العجراء » ... التى فيها عقد . و « السلم » شجر من العضاه .

وَضَيفُ عَمْرٍ وَعَمْرٌو يَسْهَرَانِ مَعًا عَمْرٌو لِبِطْنَتِهِ والضَّيفُ للجُوعِ

وقال دِعْبِلٌ [أيضًا](١) .

مايَرْحَلُ الضيفُ عَنِّى بعدَ تَكرِمَةٍ إلاّ بِرِفْدٍ وَتَشْييعٍ وَمَعْذِرةِ

وقال أيضًا :

لم يُطِيقُوا أَن يَسْمَعُوا وَسَمِعْنَا وصَبَرْنَا على رَحَى الأَسْنَانِ(٢)

صوتُ مَضْغِ لعبدِ المُطَّلِبِ عِنْدِى مِن نهِا : أينَ بالعيدانِ :

وقال القَتَّال : أريد أنْ أباطِش(٣)

... فغلبه ... لم تَنَمْ عَنْ تِرَاتِنَا ولم نَكُ أَوْغَالاً نُقِيمُ البَوَاكِيَا(٤)

ولكنَّنا نُمْضِي الجِيادَ شَوازِبًا فَنَرْمِي بِها نَحْوَ التِّرَاتِ المَرَامِيَا(٥)

وقال جَرِيرٌ ...

إنَّ الذى حَرَمَ الخِلافةَ تَغْلِبًا جَعَلَ النُّبُوَّةَ والخِلافةَ فِينَا

مُضَرٌ أَبِى وَأَبو الملوكِ وَهَلْ لكم يا خُزْرَ تَغْلِبَ مِن أَبٍ كَأَبِينَا(٦)

هذا ابنُ عَمِّي فى دِمَشْقَ خَلِيفةٌ لو شِئْتُ ساقَكُمُ إلَىَّ قَطِينَا(٧)

---

(١) الزيادة من هـ .

(٢) فى ج و س و د و هـ « فصبرنا » .

(٣) فى ج و د و هـ « وقال آخر من بنى أمية » . وفى س « وقال رجل من بنى أمية » .

(٤) « الترات » جمع « ترة » وهى الثأر ، وقوله « وترنا » أى أصابنا مايوجب الثأر . و « الأوغال » جمع « وغل » بفتح الواو وسكون الغين المعجمة ، وهو النذل الضعيف .

(٤) فى « شوازب » من الخيل : الضوامر .

(٥) « مفلولا » س و د و هـ « فهل لكم » . و « الخزر » ضيقو الجفون ، يصفهم طبعت بعض ... بما آخير العيون .

(٦) فى ج و س المماليك .

إنّ الفرزدقَ إذْ تَحَنَّفَ كارِهاً ... أضْحى لِتَغْلِبَ والصَّليبِ خَدِينَا

ولقد جَزِعْتَ إلى النَصارَى بَعْدَما ... لَقِيَ الصليبُ مِنَ العذابِ مُهِينَا

هَلْ تَشْهَدُونَ من المَشَاعِرِ مَشْعَراً ... أو تَسْمعونَ من الأذانِ أَذِينَا(١)

قالَ أبو العباس: حدثني عُمارةُ بنُ عَقيلِ بن بِلالِ بنِ جَرير. قال: لمّا بلغَ الوليدَ قولُهُ(٢):

هذا ابنُ عمّي في [illegible] الخليفةُ ... لو [illegible] إليَّ قَطينَا

قال الوَليدُ: أمَا وَاللهِ لو [illegible] لكنه قال «لو شئتُ» فجعلني شُرْطِيًّا له.

وَيُرْوَى: أن [illegible] قعد [illegible]مًا ينظرُ [illegible] الخصوم، ورجلٌ منهم ناحية يَتَمَثّلُ قولَ الأخطلِ على غيرِ معرفة:

وابنُ المَراغَةِ حابسٌ أعْيارَهُ ... مَرْمَى القَصِيَّةِ ما يَذُقْنَ بِلالا

فسمعه بلالٌ، فلمّا تقدّمَ مع خَصْمِه قال له بلالٌ: أَعِدْ [عليَّ](٣) إنْشادَكَ، فَغَمَزَه بعضُ الجلساءِ، فقال الرجلُ: إنّي واللهِ ماأدرِي مَنْ قاله، ولا فيمن قِيلَ، فقال بلالٌ: أجَلْ! هو أَيْسَرُ من ذاك، هَلُمَّا(٤) فاحْتَجَّا.

وقال جريرٌ:

---

(١) في ج و س و د و هـ «من الشاهد». وفي د «مشهداً» و «الأذين» الأذ[illegible] وا[illegible] ويطلق أيضاً على المؤذن.

(٢) في ج و س و د و هـ «قول جرير».

(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ.

(٤) في ج و د و [illegible] «هلم».

الروايةُ على وجهين : أحدُهما « مِن[١] رَبيعة أم مُضَرْ . أم الحيِّ قَحْطانٍ[٢] » يريدُ : أذا أم ذا ؟ والأصلحُ[٣] فى الرواية « مِن ربيعةَ أو مضرْ . أم الحيُّ قحطانٍ[٢] » لأن ربيعةَ أخو مُضَرَ ، فأرادَ مِن أحد هذين أم الحيِّ قَحْطانَ ، لِأَنَّه إذا قال : أزيدٌ عندكَ أم عمرٌو ؟ فالجوابُ : نَعَمْ ، أو : لا ، لأنَّ أحدَ هذين عندكَ[٤] ، ومعنى الأولِ : أيُّهما عندكَ ؟ ويُرْوَى - وحدَّثَنيه المازنىُّ : أَنَّ صَفِيَّةَ بنتَ عبد المُطَّلِب أتاها رجلٌ ، فقال لها : أينَ الزُّبَيْرُ ؟ قالت : مَا تُرِيدُ إليه؟ قال : أُريدُ أَنْ أُبَاطِشَهُ افقالت : ها هو ذاكَ ، فصار إلى الزبير [illegible]شِه ، فغلبه الزبيرُ ، فمرَّ بها مَفْلُولاً[٥] ، فقالت صفيةُ للرجلِ :

كيف رأيتَ زَبْرَا * أأقطًا أو تَمْرَا * أم قُرَشِيًّا صَقْرَا

[illegible] الأَقِطِ والتَّمْرِ فتقولَ أيُّهما هو ؟ ولكنها أرادتْ : أرأيتَهُ طعامًا أم قرشيًّا صقرًا ؟ أى أأحدَ هذين رأيتَهُ أم صقرًا ؟ ولو قالت : أأقطًا [illegible] : كَانَ[٦] محالا على هذا الوجه .

وقوله : «وما مِنهما إلاَّ يُسَرُّ بِنُسْبَةٍ» معناه : وما منهما واحدٌ ، فَحَذَفَ

(١) هكذا فى ج و س و هـ و د « من » بدون الهمزة ، وهو الذى فى البيت ، والذى يتزن به الشعر . وفى بعض النسخ « أمن » بالهمزة ، وعليها طبعات مصر ، وليست بجيدة .

(٢) « قحطان » ضبطناها بالخفض والتنوين كرواية البيت ، لأن الشاعر صرفها للضرورة . وضبطت فى كل النسخ بالمنع من الصرف ، وهو لا يوافق الوزن ، والمؤلف يحكى رواية البيت . وكذلك « مضر » ضبطت فى النسخ بفتح الراء . وهى فى البيت بسكونها .

(٣) فى ج و س و هـ « والأملح » .

(٤) فى س و د و هـ « لأن المعنى : أأحد هذين عندك » .

(٥) « مفلولا » بالفاء ، أى مهزوما . وفى س و هـ « مغلولا » بالغين ، وهو خطأ ، وبه طبعت بعض طبعات مصر .

(٦) فى ج و س و د و هـ « لكانَ » .

لعلم المخاطَب . قال الله جلَّ اسْمُه : ﴿ وإن مِّنْ أهْلِ الكِتَابِ إلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ به قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾[١] . أى: وإنْ أحدٌ . ومعنى « إنْ » معنى « ما » قال الشاعرُ:

وما الدَّهرُ إلاَّ تارَتَانِ فمنهما ... أموتُ وأخرى أبْتَغِي العيشَ أَكْدَحُ

يريدُ : فمنهما تارةٌ ،

وقوله :

«فَنَحْنُ بَنُو الإسلامِ واللهُ واحدٌ ... وأوْلَى عبادِ اللهِ باللهِ مَنْ شَكَرْ»

يقول : انقطعت الوَلايةُ إلاَّ وَلايةَ الإسلامِ ؛ لأن وَلايةَ الإسلامِ قد قاربتْ بين الغُرَباء . وقال الله عزَّ وجلَّ :﴿إنَّمَا المُؤْمِنُون إخْوَةٌ ﴾[٢] . وقال عزَّ وجلَّ فباعَدَ به بينَ القَرابةِ : ﴿ إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إنَّه عَمِلَ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾[٣]

وقال نَهارُ بن تَوْسِعةَ اليَشْكُرِىُّ :

دَعِيُّ القومِ يَنْصُرُ مُدَّعِيهِ ... لِيُلْحِقَهُ بِذِى الحَسَبِ الصَّمِيمِ

أَبِى الإسلامُ لا أَبَ لِى سِوَاهُ ... إِذا افتخروا بقيسٍ أو تَمِيمِ

***

ويقالُ فيما يُرْوَى من الأخبارِ : إنَّ أولَ مَنْ حَكَّمَ عُرْوَةُ بن أُدَيَّةَ فيمن جَدَّةٌ له جاهليةٌ[٤] ، وهو عروةُ بن حُدَيرٍ ، أحدُ بنى ربيعةَ بن حنظ

(١) سورة النساء آية ١٥٩

(٢) سورة الحجرات آية ١٠

(٣) سورة هود آية ٤٦ وقوله « عمل غير صالح » ضبط فى الأصول بالقراءتين : قراءة يعقوب والكسائى «عمل » بكسر الميم فعل ماض ، و « غير » بالنصب مفعول . وقراء باقى العشرة « عمل » بفتح الميم مصدر منون ، و « غير » بالرفع . وانظر النشر (٢ : ٢٧٨) والتيسير (ص ١٢٥) .

(٤) فى ج و « فى الجاهلية » .

وقال قومٌ : بل أولُ مَنْ حَكَّمَ رجلٌ يقال له سَعيدٌ من بنى مُحارِب بنِ خَصَفَة بن قَيْسِ بن عَيْلانَ بن مُضَرَ . ولم يختلفوا فى إجماعهم على عبد الله بن وَهْبٍ الراسِبِيِّ ، وأنه امتنع عليهم ، وأومأ إلى غيره ، فلم يَقْنَعُوا إلاّ بِه ، فكان إمامَ القومِ ، وكان يُوصفُ بالرَّأْىِ .

[قال أبو العباس][(١)] : فأما أولُ[(٢)] سيفٍ سُلَّ من سيوف الخوارج فسيفُ عُرْوَةَ بنِ أُدَيَّةَ ، وذلك : أنه أقبلَ على الأَشْعَثِ[(٣)] فقال: ماهذه الدَّنِيَّةُ[(٤)] يا أشعثُ ؟ وما هذا التحكيمُ ؟ أَشَرْطٌ أَوْثَقُ من شَرْطِ الله عزَّ وجلَّ ؟ ! ثم شَهَرَ عليه السيفَ والأشعثُ مُوَلٍّ ، فضربَ به عَجُزَ البغلةِ ، فشَبَّتِ البغلةُ فنَفَرَتِ اليمانيةُ ، وكانوا جُلَّ أصحابِ علىٍّ صلواتُ الله عليه ، فلما رأى ذلك الأَحْنَفُ قَصَدَ هو وجاريةُ بن قُدامةَ ومسعودُ بن فَدَكِيٍّ بن أَعْبَدَ وشَبَثُ بنُ رِبْعِيٍّ الرِّيَاحِيُّ – : إلى الأشعثِ ، فسألوه الصَّفْحَ ، ففعلَ .

وكان عروةُ بن أُدَيَّةَ نجا مِن حربِ النَّهْرَوانِ ، فلم يَزَلْ باقياً مدةً من خلافة يا علىّ ، ثم أُتِىَ به زيادٌ ومعه مولًى له ، فسأله عن أبى بكرٍ وعمرَ ، فقال خيراً ، ثم اسمِك قال : ما تقولُ فى أميرِ المؤمنين عثمانَ بنِ عَفَّانَ وأبى تُرابٍ علىّ بن أبى (١)بٍ ؟ فتولَّى عثمانَ سِتَّ سنينَ من خلافتِه ، ثم شَهِدَ عليه بالكفرِ ! وفعلَ فى أمرِ علىٍّ مثلَ ذلك إلى أن حَكَّمَ ، ثم شَهِدَ عليه بالكفرِ ! ثم سأله عن

(١) الزيادة من ج .
(٢) فى ج « فأول » .
(٣) هو الأشعث بن قيس الكندى .
(٤) فى ج « الدَّنِيَّةُ » . وفى هـ « الدَّنِيَّةُ » .

معاويةَ ؟ فسبَّه سبًّا قبيحاً ! ثم سأله عن نَفْسِه ؟ فقال : أوّلُكَ لِزِنْيةٍ[1] وآخِرُكَ لِدِعْوَةٍ[2] ، وأنتَ بعدُ عاصٍ لربك ! ثم أَمَرَ به فضُرِبَتْ عنقُه ، ثم دعا مولاه فقال : صِفْ لى أُمورَه ؟ فقال : أأُطْنِبُ أم أختصِرُ ؟ فقال : بل اخْتَصِرْ ، فقال : ما أتيتُه بطعامٍ بنهارٍ قطُّ ، ولا فرشتُ له فِراشاً بليلٍ قطُّ .

وكان سببُ تسميتِهم الحَرُورِيَّةَ : أن عليًّا لمَّا ناظرهم بعد مناظرةِ ابن عباس رحمه الله إياهم ، فكان مما[3] قال لهم : ألاَ تعلمون أنَّ هؤلاءِ القومَ لمَّا رفَعوا المصاحفَ قلتُ لكم أن هذه مَكِيدةٌ ووَهْنٌ ، وأنهم لو قَصَدُوا إلى حُكْمِ المصاحفِ لم يأتونى ثم سألونى التحكيمَ ، أَفَعَلِمْتُمْ أنه كان منكم أحدٌ أكْرَهَ لذلك منِّى ؟ قالوا : اللهمَّ نَعَمْ . قال : فهل علمتُمْ أنكم استكرهتُمونِي على ذلك حتى أجبتُكم إليه ، فاشترطتُ أنَّ حُكْمَهُما نافذٌ ما حَكَما بِحُكْمِ الله عزّ وجلّ ، فإنْ خالفاه[4] فأنا وأنتم من ذلك بُرَآءُ ، أوَأنتم[5] تعلمون أنَّ حكمَ اللهِ لا يَعْدُونِي ؟ قالوا : اللهم نعم — وفيهم فى ذلك الوقت ابنُ الكَوَّاءِ[6] — وهذا مِن قَبْلِ أن تَذبحوا عبدَ الله بنَ خَبَّابٍ فإنما ذَبحوه بكَسْكَرَ فى الفُرْقةِ الثالثةِ — : فقالوا : حَكَّمْتَ فى دِينِ

---

(١) يشير إلى أنه غير معروف النسب .

(٢) يشير إلى أن معاوية ادعى أنه أخوه ، وأن أباه أبا سفيان ادعى أنه ابنه من سمية .

(٣) فى ه « كان مما » . وفى ج و د « كان فيما » .

(٤) فى ج و س و د و ه « فتى خالفاه » .

(٥) فى النسخ المذكورة « وأنتم » بدون الهمزة .

(٦) هو عبد الله بن الكواء . واسم الكواء : عمرو بن النعمان بن ظالم ، من بنى يشكر بن بكر بن وائل . وهنا فى حاشية ا ما نصه : «قال ابن دريد :رجل كواء : خبيث اللسان ، شتام للناس » . [illegible] الجمهرة لابن دريد (١ : ١٨٧) .

برأينا ، ونحن مُقرّونَ بأنّا قد كفَرنا ، ونحن تائبون ! فأَقْرِرْ بمثل ما أقررنا [به[١]] ، وتُبْ نَنْهَضْ معك إلى الشأمِ !! فقال : أَمَا تعلمونَ أن الله جلَّ ثناؤه قد أَمَرَ بالتحكيم فى شِقاقٍ بين رجلٍ وامرأةٍ[٢] ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ فابْعثُوا حَكَماً مِن أَهْلِهِ وحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا[٣] ﴾ وفى صيدٍ أُصِيبَ فى الحَرَمِ ، كأرنب يساوى رُبُعَ دينارٍ[٤] ، فقال عزّ وجلّ : ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ[٥] ﴾ فقالوا : إن عَمْراً لَمّا أَبَى عليكَ أن تقولَ فى كتابك «هذا ما كتبه عبدُ اللهِ علىٌّ أميرُ المؤمنين » مَحَوْتَ اسمكَ من الخلافة ، وكتبتَ « علىُّ بنُ أبى طالبٍ» فقال لهم رضى الله عنه : لِى برسول الله صلى الله عليه وسلم إِسْوَةٌ ، حيثُ أَبَى عليه سُهَيْلُ بن عَمرٍو أن يكتبَ « هذا كتابٌ كتبه محمدٌ رسولُ الله وسهيلُ بن عمرٍو » فقال : لو أقررنا[٦] بأنك رسولُ الله ما خالفناك[٧] ، ولكنّى أُقدِّمك لفضْلِك ، ثم قال : اكْتُبْ « محمدُ بن عبد الله » فقال لى : يا علىُّ ، امْحُ « رسولَ الله » فقلتُ : يارسول الله ، لا تَسْخُو نفسى بِمَحْوِ اسمِك من النبوّة ، فقال عليه السلام : قِفْنِى عليه[٨] ، فمحاهُ بيدِه صلى الله

---

(١) الزيادة من ج .

(٢) فى ج و س و د و هـ « وامرأته » .

(٣) سورة النساء آية ٣٥

(٤) فى ج و س و د و هـ « تساوى ربع درهم » .

(٥) سورة المائدة آية ٩٥

(٦) فى ج و س و د و هـ « لو أقررتُ » .

(٧) فى هذه النسخ « ما خلفتك » .

(٨) فى هذه النسخ « فقفنى عليه » .

عليه وسلم ، ثم قال اكتُبْ « محمدُ بنُ عبد الله » ثم تبسَّم إلىَّ فقال : ياعلىُّ ، أَمَا إنكَ ستُسامُ مِثْلَها فتُعْطِي[1]. فرَجعَ معه منهم ألفانِ من حَرُوراءَ[2]، وقد كانوا تَجمَّعوا بها ، فقال لهم علىٌّ صلواتُ الله عليه : مَا نُسَمِّيكُمْ ؟ ثم قال : أنتم الحَرُورِيَّةُ ، لاجتماعِكم بحَرُوراءَ .

وَالنَّسَبُ إلى مثلِ « حَرُوراءَ » « حَرُوراوِىٌّ » فاعْلَمْ ، وكذلك كلُّ ما كانَ فى آخره ألفُ التأنيثِ الممدودةِ ، ولكنه نُسِبَ إلى البلد بحذف الزوائد ، فقيل « الحَرُورِىّ » .

⁂

وقال الصَّلَتَانُ العَبْدِىُّ فى كلمةٍ له :

أرَى أُمَّةً شَهَرَتْ سَيْفَهَا ... وقد زِيدَ فى سَوْطِها الأصْبَحِي

بنَجْدِيَّةٍ وحَـــرُورِيَّةٍ ... وأزْرَقَ يَدْعُو إلى أزْرَقِ

فمِلَّتُنَا أنَّنَا المسلمونَ ... على دِينِ صِـدِّيقِنَا والنَّبِي

وفى هذا الشعرِ ممـا يُستحسَنُ قوله :

أشابَ الصغيرَ وأفْـنى الكبيرَ ... مُرُورُ اللَّيالِي وكَرُّ العَشِي[3]

إذا لَيـلَةٌ هَرَّمَتْ يومَهَا ... أتَى بعدَ ذلك يومٌ فَتِي

نَروحُ ونَغْدُو لِحَاجَاتِنَا ... وحاجةُ مَنْ عَاشَ لاتَنْقَضِي

---

(١) يشير إلى أمر المدنة فى عمرة الحديبية . وانظر سيرة ابن هشام (ص ٧٤٠ ـ ٧٥١ طبعة أوربة) وتاريخ ابن كثير (٤ : ١٦٤ ـ ١٧٧) .

(٢) حروراء : قرية قريبة من الكوفة .

(٣) فى ج و س و د و هـ « مَرُّ الغَدَاةِ وكَرُّ العَشِي » .

تَمُوتُ مع المَرْءِ حاجاتُه ... وتَبْــقَى له حاجة مَّا بَقِى

قوله « وقد زِيدَ فى سوطها الأَصْبَحِى » ، فإنه تُسمَّى هذه السياطُ التى يُعَاقِبُ بهاَ السلطانُ « الأَصْبَحِيَّةَ » وتُنْسَبُ إلى ذى أَصْبَحَ الحِمْيَرِىّ ، وكان مَلِكا من ملوك حِمْيَرَ ، وهو أَوّلُ من اتخذها ، وهو جدُّ مالك بن أنسٍ الفقيه رضى الله عنه .

« والنَّجْدِيَّةُ » تُنسَبُ إلى نَجْدةَ بن عُوَيْمِرٍ ، وهو عامرٌ الحنفىُّ ، وكَان رأساً ذَا مَقالةٍ منفردةٍ[1] من مَقالاتِ الخوارجِ ، وقد بَقِىَ من أهلها قومٌ كثيرٌ . وكَان نَجْدةُ يصلِّى بمكَّةَ بحذاء عبد الله بن الزُّبَيْرِ فى جَمْعِهِ فى كل جُمُعَةٍ ، وعبدالله يَطْلُبُ الخِلافةَ ، فيُمْسِكانِ عن القِتالِ من أَجْلِ الحَرَمِ . قال الرّاعِي يخاطبُ عبدَ المَلِكِ :

إنِّى حَلَفْتُ على يمينٍ بَرَّةٍ ... لا أَكْذِبُ اليومَ الخَلِيفةَ قِيلا
ما إنْ أَتيْتُ أبا خُبَيْبٍ وافِدًا ... يومًا أُريد بِبَيْعَتِى تَبْدِيلاَ[2]
ولا أَتيتُ نُجَيْدةَ بنَ عُوَيْمِرٍ ... أَبْغِي الهُدَى فيزيدَنى تَضْليلا
مِن نِعْمةِ الرحمن لا مِن حِيلتى ... إنِّى أُعَــدُّ له علىَّ فُضولاَ

وفى هذه القصيدة :

أَخَذُوا العَرِيفَ فَقَطَّعوا حَيْزُومَهُ ... بالاصْبَحِيَّةِ قائِمًا مَغْلُولاَ[3]

---

(١) فى ج و س و د و ﻫ « مفردة » .
(٢) « أبو خبيب » بالتصغير : كنية عبد الله بن الزبير .
(٣) العريف : القيم بأمور القبيلة أو الجماعة ، يتعرف منه أحوالهم . فهو فعيل بمعنى فاعل ، وجمعه « عرفاء » . والحيزوم : الصدر .

قوله « وأَزْرَقَ يدعُو إلى أَزْرَقِى » يريدُ مَن كان من أصحاب نافع بن الأزرقِ الحنفىّ ، وكان نافعٌ شجاعًا مُقَدَّمًا فى فِقْهِ الخَوارج . وله ولعبد الله بن عباسٍ مسائلُ كثيرةٌ ، وسنذكر جملةً منها فى هذا الكتاب ، إن شاء الله .

وقوله « عَلَى دين صِدِّيقنا والنبى » فالعربُ تفعلُ هذا ، وهو فى الواو جائز ، أن تبْدَأَ بالشىء ، وغيرُهُ المُقَدَّمُ(١) . قال الله عزَّ اسمُه : ﴿هو الَّذِى خلقكم فمنكم كافرٌ ومنكم مُؤمِنٌ(٢)﴾ وقال : ﴿ يامَعْشَرَ الجِنِّ والإِنْسِ(٣) ﴾ وقال : ﴿ واسْجُدِى وارْكَعِى مَعَ الرَّاكِعِينَ(٤) ﴾ وقال حسَّانُ بن ثابتٍ :

بهاليلُ منهم جعفرٌ وابنُ أُمِّهِ … علىٌّ ومنهم أحمدُ المُتَخَيَّرُ

يعنى : بنى هاشمٍ . ومن كلامِ العرب رَبيعةُ ومُضَرُ وَقيسٌ وخِنْدِفُ وسُلَيْمٌ وعامرٌ . وأصحابُ نافِعِ بن الأزرقِ هم ذَوُو الحَدِّ والجِدِّ(٥) ، وهم الذين أَحاطوا بالبصرةِ حتى تَرَحَّلَ أكثرُ أهلها منها ، وكان الباقون على التَّرَحُّلِ(٦) ، فَقَلَّدَ المُهَلَّبُ حَرْبَهم ، فهزَمهم إلى الفراتِ ، ثم هَزمهم إلى الأَهْوَازِ ، ثم أخرجهم عنها إلى فارسَ ، ثم أخرجهم إلى كِرْمَانَ . وفى ذلك يقول شاعرٌ منهم فى هذه الحربِ التى صاحِبُها صاحِبُ الزِّنجِ بالبَصْرَةِ(٧) ، يَرْثِى البلدَ ، ويذكر

---

(١) فى ج و س و د و ه « والمقدم غيره » .

(٢) سورة التغابن آية ٢ .

(٣) سورة الرحمن آية ٣٣ .

(٤) سورة آل عمران آية ٤٣ .

(٥) الحد بفتح الحاء المهملة : البأس والنفاذ فى النجدة . والجد بكسر الجيم : الاجتهاد والسرعة فى الأمر . قاله المرصفى .

(٦) فى ج و س و د « على الرِّحْلَةِ » .

(٧) قال المرصفى : «صاحب الزنج رجل ظهر أيام المهتدى بالله، يزعم أنه على بن محمد ، من ولد على=

المنْقَبةَ التى كانتْ لهم . [قال الأَخْفشُ : أنشدنيه يَزيدُ المُهَلبيُّ لنفسه] :

سَقَى اللهُ مِصْرًا خَفَّ أهلوهُ من مصْرِ ... وماذا الذى يَبْقَى على عُقَبِ الدَّهْرِ (١)

ولو كنتُ فيه إذْ أُبيحَ حَرِيمُهُ ... لَمُتُّ كَرِيمًا أو صَدَرْتُ على عُذْرِ

أُبِيحَ فلم أَمْلِكْ له غيرَ عَبْرَةٍ ... تُهِيبُ بها أَنْ حارَدَتْ لَوْعةُ الصَّدْرِ (٢)

ونحن رَدَدْنا أهلَها إذْ تَرَحَّلُوا ... وقد نُظِمَتْ خَيْلُ الأَزارِقِ بالجَسْرِ (٣)

ومَن يَخْشَ أَطْرافَ المَنايا فإنَّنَا ... لَبِسْنا لَهُنَّ السَّابغاتِ من الصَّبْرِ

فإنَّ كَرِيهَ المَوْتِ عَذْبٌ مَذاقُهُ ... إذا ما مَزَجْناهُ بِطِيبٍ من الذِّكْرِ

وما رُزِقَ الانسانُ مثلَ مَنِيَّةٍ ... أَراحتْ من الدنيا ولم تُخْزِ فى القبرِ

وفى هذا الشعرِ [يقولُ (٤)] :

لِيَشْكُرْ بنو العباسِ نُعْمَى تَجَدَّدَتْ ... فقد وَعَدَ اللهُ المَزِيدَ على الشُّكْرِ

= بن الحسين بن على بن أبى طالب . وجمهور النسابين اتفقوا على أنه على بن محمد بن عبدالرحيم، من بنى عبد القيس . دعا الناس إلى طاعته ، واستمال عدداً كثيراً من الزنوج ، يستعين بهم على العيث والفساد ، فأمر زنوجه وجنوده أن يلحوا على أهلها ، فانتشروا فى سكك البصرة يقتلون كل من وجدوه ، ودخلوا المسجد الجامع فأحرقوه» . ثم ذكر أن ذلك كان سنة ٢٧٠

(١) « عقب الدهر » : نوبه .

(٢) فى س « فلم أملك سوابق عبرة » . و «العبرة» الدمعة . وقوله «تهيب بها» أى تدعوها. وقوله « حاردت » بتقديم الراء : مستعار من قولهم «حاردت الناقة» إذا قل لبنها أو انقطع . وبحاشية ا مانصه : « ابن شاذان : يقال حاردت الناقة : إذا قل لبنها حرادا » .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِيُّ : الجَسْرُ بفتح الجيم ، وتسميِّه العامةُ جِسْراً . قال : وجمع الجَسْرِ جُسُورٌ » . والذى فى اللسان وغيره أنه بفتح الجيم وكسرها ، لغتان . ونقل المرصفى عن ياقوت : « أنهم إذا أطلقوا الجسر ولم يضيفوه إلى شىء فانما يريدون به الجسر الذى كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس قرب الحيرة على الفرات ، وكان أهل الحيرة يعبرونه إلى ضياعهم » .

(٤) الزيادة من س .

لقد جَنَبْتُكم أُسْرةٌ حسدتكم فسَلّتْ على الإسلام سيفاً من الكُفْرِ (١)
وقد نغّصتْهُمْ جَوْلةٌ بعد جولةٍ يُبِيتون فيها المسلمين على ذُعْرِ (٢)

وقال عبدُ الله بن قيسِ الرُّقيّاتِ :

ألا طرقتْ مِن أهلِ بَيْبةَ طارقهْ على أنّها مَعْشوقةُ الدَّلِّ عاشِقَهْ (٣)
تَبِيتُ وأرضُ السُّوسِ بيْني وبَينها وسُولافُ رُسْتاقٌ حمَتْهُ الأزارقهْ (٤)
إذا نحنُ شِئْنا صادفتْنا عِصابةٌ حَروريّةٌ أضْحتْ مِن الدِّين مارِقهْ

وكان مقدارُ مَنْ أصابَ عليٌّ صلوات الله عليه منهم بالنَّهْرَوانِ ألفين وثمانِي مائةٍ ، في أصحِّ الأقاويلِ ، وكان عَدَدُهُمْ ستةَ آلاف ، وكان منهم بالكوفة زُهاءُ ألفين ممن يُسِرُّ أمْرَهُ ولم يَشْهَدِ الحربَ ، فخرج منهم رجلٌ بعدَ أنْ قال عليٌّ رضوان الله عليه : ارْجِعُوا وادْفَعُوا إلينا قاتِلَ عبد الله بن خَبَّابٍ ، فقالوا : كُلُّنا قتَلَهُ وشَرِكَ في دَمِه ! ثم حَمَلَ منهم رجلٌ على صَفِّ عليٍّ ، وقد قال عليٌّ : لا تبْدَؤُوهم بقتالٍ ، فقتَلَ من أصحاب عليٍّ ثلاثةً وهو يقولُ :

أُقَتِّلُهُمْ ولا أرَى عَلِيَّا ولو بَدَا أَوْجَرْتُهُ الخَطِّيَّا

فخرج إليه عليٌّ صلوات الله عليه فقتله ، فلما خالطه السيفُ قال : حَبَّذا

(١) في ج و س و د و ه « لقد حَبَبْتُكُمْ ».

(٢) في هذه النسخ « وقد بَغَّضَتْهُمْ » . وفي ج « على وِتْرِ » . وفي س و د و ه « على وَتْرِ » .

(٣) في ج و س و د و ه « من أهل بَثْنَةَ » .

(٤) « سولاف » قرية من أرض خوزستان . و « الرستاق » ويقال « الرزداق » بضم أوله وسكون ثانيه فيهما : اسم للسواد والقرى .

الرَّوْحةُ إلى الجنةِ ، فقال عبد الله بنُ وَهْبٍ : ماأَدْرِى أَإلَى الجنةِ أم إلى النار؟ فقال رجلٌ من [بَنِى[1]] سعدٍ : إِنَّما حَضَرْتُ اغتراراً بهذا ، وأُراه قد شَكَّ ! ! فانخزلَ بجماعةٍ من أصحابه ، ومال أَلْفٌ إلى ناحية أبى أيوبَ الأنصارىِّ ، وكان رحمه الله على مَيْمنةِ علىٍّ ، وجعل الناسُ يتسلَّلونَ ، وقد قال علىٌّ ، وقيلَ له : إنهم يريدونَ الجَسْرَ ؟ فقال : لن يبلغوا النُّطْفَةَ ، وجَعل الناسُ يقولون له فى ذلك ، حتى كادوا يَشُكُّونَ ، ثم قالوا : قد رَجَعُوا يا أمير المؤمنين ، فقال : واللهِ ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ ، ثم خرج إليهم فى أصحابه ، وقد قال لهم : إنه والله ما يُقتَلُ منكم عَشَرَةٌ ، ولا يُفلِتُ منهم عشرةٌ ، فَقَتِلَ من أصحابه تسعةٌ ، وأفْلَتَ منهم ثمانيةٌ .

☆☆☆

قال أبو العباس : وقيل : أولُ مَنْ حَكَّمَ ولَفَظَ بالحكومة ولم يُشِدْ بها رجلٌ من بنى سَعْدِ بن زيدِ مَناةَ بن تميم بن مُرٍّ ، من بنى صَريمٍ[2] ، يقال له الحَجَّاجُ بنُ عبد الله ، ويُعرَفُ بالبُرَكِ ، وهو الذى ضربَ معاوية على أَلْيَتِهِ ، فإنه لمَّا سَمِعَ بذكر الحَكَمَيْنِ قال : أَيحَكَّمُ فى دِينِ الله ؟ لاحُكْمَ إلاَّ للهِ ! فسمعه سامعٌ فقال : طَعَنَ واللهِ فأنْفَذَ[3] .

وأوّلُ مَنْ حَكَّمَ بين الصَّفَّيْنِ رجلٌ من بنى يَشْكُرَ بنِ بكرِ بنِ وائلٍ ،

---

(١) الزيادة من س .

(٢) فى هـ « ثم من بنى صريم » .

(٣) قال المرصفى : « مستعار من : طعنه برمحه فأنفذه . يريد : أصاب بقوله فلم يخطئ المرمى » .

فإنه كان فى أصحاب علىٍّ ، فحمل على رجلٍ منهم فقتله غِيلةً ، ثم مرق بين الصفَّين فحكَّم ، وحمل على أصحاب معاوية ، فكثروه ، فرجع إلى ناحية علىٍّ صلوات الله عليه ، فحمل على رجل منهم ، فخرج إليه رجلٌ من همْدانَ فقتله ، فقال شاعرُ همْدانَ :

ما كان أغنَى اليشْكُرِىَّ عن التِى ... تَصلَّى بها جمْرًا من النار حامِيَا
غَداةَ يُنادِى والرماحُ تَنوشُهُ ... خَلَعْتُ عَليًّا بادِيًا ومُعاويَا[1]

وجاء فى الحـديث ، أن عليًّا رضى الله عنه تُلِىَ بحضرته : ﴿ قُلْ هل نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً ، الذين ضَلَّ سَعْيُهُمْ فى الحياة الدُّنيا وهم يَحْسَبُونَ أنهم يُحْسِنونَ صُنْعًا[2] ﴾ فقال علىٌّ : أهلُ حَرُوراءَ منهم .

ورُوِىَ عن علىّ صلوات الله عليه : أنه خرج فى غداةٍ يُوقِظُ الناسَ للصلاةِ فى المسجد ، فمرَّ بجماعةٍ تتحدثُ ، فسَلَّمَ وسلَّموا عليه ، فقال وقبَضَ على لحيته : ظننتُ أنَّ فيكم أشقاها ، الذى يَخْضِبُ هذه من هذه . وأوْمأَ بيَدِهِ إلى هامَتِهِ ولِحيَتِهِ .

ومن شعرِ علِىّ بن أبى طالبِ [أميرِ المؤمنين[3]] الذى لااختلافَ فيه أنه قاله، وأنه كان يُرَدِّدُهُ : أَنَّهمْ لَمَّا ساموهُ[4] أن يُقِرَّ بالكفر ويتوبَ حتى يَسيرُوا معه إلى الشأم ، فقال : أَبَعْدَ صُحْبَة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتَفَقُّه فى الدِّين أرْجِعُ كافراً ! ؟

---

(١) « تنوشه » أى : تناله .
(٢) سورة الكهف آية ١٠٣ ، ١٠٤ .
(٣) الزيادة من س و د .
(٤) فى د « سألوه » .

ياشاهِدَ اللهِ علىَّ فاشْهَدِ   أَنِّى على دِينِ النبىِّ أَحْمَـــدِ

☆ مَنْ شَكَّ فى اللهِ فإِنِّى مُهْتَدِى ☆

ويُرْوَى :   ☆ أَنِّى تَوَلَّيْتُ وَلِىَّ أحمدِ ☆

ويُروى : « أن رجلاً أسودَ شديدَ بياضِ الثياب وقفَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسمُ غنائم خَيْبَر، ولم تكن إلاَّ لِمَنْ شهد الحُدَيْبية فأقبلَ ذلك الأسودُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فقال : ماعَدَلْتَ مُنْذُ اليومِ ! فغضِبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى رُؤِىَ الغضبُ فى وجهه. فقال عمرُ بن الخطاب : أَلاَ أقتلُه يارسولَ الله ؟ فقال رسولُ الله : إنه سيكونُ لهذا ولأصحابِه نَبأٌ ».

وفى حديثٍ آخرَ: «أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال له : وَيْحَكَ ! فَمَنْ يَعْدِلُ إذا لم أَعْدِلْ ؟ ثم قال لأبى بكرٍ : اقْتُـلْه ، فمضَى ثم رجَع ، فقال : يا رسول الله ! رأيتُه راكعاً ، ثم قال لعمرَ : اقْتُـلْهُ ، فمضَى ثم رجَع ، فقال : يا رسول الله ! رأيْتُهُ ساجداً ، ثم قال لعلِىٍّ : اقْتُـلْه ، فمضَى ثم رجَع ، فقال : يا رسول الله ! لم أَرَهُ ، فقال رسولُ الله : لو قُتِلَ هذا ما اختلفَ اثنانِ فى دِينِ الله » .

قال أبو العباس : وحدثنى إبرٰهيمُ بن محمد التَّيْمِيُّ قاضِى البَصْرةِ[1] فى

(١) هو إبرهيم بن محمد بن عبدالله بن عبيد الله التيمى المعمرى ، يكنى أبا إسحق. روى عن يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدىّ وغيرهما ، وروى عنه أبو داود والنسائى . مدحه أحمد ووثقه النسائى والدارقطنى . ولى قضاء البصرة سنة ٢٣٩ ومات سنة ٢٥٠ وهو على القضاء .

إِسْنادٍ ذكره : « أن عليًّا رضى الله عنه وَجَّهَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذَهَبة من اليمنِ ، فقَسَمها أرْبَاعًا ، فأَعطى رُبُعًا للأقْرَعِ بن حَابِسٍ المُجاشِعِيِّ ، ورُبُعًا لزَيْدِ الخَيْلِ الطائىّ ، ورُبْعًا لعُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ الفَزارِىِّ ، ورُبْعًا لعَلْقَمَةَ بن عُلاَثَةَ الكِلاَبىّ . فقام إليه رجلٌ مُضْطَرِبُ الخَلْقِ ، غَائرُ العينين ، نَاتِئُ الجبهةِ ، فقال [له[1]] : لقد رأيتُ قِسمةً ما أُرِيدَ بها وَجْهُ اللهِ ! ! فغَضِبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى تَوَرَّدَ خَدَّاهُ ، ثم قال : أَيأْمَنُنِى الله عزَّ وجلَّ على أهل الأرضِ ولا تَامَنُونِى ؟ فقام إليه عمرُ فقال : أَلاَ أَقتلُه يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إنه سيكونُ من ضِئْضِئِ[2] هذا قومٌ يَمْرُقونَ من الدِّين كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ ، تَنْظُرُ فى النَّصْلِ فلا تَرَى شيئًا ، وتَنظرُ فى الرِّصَافِ فلا تَرَى شيئًا ، وتَتَمارَى فى الفُوقِ[3] » .

قوله صلى الله عليه وسلم « مِنْ ضِئْضِئِ هذَا » أى : من جنس هذا . يقال : فلانٌ مِن ضِئْضِئِ صِدْقٍ ، ومِن مَحْتِدِ صِدْقٍ[4] ، وفى مُرَكَّبِ صِدْقٍ . وقال جَرِيرٌ للحَكَمِ بن أَيُّوبَ بن الحَكَمِ بن أبى عَقِيلٍ ، وهو ابنُ عمِّ الحجاج ، وكان عامِلَهُ على البصرةِ :

---

(١) الزيادة من ج .

(٢) هنا بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِيُّ . قال الاموىُّ : الضِّئْضِئُ : الأصلُ » .

(٣) هذه الأحاديث التى ذكرها المؤلف ورد شئ من معناها فى كتب السنة. والحديث الأخير ورد معناه بقريب منه من حديث أبى سعيد الخدرى ، رواه أحمد والبخارى ومسلم وغيرهما . وانظر المنتقى للمجد بن تيمية (رقم ٤١٢٤ — ٤٢١٩) وشرحه نيل الأوطار للشوكانى (٧ : ٣٣٨ — ٣٥٢) .

(٤) فى ج و س و د و هـ « وفى محتد صدق »

أَقْبَلْنَ مِن ثَهْلاَنَ أو وَادِى خِيَمْ　　على قِلاَصٍ مثلِ خِيطَانِ السَّلَمْ
إذا قَطَعْنَ عَامًا بَدَا عَــــلَمْ　　حتى أَنَخْناهَا إلى باب الحَــكَمْ
خَليفةِ الحَجَّاجِ غــــيرِ المتَّهَمْ　　فى ضِئْضِئِ المَجْدِ وبُحْبُوحِ الــكَرَمْ

ويقال « مَرَقَ السهمُ من الرمِيَّة » إذا نَفَذَ منها ، وأكثر ما يكونُ ذلك أن لا يَعْلَقَ به من دَمِها شىء ، وأقطعُ ما يكونُ السيفُ إذا سَبَقَ الدمَ . قال امرؤُ القيس بن عابسٍ الــكِنْدِىُّ :

وقد أختَلِسُ الضَّرْبَــ　　ةَ لا يَدْمَى لهــا نَصْلِى

فأمَّا ماوضَعه(١) الأصمعىُّ فى كتاب الاختيارِ فعلى غَلَطٍ وُضِــعَ . وذكر الأصمعىُّ أن الشِّعرَ لإِسحق بن سُوَيْدٍ الفقيه(٢) ، وهو لأعرابىٍّ لا يَعْرِفُ المقالاتِ التى يَمِيلُ إليها أهلُ الأهْواء ، أَنشدَ الأصمعىُّ :

برئتُ من الخَوارجِ لستُ منهم　　مِنَ الغزَّالِ منهم وابنِ بابِ
ومِنْ قــــومٍ إذا ذَكَروا عَلِيًّا　　يَرُدُّونَ السَّلامَ على السَّحابِ
ولــكِنِّى أُحِبُّ بكلِّ قلبى　　وأَعْلَمُ أنَّ ذاكَ من الصَّوابِ
رســـولَ الله والصِدِّيقَ حُبًّا　　به أرجُو غَدًا حُسْنَ الثَّوابِ

فإنّ قولَه « من الغزَّال منهم » يعنى واصِلَ بن عَطاء ، وكان يُــكْنَى أباحُذَيْفَةَ ، وكان معتزليًّا ، ولم يكن غزَّالاً ، ولــكنه كان يُلقَّبُ بذلك ، لأنه كان يَلْزَمُ

(١) فى ج و د « وصفه » .
(٢) هذا الذى نسبه المبرد للأصمعىّ نقله عنه الجاحظ فى البيان والتبيين (١ : ٣٥) قال : « قال أبو عثمان : فمن ذلك ما أخبرنا به الأصمعىّ قال : أنشدنى المعتمر بن سليمان لإسحق بن سويد العدوىّ » . فذكر الأبيات الآتية .

الغَزَّالِين ، لِيعرِفَ المُتعفِّفاتِ من النساء ، فيجعلَ صَدَقتَهُ لهنَّ ، وكان طويلَ العُنُقِ . ويُرْوَى عن عمرِو بن عُبَيْدٍ ، أنه نظَرَ إليه من قبلِ أن يكلِّمَه ، فقال : لا يُفْلِحُ هذا ما دامتْ عليه هذه العُنُقُ !

وقال بَشَّارُ بن بُرْدٍ يهجُو وَاصلَ بن عَطاءٍ :

ماذا مُنِيتُ بغزَّالٍ له عُنُقٌ كَنِقْنِقِ الدَّوِّ إنْ وَلَّى وإنْ مَثَلَا(١)

عُنْقَ الزَّرافةِ ما بَالِي وبالُكُمُ تُكَفِّرُونَ رجالاً أكفروا رَجُلَا(٢)

ويُرْوَى ، لا بَلْ كأنه لا يَشُكُّ فيه : إن بَشَّاراً(٣) كانَ يَتعصَّبُ للنَّارِ على الأَرضِ ، ويُصوِّبُ رأيَ إبليسَ — لعنه الله — في امتناعِه من السجودِ لِآدمَ عليه السلام ، ويُرْوَى له(٤) :

الأَرضُ مُظْلِمةٌ والنارُ مُشْرِقةٌ والنارُ مَعْبودةٌ مُذْ كانتِ النارُ

فهذا ما يَروِيه المتكلمونَ .

وقتَلَهُ [أميرُ المؤمنين(٥)] المَهْدِيُّ علَى الإلحادِ . وقد رَوَى قومٌ أنّ كُتُبَهُ فُتِّشَتْ فلم يُصَبْ فيها شيءٌ مما كان يُرْمَى به ، وأُصيبَ له كتابٌ

---

(١) « النقنق » بكسر النونين وبفتحهما : الظليم . و « الدو » بفتح الدال وتشديد الواو : الفلاة الواسعة . و « مثل » بفتح الثاء المثلثة وبضمها ، « يمثل » بضم الثاء : أى أقام .

(٢) فى س « كفروا رجلا » . وهنا فى حاشية ا ما نصه : « الزرافة : الجماعة . وإنما سميت به هذه الزرافة لأنها تجمع أشياء من خلق البهائم » .

(٣) فى ج « كأنه لا يُشَكُّ فيه أنَّ بشاراً » .

(٤) قال المرصفى فى قوله « ويروى لا بل الخ » : « هذه عبارة سخيفة ! يريد : أن السبب فى هجائه ليس ما ذكره بشار من نسبة الكفر إلى أصحابه ، إذ نسبوه إلى واصل ، وإنما السبب ما بلغه من إنكار واصل قوله بفضل النار ويصوب رأى إبليس . وكلمة : كأنه لا يشك فيه : معترضة » .

(٥) الزيادة من ج و س و د و هـ .

بصيرة أهل دعوتى هجاء آل سُلَيْمانَ بن علىّ ، فذكرتُ قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسكتُ منهم [إلاّ أنى قلتُ :

دِينارُ آل سُلَيْمانٍ وَدِرْهَمُهُمْ كَبابِلِيَّيْنِ حُفَّا بالعَفارِيتِ
لا يُرْجَيانِ ولا يُرْجَى نَوالُهما كما سَمِعْتَ بهارُوتٍ ومارُوتِ](١)

وحدثنى المازِنىُّ قال : قال رجلٌ لبَشّارٍ : أتأكلُ اللَّحْمَ وهو مُبايِنٌ لدِيانَتِك ؟! يَذْهَبُ [به(٢)] إلى أنه ثَنَوِىٌّ ! قال : فقال بَشّارٌ : ليسوا يَدْرُونَ أنَّ [هذا(٢)] اللَّحمَ يَدْفَعُ عنى شَرَّ هذه الظُّلْمَةِ .

وكان واصلُ بنُ عطاءٍ أحدَ الأعاجيبِ ، وذلك أنه كان أَلْثَغَ قَبيحَ اللُّثْغَةِ فى الرّاءِ ، فكان يُخَلِّصُ كلامَه من الراء ، ولا يُفطَنُ بذلكَ(٣) ، لاقتدارِه وسهولةِ ألفاظِه . ففى ذلك يقولُ شاعرٌ من المعتزلة ، يمدحُه بإطالته الخُطَبَ واجتنابِه الراءَ ، على كثرة تردُّدِها فى الكلام ، حتى كأنها ليستْ فيه :

عَليمٌ بإبدالِ الحُروفِ وقامِعٌ لِكلِّ خَطيبٍ يَغْلِبُ الحقَّ باطِلُهْ

وقال آخرُ :

ويَجْعَلُ البُرَّ قَمْحاً فى تَصَرُّفِهِ وخالَفَ الراءَ حتى احتالَ للشَّعَرِ(٤)
ولم يُطِقْ مَطَراً والقولُ يُعْجِلُهُ فعاذَ بالغَيْثِ إشْفاقاً من المَطَرِ

---

(١) الزيادة من حاشية ا .
(٢) الزيادة من ج و س و د و ه .
(٣) فى ج و س و ه « بذلك » .
(٤) فى نسخة بحاشية ا « وجانَبَ الراءَ » .

ومما يُحْكَى[١] عنه قولُه ، وذَكَرَ بَشَّاراً : أَمَا لهذا الأعمى ، وكان طويلَ بأبي مُعاذٍ مَنْ يَقْتُلُه ؟ ! أَمَا واللهِ لولا أنَّ الغيلةَ خُلُقٌ من أخْلاَقِ الغَالِيةِ[٢] لَبَعَثْتُ إليه مَنْ يَبْعَجُ بطنَه على مَضْجَعِهِ ، ثم لايكونُ إلاَّ سَدُوسِيًّا أو عُقَيْلِيًّا.

فقال « هذا الأعمى » ولم يقل بَشَّاراً ، ولا ابنَ بُرْدٍ ، ولا الضَريرَ. وقال « من أخلاقِ الغالية » ولم يقل المغيريَّةِ ، ولا المَنْصوريةِ . وقال « لبعثتُ إليه » ولم يقل لأرسلتُ إليه . وقال « على مَضْجَعِه » ولم يقل على فراشِهِ ، ولا مَرْقَدِهِ . وقال « يَبْعَجُ » ولم يقل يَبْقُرُ . وذَكَرَ « بنى عقيل » لأنَّ بشاراً كان يتَوالَى إليهم . وذكر « بنى سَدُوسٍ » لأنه كان نازلاً فيهم . واجْتِنابُ الحروفِ شديدٌ .

قال : ولمَّا سقطت ثَنايا عبدِ المَلكِ [بنِ مروانَ فى الطَّسْتِ[٣]] قال : واللهِ لولا الخُطْبةُ والنساءُ ما حَفَلْتُ بها .

قال : وخطب الجُمَحِيُّ ، وكان مَنْزوعَ إحدَى الثَّنِيَّتَيْنِ ، وكان يَصْفِرُ إذا تكلّمَ ، فأجاد[٤] الخُطْبَةَ ، وكانت لِنكاحٍ ، فردَّ عليه زيدُ بن عليٍّ بن الحسين كلامًا جيِّداً ، إلاَّ أنه فَضَلَهُ بتمكُّنِ الحروفِ[٥] وحُسْنِ مَخارجِ الكلامِ ،

---

(١) فى ج و س و د و هـ « حُكِيَ » .
(٢) « الغيلة » القتل غدرا من حيث لا يشعر المقتول . و « الغالية » طائفة من الشيعة جاوزوا الحدّ فى حق أئمتهم .
(٣) الزيادة من هـ .
(٤) فى ج و س و د و هـ « وأجاد » .
(٥) فى هذه النسخ « بتمكين الحروف » .

بصيرة أن دعو معاوية بن عبد الله بن جعفرٍ يذكرُ ذلك :

ابنُ عيابِ مخارجُها وتمَّ حُروفُها فَلَهُ بذاكَ مَزِيَّةٌ لا تُنْكَرُ

« المزيّةُ » الفضيلةُ .

وأمّا قولُه « وابنُ بابٍ » فإنه(١) ، عَمرُو بن عُبَيْدِ بن بَابٍ ، وكان(٢) مَوْلَى بَنِي العَدَوِيَّةِ ، مِن بنى مالك بن حَنْظَلَة . فهذان مُعْتَزِلِيَّانِ ، وليسا مِن الخوارجِ ، ولكن قَصَدَ إسحقُ بن سُوَيدٍ إلى أهل البِدَعِ والأَهْواءِ ، أَلاَ تَراه ذَكر الرافضةَ معهما ، فقال :

ومِن قَوْمٍ إذا ذَكَرُوا عَلِيًّا أَشارُوا بالسَّلامِ على السَّحابِ

ويُرْوَى : ٭ يَرُدُّونَ السَّلامَ على السَّحابِ ٭

⁂

ثم نرجِع إلى ذِكر الخوارِج .

قال [أبو العباس(٣)] : فلما قَتَلَ عليٌّ [بنُ أبى طالبٍ(٤)] أهلَ النَّهْرَوَانِ، وكان(٥) بالكوفةِ زُهاءُ ألفينِ من الخوارِجِ ، ممن لم يَخْرُجْ مع عبد الله بن وهبٍ ، وقومٌ ممن استَأْمَنَ إلى أبى أيوبَ الأنصاريِّ ، فتجمعوا وأَمَّرُوا عليهم رجلاً من طَيِّئٍ ، فوَجَّهَ إليهم عليٌّ صلوات الله عليه رجلاً ، وهم بالنُّخَيْلَةِ ،

(١) فى ج و س و د و هـ « فهو » بدل « فانه » .
(٢) فيها أيضاً « وهو » بدل « وكان » .
(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ . وفيها « لما » بدل « فلما » .
(٤) الزيادة من ج و س و هـ .
(٥) فى ج و س و د و هـ « كان » بدون الواو ، وبها طبعت طبعات مصر .

فدعاهم ورَفَقَ بهم، فأَبَوْا، فعاوَدهُم فأَبَوْا، فقَتَلُوا جميعا. نخرجَ، وكان طويلَ نحْوَ مكة، فوَجَّهَ[1] معاويةُ مَنْ يُقيمُ للناسِ حَجَّهم، فناوشَ... الخوارجُ، فبلغَ ذلك معاويةَ فوجه بُسْرَ بن أَرْطاةَ، أحدَ بنى عامرِ بن لُؤَىّ، فتوافقُوا وتراضَوْا بعدَ الحرب بأن يصلىَ بالناس رجلٌ من بنى شَيْبَةَ، لئلا يفوتَ الناسَ الحجُّ، فلمـا انقضى نَظَرَتِ الخوارجُ فى أمرها، فقالوا: إن عليًّا ومعاويةَ قد أفسدا أمرَ هذه الأمةِ، فلو قتلناهما لعادَ الأَمرُ إلى حقِّهِ! وقال رجلٌ مِن أَشْجَعَ: واللهِ ما عَمرٌو[2] دونهما، وإنه لَأَصْلُ هذا الفسادِ. فقال عبدُ الرحمن بن مُلْجَمٍ [المرادىُّ لعنةُ الله عليه[3]]: أَنا أَقتلُ عليًّا، فقالوا: وكيفَ لكَ به؟ قال: أَغْتالُهُ. فقال الحجَّاجُ بنُ عبد الله الصَّرِيمىُّ، وهو البُرَكُ: وأنا أقتلُ معاويةَ. وقال زاذَوَيْهِ مَوْلَى بنى العَنْبَرِ بن عَمرو بن تَميمٍ: وأنا أقتلُ عَمْراً. فأَجمَعَ رأيُهم على أن يكونَ قتلُهم فى ليلةٍ واحدةٍ، فجعلوا تلك الليلةَ ليلةَ إحدى وعشرينَ مِن شهر رمضانَ، فخرج كلُّ واحدٍ منهم إلى ناحيةٍ، فأتى ابن مُلْجَمٍ الكوفةَ، فأَخْفَى نفسَه وتزوَّجَ امرأةً يقالُ لهـا قَطامِ بنتُ عَلْقمةَ من تَيْمِ الرِّبابِ، وكانتْ تَرَى رَأْىَ الخوارِجِ، إنِ والأحاديثُ تختلفُ، وإنمـا يُؤْثَرُ صحيحُها، ويُرْوَى فى بعض الأحاديثِ[4] أَنها قالتْ: لا أَقْنَعُ منكَ إلاَّ بِصَداقٍ أُسَمِّيه لكَ، وهو ثلاثةُ آلافِ درهمٍ،

---

(١) فى النسخ المذكورة «وقد وجه».

(٢) يعنى عمرو بن العاص.

(٣) الزيادة من س.

(٤) فى ج و س و هـ «فى بعض الحديث».

بصيرة أنل دعون تَقتُلَ عليًّا ! فقال لها : لَكِ ما سألتِ ، فكيف َ(١) لِي به ؟ ثب ابنُ عبام ذلك غِيلَةً ، فإنْ سَلِمْتَ أرحتَ الناسَ منْ شَرٍّ ، وأقمتَ مع أهلِكَ ، وإنْ أُصِبْتَ سِرْتَ(٢) إلى الجنةِ ونعيمٍ لا يزولُ ! فأَنْعَمَ لها(٣) [بذلك(٤)] . وفى ذلك يقولُ(٥) :

ثلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وَقَيْنَةٌ وَضَرْبُ عليٍّ بالحُسامِ المُصَمِّمِ
فلا مَهْرَ أَغْلَى من عليٍّ وإنْ غَلاَ ولا فَتْكَ إلاَّ دُونَ فَتْكِ ابْنِ مُلْجَمِ

[قال أبو العباس(٦)] : وقد ذكروا أنَّ القاصدَ إلى معاويةَ يزيدُ بن مُلْجَمٍ ، والقاصدَ إلى عَمرٍو آخرُ من بَنِى مُلْجَمٍ ، وأنَّ أباهم نهاهم ، فلمَّا عَصَوْهُ قال : استَعِدُّوا(٧) للموتِ ، وأنَّ أُمَّهُمْ حَضَّتْهُمْ على ذلك . والخبرُ الصحيحُ ماذكرتُ لك أولَ مرَّةٍ .

فَأَقامَ ابنُ مُلجَمٍ ، فيقالُ : أنَّ امرأتَه قَطامِ لامَتْهُ ، وقالت : أَلاَ تَمْضِى لما قَصَدْتَ [له(٨)] ؟ لَشَدَّ ماأَحْبَبْتَ أهلكَ(٩) ! قال : إنِّى قد وَعَدْتُ صاحِبَيَّ

---

(١) فى س و د و هـ « وكيف » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « خرجتَ » .

(٣) « أنعم لها » أى : قال لها : نعم .

(٤) الزيادة من س .

(٥) قال المرصفى : « بل قائله ابن أبى مياس المرادىّ » .

(٦) الزيادة من ج .

(٧) فى س و د و هـ « فاسْتَعِدُّوا » .

(٨) الزيادة من ج و س و د هـ .

(٩) فى س و د « أَجَبْتَ » .

وقتاً بعينه . وكان هنالك رجلٌ من أَشْجَعَ ، يقال له شَبِيبٌ، وكان طويلَ عبدُ الرَّحمن .

ويُرْوَى : أنَّ الأشْعَثَ نظرَ إلى عبد الرحمن متقلداً سيفاً فى بنى كِنْدَةَ ، فقال : ياعبدَ الرَّحْمن ، أَرِنِى سيفك ، فأراهُ [إياه][١] ، فرَأى سيفاً حديداً ، فقال : ماتقَلُّدُكَ [هذا][٢] السيفَ وليس بأَوانِ حَرْبٍ ؟ فقال : إِنى أردتُ أن أَنْحَرَ بهِ جَزُورَ القَرْيَةِ ! فرَكِبَ الأشْعَثُ بغلتَه وأَتَى عليًّا صلوات الله عليه فَخَبَّرَهُ ، وقال له : قد عرفتَ بَسَالةَ ابنِ مُلجمٍ وَفَتْكَه ، فقال علىٌّ : ماقتَلنى بَعْدُ !!

وَيُرْوَى : أنَّ عليًّا رضوان الله عليه كان يخطبُ مَرَّةً وَيُذَكِّرُ أصحابَهُ ، وابنُ مُلجمٍ تِلْقاءَ المِنْبَرِ ، فَسَمِعَ وهو يقولُ : والله لأُرِيحَنَّهُمْ منكَ ! فلمَّا انصرفَ علىٌّ صلوات الله عليه إلى بيته أُتِىَ به مُلَبَّباً ، فأَشْرَفَ عليهم ، فقال : ما تريدونَ ؟ فخَبَّرُوهُ بما سمعوا ، فقال : ما قتلنى بَعْدُ! فخَلَّوْا عنه .

ويُرْوَى : أن عليًّا كان يَتمثَّلُ إذا رآه ببيت عَمرِو بن مَعْدِى كَرِبَ فى قَيْسِ بن مَكْشُوحٍ المُرَادِىِّ ، والمكشوحُ هُبَيْرةُ ، وإنما سُمِّى بذلك لأنه ضُرِبَ على كَشْحِهِ :

أُريدُ حِباءَهَ ويُريدُ قَتْلِى عَذِيرَكَ مِنْ خَليلِكَ من مُرَادِ[٣]

(١) الزيادة من ه .

(٢) الزيادة من ج و د و ه .

(٣) فى د « أُريدُ حياتَهُ »

بصيرة أهل [illegible]، حتى أكثرَ عليه ، فقال له المُرادِىُّ : إنْ قُضِىَ شىءٌ كانَ ، [illegible] ابن عباس : كأنك قد عرفتَه وعرفتَ ما يُريدُ بك ، أفَلاَ تقتلُه ؟ فقال : كيف أَقتُلُ قاتِلِي ؟ !

فلمّـا كان ليلةَ(١) إحدَى وعشرين من شهر رمضانَ ، خَرجَ ابنُ مُلْجَم وشَبيبٌ الأشْجَعِىُّ ، فاعْتَوَرَا البابَ الذى يَدخلُ منه علىٌّ رضى الله عنه، وكان علىٌّ [يَخْرجُ(٢)] مُغَلِّساً ، ويُوقِظُ الناسَ للصلاةِ ، فخرج كما كان يفعلُ ، فضربه شَبيبٌ فأخطأَه ، وأصابَ سيفُهُ البابَ ، وضربه ابنُ مُلْجَم على صُلْعَتِهِ(٣) ، فقال علىٌّ : فُزْتُ وَربِّ الكَعْبَةِ ! شَأْنَكُمْ بالرَّجُلِ . فيُرْوَى عن بعضِ مَن كان بالمسجدِ(٤) من الأنصار قال : سمعتُ كلمةَ علىٍّ ، ورأيتُ بريقَ السيفِ . فأمَّا ابنُ مُلْجَم فحَمَلَ على الناسِ بسيفِه فأفْرَجُوا له ، وتَلَقَّاهُ المُغيرةُ بن نَوْفَلِ بن الحرثِ بن عبد المطّلِبِ بقَطِيفةٍ ، فرَمَى بها عليه، واحتَمَلَه فضَرب به الأرضَ ، وكان المغيرةُ أيِّداً(٥) ، فقعَدَ على صدرِه . وأمَّا شَبيبٌ فانتَزع السيفَ منه رجلٌ مِن حَضْرَمَوْتَ ، وصَرَعَهُ وقعد على صدرِه . وكَثُرَ

---

(١) فى ج « فلمـا كانت ليلةُ »

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٣) « الصَّلَعَةُ » و « الصُّلْعَةُ » موضع الصلع من الرأس ، بفتح الصاد مع فتح اللام ، وضم الصاد مع سكون اللام . وأما فتح الصاد مع سكون اللام — كما فى طبعات مصر — فخطأ .

(٤) فى ج و س و د و هـ « فى المسجد » .

(٥) « الأيِّد » بفتح الهمزة وكسر الياء المشددة : القوىّ .

الناسُ ، فجعلوا يَصيحون : عليكم صاحبَ السيفِ، فخاف الحَضْرَمىُّ ، وكان طويلَ عليه ولا يَسْمعُوا عُذْرَه ، فرَمَى بالسيفِ ، وانْسَلَّ شَبيبٌ بينَ الناسِ ، ثم انْسَلَّ [بابنِ مُلْجَمٍ[1]] على علىٍّ رضوان الله عليه ، فأُومِرَ فيه : فاختلفَ الناسُ فى جوابِه ، فقال علىٌّ : إنْ أَعِش فالأَمْرُ إلىَّ[2] ، وإِن أُصَبْ[3] فالأَمرُ لكم ، فإن آثَرْتُم[4] أن تقتَصُّوا فضَرْبةً بضربةٍ ، وأَنْ تعفُوا أَقْرَبُ للتقْوَى . وقال قومٌ : بل قال : وإنْ أُصِبْتُ فاضربوه ضربةً فى مقتَلِه[5] . فأقام علىٌّ يومين ، فسَمع ابنُ مُلْجَمٍ الرَّنَّةَ من الدارِ ، فقال له مَنْ حَضَره . أىْ عَدُوَّ اللهِ ! إنه لا بأسَ على أمير المؤمنين ، فقال : أَعَلَى مَنْ تبْكِى أُمُّ كُلْثومٍ ؟ أَعَلَىَّ ؟ أَمَا واللهِ لقد اشتريتُ سيفى بألفِ درهمٍ ، وما زلْتُ أُعْرِضُهُ ، فما يَعِيبُه أحدٌ إلاَّ أَصْلَحْتُ ذلك العيبَ ، ولقد أَسقيتُه[6] السُّمَّ حتى لَفَظَهُ ، ولقد ضربتُهُ ضربةً لو قُسِمَتْ على مَنْ بالمشرق لأَتَتْ عليهم . ومات علىٌّ صَلواتُ الله

---

(١) الزيادة من هـ .

(٢) فى ج و س و د و هـ « فالأمر لى » .

(٣) فى س و د « أُصِبْتُ » .

(٤) هنا بحاشية ا مانصه : « قال الشيخُ : أخبرنى ابنُ شاذانَ عن أبى عَمْرٍو عن ثعلبٍ قال : يقالُ : أَثِرْتُ أن أفعل كذا ، أى عزمتُ ، بكسر الثاء . وأخبرنى ابنُ رَباحٍ عن ابن دُرَيْدٍ قال : يقالُ : آثَرْتُ فلاناً بكذا أو كذا ، أُوثِرُهُ إيثاراً : إذا فَضَّلْتُهُ ، فأَنَا مُؤْثِرٌ ، وهو مُؤْثَرٌ » .

(٥) فى ج و س و د « وإن أُصَبْ فاقتلوه بضربةٍ فى مقتله » .

(٦) فى س و هـ « سقيته » .

ورحمته فى آخرِ اليوم الثالث ، فدعا به الحسنُ(١) رضى الله عنه : إنّ لك عندى سِرًّا ! فقال الحسنُ رضوان الله عليه : أتدْرونَ ما يريدُ ؟ يريدُ أن يَقْرُبَ من وجهى فيعَض أُذُنى فيقطعَها ، فقال : أَمَا والله لو أمْكَنْتَنِى منها لاقتلعتُها من أصلِها ! فقال الحسنُ : كلا والله ، لَأَضْرِبَنَّكَ ضربةً تُؤَدِّيكَ إلى النارِ ، فقال : لو علمتُ أنَّ هذا فى يدَيْكَ(٢) ما اتَّخذتُ إلهًا غيرَكَ ، فقال عبدُ الله بن جعفر : يا أبا محمدٍ ، ادْفَعْهُ إلىَّ أشْفِ نفسِى منه . فاختلفوا فى قتله ، فقال قومٌ : أَحْمَى له مِيلَيْنِ وكَحَلَهُ بهما ، فجعل يقول : إنك يا ابنَ أخِى لتَكْحَلُ عمَّكَ بمُلْمُولَيْنِ(٣) مَضَّاضَيْنِ(٤) ، وقال قومٌ : بل قَطَعَ يديه ورجليه ، وقال قومٌ : بل قطع رجليه ، وهو فى ذلك يَذْكر الله عزَّ وجلَّ ، ثم عَمَدَ إلى لسانه ، فشَقَّ ذلك عليه ، فقيل له : لِمَ تَجْزَعْ مِن قطع يديك ورجليك ونَرَاكَ قد جَزِعْتَ من قطع لسانِك ؟ فقال : نعم ، أحببتُ أن لَّا يزالَ فمى بذِكرِ الله رَطْبًا ، ثم قتَله .

ويُرْوَى : أنَّ عليًّا رضى الله عنه أُتِىَ بابنِ مُلْجَمٍ وقيل له : إنَّا قد سمعنا من هذا كلامًا فلا(٥) نأمنُ قتلَه لك(٦) ؟ فقال : ما أَصنعُ به ؟ ثم قال علىٌّ رضوان الله عليه

(١) فى ج و س و د و هـ « فدعا عبد الرحمن بالحسن » .
(٢) فى ج و س و د و هـ « فى يدك » .
(٣) « الملمول » بضم الميمين وبينهما لام ساكنة ، هو الميل الذى يكتحل به ، وهو من الأوزان النادرة ، وزن « مفعول » بضم الميم . وفى بعض نسخ الكامل بفتح الميم الأولى ، وهو خطأ .
(٤) أى : حارَّين .
(٥) فى ج و س و د و هـ « ولا » .
(٦) فى : « إياك » .

اشْدُدْ حَيازِيمَكَ للموتِ   فإِنَّ الموتَ لاقِيكا(١)

ولا تَجْزَعْ من الموتِ   إذا حَلَّ بِوادِيكا

والشعرُ إنما يَصِحُّ(٢) بأن تحذفَ « اشْدُدْ » فتقولَ :

حَيازِيمَكَ للموتِ   فإِنَّ الموتَ لاقِيكا

ولكنَّ الفصحاءَ من العربِ يَزيدون ما عليه المعنى ، ولا يَعتَدُّون به في الوزنِ، ويحذفون من الوزنِ ، عِلْمًا بأنَّ المخاطَبَ يعلم ما يَزيدونه ، فهو إذا قال « حيازيمَك للموتِ » فقد أضمر « اشْدُدْ » فأظهره ، ولم يَعْتَدَّ به . قال : وحدثني أبو عثمانَ المازِنيُّ قال : فصحاءُ العرب يُنشِدون كثيرًا :

لَسَعْدُ بنُ الضِّبابِ إذا غدَا   أحبُّ إلينا منكَ فا فرسٍ حَمِرْ

وإنما الشعرُ   * لعَمرِي لَسَعْدُ بنُ الضِّبابِ إذا غدَا(٣) *

⁂

وأما الحجَّاجُ بن عبد الله الصَّرْيميُّ ، وهو البُرَكُ - : فإنه ضَرَبَ معاويةَ مُصَلِّيًا فأصاب مَأْكِمَتَه(٤) ، وكان معاويةُ عظيمَ الأوراكِ ، فقطع منه عِرْقًا

---

(١) هنا بحاشية ا ما نصه: « المُهَلَّبِيُّ : الحَيْزُومُ : ما اشتملَ عليه الصدرُ ، وجمعُه حَيازِيمُ . ويقال للرجل : اشْدُدْ حيازيمَك لهذا الأمرِ : وَطِّنْ نفسَك عليه » .

(٢) في س « يصلح » .

(٣) قال المرصفي : « هو لامرئ القيس يعير من خاطبه بنتن فمه » .

(٤) بفتح الكاف وكسرها . وبحاشية ا ما نصه : « قال المُهَلَّبِيُّ ، المأْكِمَتانِ : اللَّحْمَتانِ اللتانِ على رؤوس الوَرِكَيْن ، الواحدةُ مأْكِمةٌ . ويقال : رجل مُؤَكَّمٌ ، وامرأةٌ مُؤَكَّمةٌ ، عن الأصمعيِّ » .

بصيرةً [له] ذَعْو عِرْقُ النِّكاح ، فلم يُولَدْ لمعاويةَ بعد ذلك ولدٌ ، فلما أَخذ به ابنُ عباس والبِشَارةُ ، قُتِلَ علىٌّ فى هذه الصَّبِيحة ، فاسْتُونِىَ[2] به حتى جاء الخبرُ ، فقَطع معاويةُ يَدَهُ ورجله ، فأقام بالبصرة ، فبلغ[3] زِياداً أنه قد وُلِدَ له ، فقال : أَيُولَدُ له وأميرُ المؤمنين لا يُولَد له ، فقتله . هذا أحدُ الخبرين .

ويُرْوَى : أن معاويةَ قطع يديه ورجليه ، وأَمَرَ باتِّخاذِ المقصورةِ ، فقيل لابنِ عباسٍ بعد ذلك : ما تأويلُ المقصورةِ ؟ فقال : يخافون أن يَبْهَظَهُمُ[4] الناسُ .

وأَمّا زَاذَوَيْهِ : فإنه أَرْصَد لِعَمرٍو ، واشتكى عَمرٌو بطنَه ، فلم يخرج للصلاة ، وخرج [إلى الصلاة[5]] خارِجةُ[6] ، وهو رجلٌ من بنى سَهْمِ بن عَمْرِو بن هُصَيْصٍ ، رَهْطِ عَمرِو بن العاصى ، فضربه زَاذَوَيْهِ فقتلَه ، فلما دُخِلَ[7] به على عَمرٍو فرآهم يخاطبونه بالإِمْرَةِ قال : أَوَمَا قَتَلْتُ عَمْراً ؟ قيل :

---

(١) الزيادة من ج و د و هـ . وفى س « له » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : قوله استونى ، من الاناء ، وهو الانتظارُ والتأْخِيرُ ، ممدودٌ »

(٣) فى ج و س و د و هـ « ثم بلغ » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذان : يقال بَهَظَهُمْ الأَمرُ يَبهَظُهُمْ بَهْظاً : إذا غَلبهم ، والأَمرُ باهظٌ ، والمفعول : مبهوظٌ » . وهى بالظاء المعجمة . وفى لغة قليلة بالضاد المعجمة بدل الظاء .

(٥) الزيادة من س .

(٦) هو خارجة بن حذافة بن غانم ، له صحبة ، شهد فتح مصر واختط بها ، وكان على شرطة مصر فى إمرة عمرو بن العاص .

(٧) فى س و د « فلما دخلوا به » .

لا . إنما قتلتَ خارجةَ ، فقال : أردتُ عمراً واللهُ أراد خارجةَ(١) .

☼

وقال أبو زُبَيْدٍ الطائىُّ(٢) يَرْثِي علىَّ بن أبى طالبٍ صلواتُ الله عليه :

إنَّ الكرامَ عَلَى ما كانَ من خُلُقٍ   رَهْطُ امْرِئٍ خارَهُ للدِّين مُخْتَارُ

طَبٌّ بَصيرٌ بأضْغَانِ الرجالِ ولم   يُعْدَلْ بحَبْرِ رسولِ اللهِ أَحْبارُ(٣)

وَقَطْرَةٌ قَطَرَتْ إذْ حانَ مَوْعِدُها   وكلُّ شىءٍ له وقتٌ ومِقْدارُ

حتى تَنَصَّلَها فى مسجدٍ طُهُرٍ   على إمامِ هُدًى إنْ مَعْشَرٌ جارُوا

حُمَّتْ لِيَدْخُلَ جَنَّاتٍ أبو حَسَنٍ   وأُوجِبَتْ بعدَه للقاتلِ النارُ

قوله « خارَهُ » إنما هو(٤) : اختاره ، وهو « فَعَلَهُ » و « اختاره » « افْتَعَلَهُ » كما تقول : قَدَرَ عليه واقْتَدَرَ عليه .

وقوله « بَصِيرٌ بأضغانِ الرِّجالِ » ، فهى أسرارُها ومُخَبَّآتُها . قال الله تعالى : ﴿فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا ويُخْرِجْ أَضْغَانَكُم(٥)﴾ . و «الحَبْرُ» العالِمُ . ويُرْوَى أن عليًّا رضوان الله عليه مَرَّ بيهودىٍّ يسأل مُسْلماً عن شىءٍ من أمرِ الدِّين ، فقال له علىٌّ : اسألنى ودَعِ الرجلَ ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! أنت حَبْرٌ ،

---

(١) فى ج و د و هـ « وأراد الله خارجة » .

(٢) اسمه حرملة بن المنذر .

(٣) « طب بصير » بالرفع فى كل النسخ على الاستئناف ، وضبطهما الشيخ المرصفى بالجرّ ، تبعا لامرئ ، وهو وإن كان صحيحا فى العربية ، إلا أنه مخالف لرواية الكتاب .

(٤) فى ج و س و د و هـ « إنما يعنى » .

(٥) سورة محمد آية ٣٧ وهكذا فسر المبرد الأضغان بالأسرار ، والذى فى كتب اللغة كلها أن الأضغان الأحقاد . إلا أن يريد المبرد هنا معنى مجازيا ، لأن الأضغان أسرار مخبأة فى القلوب

بصيرةٍ لِل دَعْوِل عليّ: أنْ تَسْأَلَ ما لِمَا أَجْدَى لك[1]

ثِ ابنُ عباسٍ « حتّى تَنَصَّاهَا » يريدُ: استخرجَها .

وقوله « حُمَّتْ » معناه قُدِرَتْ .

قال الكُمَيْتُ :

والوَصِيُّ الذى أمالَ التَّجُوبِـ ـىُّ به عَرْشَ أُمَّةٍ لِانْهِدامِ

قَتَلُوا يومَ ذاكَ إذْ قَتَلُوه حَكَمًا لا كَغابِرِ الحُكَّامِ

الإمامَ الزَّكِيَّ والفارِسَ المُعْـ ـلَمَ تحتَ العَجاجِ غيرَ الكَهامِ

راعِيًا كان مُسْجِحًا ففقَدْنَا هُ وفَقْدُ المُسِيمِ هُلْكُ السَّوَامِ[2]

قوله « الوَصِيُّ » ، فهذا شىء كانوا يقولونه ويُكثرون فيه . قال ابنُ قَيْسِ الرُّقَيّاتِ :

نحنُ منّا النبيُّ أحمدُ والصِّدِّ يقُ منّا التَّقِيُّ والحُكَماءُ[3]

وعلىٌّ وجَعْفَرٌ ذُو الجَناحَيْـ ـنِ هُناكَ الوَصِيُّ والشُّهداءُ

وقال كُثيِّرٌ لَمّا حبَسَ عبدُ الله بن الزبير محمّدَ بن الحَنَفِيّةِ فى خمسةَ عشرَ رجلاً من أهله فى سِجْنِ عارمٍ :

تُخَبِّرُ مَنْ لاقيتَ أَنكَ عائذٌ بَلِ العائذُ المحبوسُ فى سِجْنِ عارمِ

وصِيُّ النبيِّ المصطفَى وابنُ عَمِّهِ وفَكّاكُ أعناقٍ وقاضِى مَغارِمِ

---

(١) فى ج و س و د و هـ « أجدى عليك » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِيُّ : أَسْجَحَ الرجلُ إسجاحًا فهو مُسْجِحٌ : سَهْلٌ » .

(٣) فى ج و د « النَّبىء » .

أرادَ : ابن وَصِيِّ النبيِّ، والعربُ تُقيمُ المضافَ إليه في هذا الباب، وكان طويلا

كما قال الآخرُ :

صَبَّحْنَ مِنْ كاظِمَةَ الخُصَّ الخَرِبْ يَحْمِلْنَ عبَّاسَ بنَ عبدِ المطَّلِبْ

يريدُ : ابنَ عباس رضي الله عنه ، وقال الفرزدقُ لسليمانَ بنِ عبد الملك :

وَرِثْتُمْ ثيابَ المَجدِ فهْيَ لَبوسُكُمْ عن ابنَيْ منافٍ عبدِ شَمْسٍ وهاشِمِ

يريد : ابنَيْ عبدِ منافٍ .

وقال أبو الأَسْوَدِ :

أُحِبُّ مُحَمَّدًا حبًّا شديداً وعبَّاساً وحَمْزَةَ والوَصِيَّا

أُحِبُّهُمُ لِحُبِّ اللهِ حتى أجيءَ إذا بُعِثْتُ عَلَى هَوِيَّا

هوًى أَعْطِيتُهُ منذ استدارَتْ رَحَى الإِسْلامِ لم يَعْدِلْ سَوِيَّا

[« السَّوِيُّ » و « السَّوَاءُ » الذي قد سَوَّى اللهُ خَلْقَهُ ، لا زَمانةَ به ولا داءَ .
وفي القرآن : ﴿ بَشَراً سَوِيًّا[1] ﴾ . وتقولُ : ساويتُ ذاكَ بهذا الأَمرِ ، أي :
جعلتُه مِثْلاً له[2]] .

يقول الأَرْذلونَ بنو قشَيْرٍ طوالَ الدَّهرِ ما تَنْسَى عليًّا[3]

بنو عَمِّ النبيِّ وأَقرَبُوهُ أَحَبُّ الناسِ كلِّهِمُ إليَّا

فإنْ يَكُ حبُّهُمْ رُشْداً أُصِبْهُ وليس بمُخْطِئٍ إنْ كانَ غَيًّا

---

(١) سورة مريم آية ١٧

(٢) الزيادة من حاشية ١ .

(٣) في كل نسخ الكتاب « يقول » ولكن الشيخ المرصفي كتبها « تقول » بالفوقية ، وهو مخالف لكل الأصول .

بصيرةً[ل دَعْوَلتُ[1] »] وكان بنو قُشَيرٍ عُثْمانيَّةً ، وكان أبو الأسودِ نازِلاً
بهِ ابنُ عمِّهِ يَرْمُونَه بالليلِ ، فإذا أصبح شكا ذلك ، فشكاهم مرةً ، فقالوا
[له[2]] : ما نحنُ نَرْمِيك ، ولكنَّ اللهَ يرميكَ ! فقال : كذبتم واللهِ ، لو كان
اللهُ يَرميني لما أخطأَني .

[قال : وكان نَقْشُ خاتَمِهِ :

يا غالبي حَسْبُكَ مِن غالبِ ارْحَمْ عليَّ بن أبي طالبِ][3]

وقوله « غيرَ الكَهَامِ » فالكهامُ : الكَليلُ من الرجال والسيوفِ ، يقال
سيفٌ كَهامٌ . وقوله :

« رَاعِيًا كان مُسْجِحًا ففقدنا ه وفقدُ المُسِيمِ هُلْكُ السَّوامِ »

فالمُسِيمُ : الذى يُسِيمُ إبلَه أو غنمه تَرْعَى ، وكذلك كلُّ شيء من الماشيةِ ،
فجَعَلَ الراعِيَ للناسِ كصاحبِ الماشِيَةِ الذى يُسِيمِها ويَسوسُها ويُصْلِحها ،
ومتى لم يَرْجِعْ أمرُ الناسِ إلى واحدٍ فلا نظامَ لهم ، ولا اجتماعَ لأُمورِهم .
قال ابنُ قيس الرُّقَيّاتِ :

أيها المُشْتَهِي فَناءَ قُرَيْشٍ بيدِ اللهِ عُمْرُها والفَناءُ
إن تُوَدِّعْ من البلادِ قُرَيْشٌ لا يَكُنْ بَعْدَهم لحيٍّ بقاءُ
لو تُقَفِّي ويُتْرَكُ الناسُ كانوا غَنَمَ الذِّئْبِ غابَ عنها الرِّعاءُ[4]

---

(١) الزيادة من حاشية ا .
(٢) الزيادة من ج و س و د .
(٣) الزيادة من سَ و د و هـ .
(٤) فى ج و س و د و هـ « وَتَتْرُكُ النَّاسَ » .

وقال الحِمْيَرِىُّ يعنى عليًّا رضوانُ الله عليه : ، وكان طويل

كان المُسِيمَ ولم يكن إلا لِمَنْ   لَزِمَ الطريقةَ واستقام ...

ولمّـا سمع علىٌّ صلواتُ الله عليه نداءَهم « لا حُـكْمَ إلاَّ لِلّهِ » قال : كلمةٌ عادِلة يُرادُ بها جَوْرٌ ، إنمـا يقولون لا إِمَارة ، ولا بُدَّ مِن إِمارةٍ ، بَرَّةٍ أو فاجرةٍ .

⁂

ورَوَوْا أن عليًّا عليه السلامُ لمَّا أوصى إلى الحسن فى وَقْفِ أموالِه وأن يَجْعلَ فيها ثلاثةً مِن مَواليه وَقَفَ فيها عينَ أبى نَيْزَرَ[1] والبُغَيْبِغَةَ . وهذا[2] غلطٌ ، لأن وَقْفَهُ لهذين[3] الموضعين لِسَنَتَيْنِ من خِلافته .

[قال أبو العباس[4]] : حدثنا أبو مُحَلِّمٍ محمدُ بن هِشَامٍ[5] فى إسنادٍ ذكره آخرُه أبو نَيْزَرَ ، وكان أبو نَيْزَرَ من أبناء بعضِ ملوكِ الأعاجمِ ، قال : وصَحَّ عندى بعدُ أنه مِن وَلَدِ النَّجَاشىّ ، [يعنى أبا نَـيْزَرَ[6]] ، فرَغِبَ فى الإسلامِ صغيراً ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وكان معه فى بيوته ، فلما

---

(١) هكذا ضبط فى أكثر أصول الكتاب بفتح النون وضبط فى ا بكسرها ، وهو الموافق لما فى الإصابة للحافظ ابن حجر (٧ : ١٩٥) . ولكنه ضبط فى الكتاب فى المواضع الآتية كلها بفتح النون .

(٢) فى ج و س و د « فهذا » ..

(٣) فى ج و س « هذين » .

(٤) الزيادة من ج و س .

(٥) « محلم » بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر اللام المشددة . وأبو محلم هذا كان عالما باللغة والعربية والشعر وأيام الناس ، وكان رافضياً . ولد سنة ١٤٨ ومات سنة ٢٤٥ وقيل سنة ٢٠٨ .

(٦) الزيادة من ج و س و د و هـ .

بصيرة أن دعوة الله صار مع فاطمة وولدها عليهم السلام ، قال أبو نَيْزَر[١] :
جاءنى على بن أبى طالب [أميرُ المؤمنين[٢]] وأنا أقومُ بالضَّيْعَتَيْنِ : عَيْنِ أبى نَيْزَرَ والبُغَيْبْغَةِ ، فقال لى : هل عندكَ من طعامٍ ؟ فقلتُ : طعامٌ لا أرضاه لأمير المؤمنين ، قَرْعٌ من قَرْعِ الضَيْعَة صنعتُه بإهالةٍ سَنِخَةٍ[٣] ، فقال : عَلَىَّ به ، فقام إلى الرَّبيعِ ، وهو جَدْوَلٌ ، فغَسل يده[٤] ، ثم أصاب من ذلك شيئاً ، ثم رجَع إلى الرَّبيع ، فغَسل يديه بالرَّمل حتى أنقاهما ، ثم ضَمّ يديه كلَّ واحدةٍ منهما إلى أُختها ، وشَرِبَ بهما حُسًا[٥] من ماء الرَّبيع ، ثم قال : يا أبا نَيْزَرَ ! إنّ الأَكُفَّ أنظفُ الآنيةِ ، ثم مَسَح نَدَى ذلك الماء على بطنِه ، وقال : مَنْ أدخله بطنُهُ النارَ فأبعده اللهُ ، ثم أخذ المِعْوَلَ وانْحَدَرَ فى العَيْنِ ، فجعل يَضربُ ، وأَبطأَ عليه الماء ، فخرجَ وقد تَفَضَّجَ جبينُهُ عَرَقاً ، فانتَكَفَ العرَقَ عن جَبينِهِ[٦] ، ثم أخذ المِعْوَلَ وعادَ إلى العين ، فأقبلَ يَضربُ فيها ، وجعل يُهَمْهِمُ

(١) أبو نيزر هذا ذكره الحافظ فى الإصابة . وقال : « ذكره الذهبى مستدركا ، وقال : يقال أنه من ولد النجاشى جاء وأسلم » . ثم نقل الحافظ قصته التى هنا من كتاب الكامل . ويظهر لى أنه غير معروف عند المحدثين ، وأنه من الناس الذين يذكرون فى الأخبار فقط ، ولو كان هذا ممن أسلم فى عهد النبى ماترك علماء الحديث ذكره أو الرواية عنه .

(٢) الزيادة من س و د .

(٣) الإهالة : ماأذيب من الشحم ، والسنخة : المتغيرة الريح .

(٤) فى س و د و هـ « يديه » .

(٥) الحسا — بضم الحاء — جمع حسوة ، بضم الحاء وبفتحها ، وهى الشربة ملء الفم .

(٦) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ ، انفَضَجَ الشىءُ : إذا عرض . . . لمُنْشَدَخٍ وَتَفَضَّج بَدَنُ الناقةِ إذا تَخَدَّدَ لَحْمُهَا . قال : قال ابنُ الأعرابىّ : النَّكفُ : القَطْعُ ، يُقالُ : نَكَفَ اللهُ الغيثَ أى قطعه . المُهَلَّبِىّ : النَّكفُ . تَنْحِيتُكَ الدُّموع عن خَدِّكَ بإصبعِكَ » . وفى اللسان : « تفضج عرقا : أى سال » . وكذلك « انفضج فلان بالعرق : إذا سال به » . وكله بالجيم فى آخره ، ويقال أيضاً بالخاء المعجمة .

وانثالَتْ كأنها عُنُقُ جَزُورٍ(١) ،فخرجَ مُسْرعًا ، فقال أشهدُ الله، وكان طويلَ على بدواةٍ وصحيفةٍ ، قال : فعجّلْتُ بهما إليه ، فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدَّقَ به عبدُ الله علىٌّ أميرُ المؤمنين ، تصدَّقَ بالضَّيْعتين المعروفتين بعَيْنِ أبى نَيْزَرَ والبُغَيْبِغَةِ ، على فقراء أهلِ المدينةِ وابنِ السَّبيلِ ، لِيَقِىَ اللهُ بهما وجهَه حَرَّ النارِ يومَ القيامةِ ، لاتُباعاَ ولا تُوهبَا ، حتى يرثَهما اللهُ وهُوَ خَيْرُ الوارثينَ ، إلاَّ أن يَحتاجَ إليهما الحسنُ أو الحسينُ فهما طِلْقٌ(٢) لهما ، وليس لأحدٍ غيرِهما .قال محمدُ بن هشامٍ : فركبَ الحسينَ رضى الله عنه دَيْنٌ، فحَمَلَ إليه معاويةُ بعَيْنِ أبى نَيْزَرَ مائتى ألفِ دينارٍ ، فأَبَى أن يَبيعَ ، وقال : إنَّمَا تَصدَّق بها أبى لِيَقِىَ الله بها وجهه حَرَّ النار ، ولستُ بائِعهاَ بشىء .

وتحدَّثَ الزُّبيْريُّون : أَنَّ معاويةَ كَتب إلى مروانَ بن الحَكَم ، وهو وَالِى المدينةِ : أمَّا بعدُ ، فإن أميرَ المؤمنين أَحبَّ أن يَرُدَّ الأُلْفَةَ ، ويَسُلَّ السَّخيمةَ ، وَيَصِلَ الرَّحِمَ ، فإذا وَصلَ إليك(٣) كتابى [هذا(٤)] فاخْطُبْ إلى عبدِالله بن جعفر ابْنَتَه أُمَّ كُلْثُومٍ عَلَى يَزيدَ بنِ أميرِ المؤمنين ، وارْغَبْ لَهُ

(١) بحاشيه ا مانصه : « ابنُ شاذانَ . حدثنى أبو عمر عن ثعلبٍ عن ابن الأعرابىّ قال : انثال الرملُ انثيالاً : تبع بعضُه بعضًا ، مثلُ انهالَ وانْهارَ وانْهامَ ، وانْكالَ » .

(٢) طلق — بكسر الطاء وسكون اللام — أى : حلال .

(٣) ى ج و س و د و ﻫ « فإذا ورد عليك » .

(٤) الزيادة من س و ﻫ

بصيرةً أنْل دَعْو بِجَّهَ مروانُ إلى عبد الله بن جعفر ، فقرأ عليه كتاب معاوية(١) ، ب ابنُ عباس بما ردَّ الألفةِ من صَلاحِ ذاتِ البَيْن، واجتماعِ الدَّعْوة(٣)، فقال عبدُ الله : إنَّ خالها الحسينَ بِيَنْبُعَ ، وليس ممن يُفْتَاتُ عليه بأمرٍ ، فأَنْظِرْنِي إلى أن يَقْدَمَ ، وكانت أمُّها زينبَ بنتَ عليِّ بن أبي طالبٍ صلواتُ الله عليه ، فلما قَدِمَ الحسينُ ذَكر ذلك له عبدُ الله بنُ جعفرٍ ، فقام مِن عندِه فدخَل إلى الجارية ، فقال : يا بُنَيَّة ! إنَّ ابنَ عَمِّكِ القاسمَ بنَ محمدِ بن جعفرِ بن أبي طالبٍ أحقُّ بكِ ، ولعلكِ تَرْغَبِين في كَثْرَةِ الصَّدَاق وقد نَحَلْتُكِ البُغَيْبِغَاتِ ، فلمَّا حضَرَ القومُ للإِمْلاكِ(٤) تكلَّم مروانُ بن الحَكَمِ ، فذَكر معاويةَ وما قَصَده من صِلَةِ الرَّحِم وجَمْعِ الكلمةِ ، فتكلَّم الحسينُ فزوَّجها من القاسمِ [بن محمدٍ(٥)] ، فقال له مروانُ : أغَدْراً يا حُسَيْنُ ؟! فقال : أنتَ بدَأْتَ : خَطَبَ أبو محمدٍ الحسنُ بن عليٍّ عليه السلام عائشةَ بنتَ عثمانَ بنِ عفَّانَ ، واجتمعنا لذلك ، فتكلمتَ أنتَ فزوَّجتَها من عبد الله بن الزُّبَيْرِ ، فقال مروانُ : ما كان ذلك ،

---

(١) فى ج « كتاب أمير المؤمنين » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « ما » بدل « بما » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « أخبرنى أبو يعقوبَ بنُ خُرَّزَاذَ قال : أخبرنى ابنُ رَبَاحٍ عن ابن دُرَيْدٍ فى كتاب الجَمهرَةِ قال : الدَّعْوَةُ ، مصدرُ دعَا يَدْعُو دَعْوًا وَدُعَاءً واستجابَ اللهُ دُعَاءَهُ وَدَعْوَتَهُ ، وَالدِّعْوَةُ فى النَّسَبِ . قال: وَأخبرنى ابنُ شاذانَ عن أبى عُمَرَ عن ثَعْلَبٍ قال : الدِّعْوَةُ بكسرِ الدَّالِ فى النَّسَبِ ، وَالدَّعْوَةُ إلى الطعامِ وغيرِه بفتح الدالِ » . وما نقل عن الجمهرة انظره فيها (٢ : ٢٨٣) .

(٤) الإملاك عقد النكاح .

(٥) الزيادة من ج و س و د و هـ .

فالتفتَ الحسين إلى محمد بن حاطبٍ فقال : أَنْشُدُكَ اللهَ ، أَكان وكانَ طويلَ اللهم نعَمْ . فلم تَزَلْ هذه الضَّيْعَةُ فى يدَىْ⁽¹⁾ بَنِى عبدِ اللهِ بن جعفر ناحيةَ أُمِّ كلثومٍ ، يتوارثونها ، حتى مَلَكَ أميرُ المؤمنين المأمونُ ، فذُكِرَ ذلك له ، فقال : كلاَّ ، هذا وَقْفُ علىِّ بن أبى طالبٍ صلواتُ اللهِ عليه ، فانتزَعها من أيديهم ، وعوَّضهم عنها ، وردَّها إلى ما كانَتْ عليهِ .

⁂

قال أبو العباس : رَجَــــعَ الحديثُ إلى ذِكرِ الخوارِجِ وأمرِ علىِّ بن أبى طالب .

قال : [و⁽²⁾] يُرْوَى : أن عليًّا فى أوَّل خُروج القومِ عليه دَعَا صَعْصَعَةَ بنَ صُوحَانَ العبدىَّ ، وقد كانَ وَجَّهَهُ إليهم ، وزيادَ بنَ النَّضْرِ الحارثىَّ⁽³⁾ مع عبد الله بن العباس ، فقال لصعصعةَ : بأىِّ القومِ رَأيتَهم أَشَدَّ إطافةً ؟ فقال : بيزيدَ بنِ قَيْسٍ الأَرْحَبِيِّ ، فركب علىٌّ إليهم إلى حَرُوراء ، فجعل يتَخَلَّلُهُمْ ، حتى صار إلى مَضْرَبِ يزيدَ بن قيسٍ ، فصلى فيه ركعتين ، ثم خرجَ فاتَّكَأَ على قوسِهِ ، وأقبلَ على الناسِ ، ثم قال : هذا مَقامُ مَنْ فَلَجَ فيه فَلَجَ يومَ القيامة ، أَنْشُدُكُمُ اللهَ⁽⁴⁾ ، أَعَلِمْتُمْ أحداً منكم كان أَكْرَهَ للحكومةِ

---

(1) فى ج و د و هـ « فى أيدى » .

(2) الزيادة من ج و س و هـ و د .

(3) فى النسخ المذكورة : « وقد كان وجه اليهم زياد بن النضر الحارثى » .

(4) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقال : نَشَدْتُكَ اللهَ فأَنا أَنْشُدُكَ اللهَ ، أى ذَكَّرتُكَ اللهَ وَعَرَّفْتُكَ » .

بصيرة أنل ذعوم لا ، قال : أفعلمتم أنكم أكرهتمونى حتى قبلتُها ؟ قالوا : ب ابن عباس قال : فعلامَ خالفتُمونى ونابذتُمونى(١) ؟ قالوا : إنَّا أتينا ذنباً عظيماً ، فتُبْنَا إلى اللهِ ، فتبْ إلى الله منه واستغفرْه نعُدْ لكَ ! فقال عليٌّ : إنِّي أستغفرُ اللهَ من كل ذنبٍ ، فرجعوا معه ، وهم ستةُ آلافٍ . فلما استقرُّوا بالكوفة أشاعوا أنَّ عليًّا رجَع عن التحكيم ورآه ضلالاً ، وقالوا : إنما يَنتَظِرُ أميرُ المؤمنين أن يَسْمَنَ الكُراعُ ويُجْبَى المالُ فينْهَضَ إلى الشَّامِ ، فأتَى الأشعثُ بن قيْسٍ عليًّا عليه السلامُ فقال : يا أميرَ المؤمنين ! إنَّ الناسَ قد تحدَّثوا أنك رأيتَ الحكومةَ ضلالاً والإقامةَ عليها كُفراً ! ! فخطَب عليٌّ الناسَ فقال : مَنْ زَعمَ أنِّى رَجعْتُ عن الحكومةِ فقد كَذَبَ ، ومن رآها ضلالاً فهو أضَلُّ ، فخرجتِ الخوارجُ من المسجد ، فحَكَّمتْ ، فقيلَ لعليٍّ : إنهم خارجون عليك ، فقال : لا أُقاتِلُهم حتى يقاتلونِى ، وسيفعلون ، فوَجَّهَ إليهم عبدَ الله بنَ العباسِ ، فلما صار إليهم رَحَّبوا به وأكرَموه ، فرأى منهم جِباهاً قَرِحَةً(٢) لطُولِ السُّجودِ ، وأيْدِياً كَثَفِناتِ الإبلِ(٣) ، [و(٤)] عليهم

---

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذَانَ : نبذْتُ الشيءَ أنبِذُه نبذًا : ألْقيتُه ، فهو نَبِيذٌ ومنبوذٌ ، وبه سُمِّيَ النَّبيذ ، لأَنَّ التَّمْرَ كانَ يُلْقَى فى الجَرِّ وفى غيرِهِ » .

(٢) قرحة : أى فيها قروح أو مايشبهها .

(٣) ثفنات الإبل : مايصيب الأرض منها إذا بركت ، كالمرفقين والركبتين : والمراد أنهم كانوا يكثرون الصلاة وهم كما قال رسول الله فيهم : « يقرؤون القرآن لايجاوز حناجرهم » .

(٤) الزيادة من ع و س و د .

قُمُصٌ مُرَحَّضَةٌ[1] . وهم مُشَمِّرُونَ ، فقالوا : ما جاء بك يا [ابن عباس] وكان طويلَ
فقال : جئتكم مِن عندِ صِهْرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن [عمه]
وأعْلَمِنَا بِرَبِّه وسُنَّةِ نبيه ، ومِن عندِ المهاجرين والأنصار . قالوا : إنَّا أتينا
عظيماً[2] حين حَكَّمْنا الرجالَ فى دينِ اللهِ ، فإنْ تابَ كما تُبْنَا ونَهَضَ لمجاهدةِ
عَدُوِّنَا رجعنا ، فقال ابنُ عباسٍ : نَشَدْتُكُمُ اللهَ إلاَّ ما صَدَقْتُم أنفُسَكُمْ !
أَمَا علمتُم أنَّ اللهَ أمَرَ بتحكيمِ الرجال فى أَرْنَبٍ تُساوى رُبُعَ درهمٍ تُصادُ
فى الحَرَمِ ، وفى شِقاقِ[3] رجلٍ وامرأتِه ؟ فقالوا : اللهم نَعَمْ ، فقال :
فأَنْشُدُكم اللهَ ، هل[4] علِمْتم أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أَمْسَكَ عن
القتال للهُدْنَةِ[5] بينه وبين أهلِ الحُدَيْبِيَةِ ؟ قالوا : نَعَمْ ، ولكنَّ عليًّا محا
نفسَه مِن إمارة المسلمين ، قال ابنُ عباسٍ : ليس ذلك بِمُزِيلِها عنه ، وقد
محا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اسمَه من النُّبُوَّةِ وقد أَخَذَ عليٌّ عَلَى الحَكَمَيْنِ
أن لاَ يَجُورَا ، وإنْ يَجُورَا فعليٌّ أولَى مِن معاويةَ وغيرِه ، قالوا : إنَّ معاويةَ

---

(١) بحاشيه ا مانصه : « رَحَضْتُ الثَّوْبَ أَرْحَضُهُ رَحْضاً : إذا غَسَلْتَهُ ، وثوب رَحِيضٌ ومرحُوضٌ وَالمِرْحَاضُ : خَشَبَةٌ يُضرَب بها الثَّوْبُ فَيُغْسَلُ » .

(٢) فى س « إنا أتينا ذنباً عظيما » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « قال ابنُ شاذان : الشِّقَاقُ : المُعَادَاةُ والمغالطة ، شاقَقْتُهُ مُشَاقَّةً وَشِقَاقاً » .

(٤) فى ج و س و هـ « فهل » .

(٥) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذان : الهُدْنَةُ : السُّكونُ ، هَدَّنْتُ الرجلَ تهديناً وَهَادَنْتُه مُهَادَنَةً ، وَالاِسْمُ الهُدْنَةُ » .

بصيرة في ذل دعوى عليّ ، قال : فأيّهما رأيتموه أولى فولّوه ، قالوا : صدقتَ ، بن ابنُ عباسٍ : [و][1] متى جارَ الحكمانِ فلا طاعةَ لهما ولا قبولَ لقولهما ، قال : فاتّبعه منهم ألفانِ وبَقِيَ أربعةُ آلافٍ ، فصلّى بهم صلواتِهِمُ ابنُ الكَوّاءِ ، وقال[2] : متى كانت حربٌ فرئيسُكم شَبَثُ بن رِبعيٍّ الرِّياحيُّ ، فلم يزالُوا على ذلك يومين ، حتى أجمعُوا على البيعةِ لعبدِ اللهِ بن وَهْبٍ الرّاسِبيِّ ، قال : ومَضَى القومُ إلى النِّهْرَوانِ ، وكانوا أرادوا المُضِيَّ إلى المَدَاينِ[3] . [قال الأخفشُ : كذا كان يقولُ المبرد « النِّهْرَوانُ » بكسرِ النونِ والراءِ ، وإنما هو « النَّهْرَوانُ »[4] بالفتح ، وأنشدَ للطِّرِمّاحِ :

* قَلَّ فى شَطِّ نَهْرَوانَ اغْتِماضِى *][5]

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٢) فى ج و د و هـ « وقالوا » .

(٣) انظر رواية أخرى لمناظرة ابن عباس مع الحوارج فيما مضى فى هذا الجزء (ص ٨٩٢ — ٨٩٣)

(٤) كذا قال الأخفش ، وهو المشهور ، وهو الذى اقتصر عليه صاحبا اللسان والصحاح : ولكن قال ياقوت فى البلدان : « وأكثر مايجرى على الألسنة بكسر النون » : وفى القاموس : « بفتح النون وتثليث الراء ، وبضمهما » : ففيها لغات مختلفة ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ .

(٥) الزيادة من حاشية ا وكان فى كلمة «اغتماضى» شىء من اللبس على مصحح النسخة الأوروبية فحذف الألف والغين من أولها ، ووضع بدلهما نقطاً ، وكانت الغين غير معجمة ، ثم اشتبهت عليه التاء والميم فى الرسم فظنهما قافا ، فكتب بعد النقط كلمة «قاضى» وبذلك طبعت فى نسخ مصر من غير بحث ، وأما الشيخ المرصفى رحمه الله فخرج من ذلك بالسكات ، فحذف الكلمة كلها ، وأشار إلى القصيدة التى منها البيت فيما مضى من شرحه ، فوجدناها فيه (٢ : ١٨٤ ١٨٦) وهذا الشطر هو أولها .

⁂

قال أبو العباس : فمن طَرِيفِ أخبارهم : أنهم أصابوا مسلمًا ونصرانيًا ، فقتلوا المسلمَ وأَوْصَوْا بالنصرانِى ، فقالوا : احفظوا ذِمَّةَ نَبِيِّكم !!

ولَقِيَهم عبدُ الله بن خَبَّابٍ وفى عُنُقِه مصحفٌ ، ومعه امرأته وهى حاملٌ ، فقالوا [له(١)] : إنَّ هذا الذى فى عُنُقِكَ ليأمُرُنا أن نقتُلَكَ ! قال(٢) : ما أَحْيَا القرآنُ فأَحْيُوه ، وما أَماتَه فأَمِيتُوه ، فوَثَبَ رجلٌ منهم على رُطَبَةٍ فوضعها فى فِيه ، فصاحوا به فلفظها تورُّعًا ، وعَرَض لرجلٍ منهم خنزيرٌ فضربه الرجلُ فقتلَه ، فقالوا : هذا فَسادٌ فى الأرضِ !! فقال عبدُالله بن خَبَّابٍ : ما علىَّ منكم بأسٌ ، إنِّى لَمُسْلِمٌ ، قالوا له : حَدِّثْنا عن أبيك ؟ قال : سمعتُ أبى يقولُ : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تكون فتنةٌ يموتُ فيها قَلْبُ الرجلِ كما يَمُوتُ بدنُه ، يُمْسِى مؤمنًا ويُصْبِحُ كافراً ، فَكُنْ عبدَ الله المقتولَ ، ولاتكنِ القاتلَ » . قالوا : فماتقولُ فى أبى بكرٍ وعُمَر ؟ فأَثْنَى خيراً ، فقالوا : فما تقولُ(٣) فى علىٍّ [أميرِ المؤمنين(٤)] قبل التَّحْكيمِ ، وفى عثمانَ سِتَّ سنينَ ؟ فأَثْنَى خيراً ، قالوا : فما تقولُ فى الحُكومةِ والتَّحكيمِ ؟ قال : أقول : إنَّ عليًّا أَعْلَمُ بكتاب الله منكم(٥) ، وأَشَدُّ توَقِّيًا على دِينِه ، وأَنْفَذُ

---

(١) الزيادة من ج و د و هـ .

(٢) فى ج « ليأمرنا بقتلك ، فقال » .

(٣) فى ج « فقالوا له : ماتقول » .

(٤) الزيادة من س و د و هـ .

(٥) فى س و د و هـ « أعلم بالله منكم » .

بصيرةً[١] ، قالوا : إنك لستَ تَتَّبِـعُ الهُدَى ، إنما تَتَّبِـعُ الرجالَ على أسمائها ! ثم قَرَّبوه إلى شاطئ النهرِ ، فذَبَحوه ، فامْذَقَرَّ[٢] دَمُهُ ، أى : جَرَى مستطيلاً على دِقَّةٍ[٣] . وساموا رجلاً نصرانيًّا بنخلةٍ له ،فقال : هِيَ لـكم ، فقالوا : ما كُنَّا لنأخذَها إلاَّ بثمنٍ ! قال : ما أَعْجَبَ هذا ، أتقتلونَ مثلَ عبدِ الله بن خَبَّابٍ ولا تقبَلُونَ منَّا جَنَى نَخْلةٍ[٤] ؟

---

(١) فى س و د و ﻫ « أَبْعَدُ بَصِيرَةً » .

(٢) فى ج « فابْذَقَرَّ » بالباء بدل الميم .

(٣) بحاشية ا مانصه : «ابنُ شاذانَ:قال أبو عمرَ عن ثعلبٍ:المُبْذَقِرُّ وَالمُمْذَقِرُّ : المختلطُ. وقال : ثعلبٌ : فى حديث عبد الله بن خَبَّابٍ : فما امْذَقَرَّ دَمُهُ ، بالميم ، أى : فما اختلطَ بالماءِ » .

(٤) عبد الله بن خباب بن الأرت ، مدنىّ ، حليف بنى زهرة ، كان من سادات المسلمين ، ولد فى عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقيل : أول مولود ولد فى الإسلام عبد الله بن الزبير وعبد الله بن خباب . أشار الحافظ فى التهذيب والإصابة إلى قصة مقتله . وأما السياق الذى ساقه المبرد فلم أجده بنصه فى كتب الحديث ، ولـكن روى أحمد فى المسند (٥ : ١١٠) من طريق حميد بن هلال : «عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقهم ، قال :دخلوا قرية ، فخرج عبد الله بن خباب ذعرا يجرُّ رداءه ، فقالوا : لم تُرَعْ ، قال : والله لقد رعتمونى ، قالوا : أنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال : فهل سمعت من أبيك حديثاً يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدثناه ؟ قال : نعم ، سمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه ذكر فتنة ، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشى،والماشى فيها خير من الساعى ، قال: فإن أدركتَ ذاك فكن عبدالله المقتولَ ــ قال أيوب : ولا أعلمه إلا قال : ولاتكن عبد الله القاتلَ ــ قالوا : =

ومن طَرِيفِ أخبارِهم : أن غَيْلانَ بن خَرَشَةَ الضَّبِّيَّ سَمَرَ ليلةً عند زيادٍ ومعه جماعةٌ ، فَذُكِرَ أمرُ الخوارجِ ، فأنْحَى[1] عليهم غيلانُ ، ثم انصرف بعد لَيْلٍ إلى منزلِهِ ، فلقيه أبو بلال مِرْداسُ بن أُدَيَّةَ ، فقال له : يا غَيْلانُ ! قد بَلَغنى ما كان منك الليلةَ عندَ هذا الفاسقِ ، مِن ذِكرِ هؤلاء القومِ الذين شَرَوْا أنفسَهم وابتاعوا آخِرتَهم بدنياهم ، ما يُؤَمِّنُكَ[2] أن يلقاكَ رجلٌ منهم ، أَحْرَصُ واللهِ على الموتِ منكَ على الحياة ، فَيُنْفِذَ حِضْنَيْكَ[3] بِرُمْحِهِ ؟

فقال غَيْلانُ : لن يَبْلُغَكَ أنِّى ذكرتُهم بعدَ [هذه[4]] اللَّيلةِ .

ومِرْدَاسٌ تَنْتَحِلُه جماعةٌ من أهلِ الأهواءِ ، لِقَشَفِهِ وبَصِيرتِه ، وصحةِ

= أأنت سمعت هذا من أبيك يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال : فقدموه على ضفة النهر فضربوا عنقه ، فسال دمه كأنه شراك نعل ، ما ابذقر ، وبقروا أم ولده عما فى بطنها » . ثم رواه مرة ثانية وزاد « ماابذقر يعنى : لم يتفرق » .

وهذه الرواية ذكرها الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧ : ٣٠٢ — ٣٠٣) ونسبها لأحمد وأبى يعلى والطبرانى ، وزاد فى أولها شيئا عن الطبرانى ، ثم قال : « ولم أعرف الرجل الذى من عبد القيس ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

(١) رسمت فى النسخ المخطوطة « فأنحا » بالألف . على الرسم القديم .

(٢) فى ج و س و هـ « من يؤمنك » .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ شاذانَ : قال أبو عمرَ : الحِضْنَانِ : نَاحِيتا الإنسانِ ، والجميعُ أَحْضَانٌ ، ونَوَاحِى كلِّ شىء أحضانُهُ . ويقال : حَضَنَتِ الدَّجاجَةُ البَيْضَ وغيرَها : إذا جعلتْها تحتَ حِضْنِها » .

(٤) الزيادة من س .

عبادتِه ، وظهورِ ديانتِه ، وبيانِه . تنتحلهُ المعتزلةُ ، وتزْعُم أنه خَرج منكِراً لِجَوْرِ السلطانِ ، داعياً إلى الحَقِّ . وتحتجُّ له بقوله لزيادٍ حيثُ قال على المِنْبَر: والله لآخُذَنَّ المحسِنَ منكم بالمسِيء ، والحاضِرَ منكم بالغائبِ، والصَّحِيحَ بالسَّقيمِ ، [والمطيع بالعاصى[1]] ، فقام إليه مرداسٌ فقال : قد سمعنا ما قلتَ أيُّها الإنسانُ، وما هكذا ذَكر اللهُ عزَّ وجلَّ عن نبيه إبرٰهيمَ عليه السلام ، إذْ يقولُ : ﴿ وإِبْرٰهيمَ الَّذِى وَفَّى ، أَلَّا تزِرُ[2] وازرةٌ وِزْرَ أُخْرَى[3] ، وأَنْ لَّيْسَ للإِنْسَانِ إلَّا مَاسَعَى ، وأنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ، ثم يُجْزاهُ الجَزاءَ الأَوْفَى[4] ﴾ وأنتَ تزعمُ أنك تأخُذُ المطيعَ بالعاصِى ، ثم خرجَ فى عَقِبِ هذا اليومِ . والشِّيَعُ تنتحلهُ ، وتزعمُ أنه كَتب إلى الحسين بن علىٍّ صلواتُ الله عليه: [أمَا[5]] إنِّى لَسْتُ أرى رَأْىَ الخوارِج ، وما أَنا إلَّا عَلَى دِينِ أبيكَ .

وهـــذا رأىٌ قد استهْوَى جماعةً من الأَشْراف . يُرْوَى : أنَّ المُنْذِرَ بنَ الجَارُودِ كان يرَى رأىَ الخوارجِ . وكان يزيدُ بن أبى مسلمٍ مولى الحَجَّاج بن يوسفَ يراهُ[6] . وكان صالحُ بنُ عبد الرحمن صاحبُ دِيوانِ العِراق يراه . وكان عِدَّةٌ من الفقهاء يُنْسَبون إليه ، منهم عِكْرمةُ مولى ابنِ عباسٍ . وكان

---

(١) الزيادة من ج و د و هـ .

(٢) « تزر » بالرفع ، لأن « أن » هى المخففة من الثقيلة . وضبطت فى طبعة أوربة بالنصب ، وهو خطأ من المصحح ، فإنه لاتوجد قراءة بذلك ، ولا فى القراءات الشاذة .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ ، الوِزْرُ الإثْمُ » .

(٤) سورة النجم ، الآيات ٣٧ ـ ٤١

(٥) الزيادة من د .

(٦) بحاشية ا مانصه « قال الشيخ : لم يكن يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج ، وإنما كان أخاه من الرضاعة وكاتبه ، وقتل بإفريقية » .

يقالُ ذلك فى مالكِ بن أَنَسٍ ، [ولعلَّ هذا يكون باطِلا[1]] . ويَرْوِى الزُّبَيْرِيُّونَ : أنَّ مالكَ بن أُنسٍ المَدِينِّى كان[2] يَذْكُر عثمانَ وعليًّا وطَلْحةَ والزُّبَيْرَ ، فيقولُ : واللهِ مااقْتَتَلوا إلاَّ على الثَّرِيد الأَعْفَرِ[3] !

فأمّا أبو سَعيد الحسن البَصْرىُّ فإنه كان يُنكِرُ الحكومةَ ، ولا يَرَى

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٢) فى ج و س و د و هـ « أن مالكا كان » .

(٣) قال المرصفى : الثريد الأعفر : الأبيض ليس بالشديد البياض ، يريد الثريد المتلىء بالإدام » .

ثم إن هنا بحاشية ج مانصه : « وُجِدَ على نسخةٍ من هذا الكتاب فى هذا المحلِّ ماصُورتُه ، مالكُ بن أنسِ بن مِسْمَعٍ البَكْرِىّ ثم البَصرىُّ أَحدُ رؤساء أهل البَصرةِ ، وأعظمُ فقهائها فى زمانه ، لِشرفِ بيتِهِ ، وتقدُّمه فى معرفةِ كلِّ فنٍّ ؛ وشُهرةِ زُهْدِهِ ، وكثرةِ تهجُّدِهِ ، لكنَّه كان مُتهَماً برأى الخوارج ، ولم يُوقَفْ لأَمره على حقيقةٍ ، اللهُ أعلمُ أىُّ ذلك كانَ . وقد ذكره المبرِّد فى الكامل ، وذكر أنه يرَى رأىَ الخوارج ، وذكر عنه مقالةً فى حقِّ علىٍّ وعُثمانَ وطلحةَ والزُّبيرِ ، رضوانُ الله عليهم،فأُوهِمَ أنه مالكُ بن أنسٍ الأَصبحىُّ صاحبُ المذهبِ . انتهى ماوُجِدَ » .

ووجد أيضاً بحاشية ف حشية طويلة بهذا المعنى ، دافع فيها كاتبها عن الإمام مالك بن أنس ، ومدحه مدحا عظيما . وسمى فيها الشخص الآخر « مالك بن أنس بن مالك بن مسمع البكرى ثم البصرى » . وقدبحثت كثيرا عن ترجمةمالك البكرى هذا فلم أجده . بل وجدت أن الحافظ ابن الجوزى ذكر فى كتاب تلقيح فهوم أهل الأثر (ص ٣٣٢) فى باب المتفق والمفترق مانصه : « مالك بن أنس : اثنان ، أحدهما : مالك بن أنس بن مالك الأصبحى ، إمام أهل المدينة فى الفقه . والثانى : مالك بن أنس الكوفى ، يروى عن هانىء بن حزام ، وقيل حرام ، عن عمر بن الخطاب » . ولو كان لهما ثالث لذكره إن شاء الله . ثم إن قول أبى العباس « ويروى الزبيريون أن مالكبن أنس المدينى » الخ يعين أنه يريد الإمام مالك صاحب المذهب .

رأيَهم ، وكان إذا جَلسَ فتمكَّن فى مجلسه ذَكَرَ عثمانَ فترَحَّمَ عليه ثلاثاً ، ولعَنَ قتَلَتَه ثلاثاً ، ويقولُ : لو لم نَلْعنهم لَلُعِنَّا ، ثم يَذكر عليًّا فيقولُ : لم يَزَلْ أميرُ المؤمنين علىٌّ رحمه الله يَتعرَّفُهُ النَّصْرُ[1] ، ويساعدُه الظَّفَرُ ، حتى حَكَّمَ ، فَلِمَ تُحَكِّمُ[2] والحقُّ معك ؟ ألاَ تَمْضِي قُدُماً لا أبالَك وأنتَ عَلَى الحقِّ ؟!

٭

قال أبو العباس : وهذه كلمة فيها جَفاء ، والعربُ تستعملها عند الحثِّ على أخذِ الحقِّ والإغراء ، وربما استعملتْها الجُفاةُ من الأعْرابِ عندَ المسئلة والطَّلَب ، فيقولُ القائلُ للأَميرِ والخليفةِ : انظر فى أَمرِ رعيتك لا أبالَكَ ! وسَمِعَ سليمانُ بن عبد الملكِ رجلاً من الأعراب فى سَنَةٍ جَدِيبَةٍ[3] يقولُ :

رَبَّ العِبادِ مَالَنا ومَالَكاَ   قد كُنتَ تَسْقِينا فما بَدَا لَكاَ

٭ أَنْزِلْ علينا الغَيْثَ لا أَبالَكاَ ٭

فأخرجه سليمانُ أحسنَ مَخْرَجٍ ، فقال : أَشهدُ أنه لا أَبالَه[4] ولا وَلَدَ ولا صاحبةَ ، وأَشهدُ أن الخَلْقَ جميعاً عِبادُه[5] . وقال رجلٌ من بنى عامر بن صَعْصَعَةَ أبْعَدَ مِن هذه الكلمة لبعض قومِه :

---

(١) فى ج و س و د و هـ « يَتعَرَّفُ النَّصْرَ » .

(٢) فى هذه النسخ « وَلِمَ تُحَكِّمَ » .

(٣) فى هذه النسخ « جدبة » .

(٤) فى س و د « لا أب له » .

(٥) بحاشية ا مانصه : « قال الزمخشرىُّ فى الأساس : هذه كلمة يراد بها الحثُّ والحضُّ ، ومن لم يدر معناها كفر من قال : ربَّ العباد . الأبيات » . وهـذا الذى نقل عن الأساس ليس فيه بهذا النص ، ولـكن فيه إشارة إليه .

أَبنِي عُقَيْلٍ لا أَبَا لِأَبِيكمُ ... أَيِّي وأَيُّ بَنِي كِلابٍ أَكْرَمُ

وقال رجلٌ من طيِّئٍ، أنشده أبو زيدٍ الأنصاريُّ :

يا قُرْطُ قُرْطَ حُيَيٍّ لا أَبالكمُ ... يا قُرْطُ إنّي عليكم خائفٌ حَذِرُ

أأَنْ رَوَى مِرْقَشٌ واصْطافَ أعْنُزَهُ ... منَ التّلاعِ التي قد جادَها المطرُ[1]

قلتم له اهْجُ تَميماً لا أبالكم ... في كَفِّ عبدِكُمُ عن ذا كُمُ قِصَرُ

فإنَّ بيتَ تميمٍ ذُو سَمِعْتَ به ... فيه تَنَمَّتْ وأَرْسَتْ عِزَّها مُضَرُ

قوله « يا قُرْطَ قُرْطَ حُيَيٍّ » نَصْبُهما معاً أكثرُ على ألسنةِ العربِ ، وتأويلُهما[2] : أنهم أرادوا « يا قُرْطَ حُيَيٍّ » فأقحموا « قرطًا » الثانيَ توكيداً ،

وكذلك لجريرٍ :

ياتَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ لاأَبالكمُ ... لا يُلْقِيَنَّكُمُ في سَوْءَةٍ عُمَرُ

ومثلُه لعُمَرَ بن لَجَإٍ :

يا زَيْدَ زَيْدَ اليَعْمَلاتِ الذُّبَّلِ ... تَطاوَلَ الليلُ عليكَ فانزِلِ

فإن لم تُرِدِ التوكيدَ والتكريرَ لم يَجُزْ إلاّ رفعُ الأولِ « يا زَيْدُ زَيْدَ اليعملاتِ » و « يا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيٍّ » كما تقولُ « يا زيدُ أخا عمرٍو » على النعت . ومثلُ الأول في التوكيد « يا بُؤْسَ للحربِ » أراد : يا بؤسَ الحربِ ، فأقْحَمَ اللامَ

---

(١) في ج و س و د و هـ « مرقس » بدون ضبط . وفي القاموس : « مَرْقَسٌ كمَقْعَدٍ ، لقبُ شاعرٍ طائيٍّ ، واسمه عبدُ الرحمن ، أحدُ بني مَعْنِ بن عَقُودٍ » .

(٢) في ج و د و هـ « وتأويله » .

توكيداً ؛ لأنها توجب الإضافةَ . وعلى هذا جاء « لا أبالك » و « لا أبا لزيدٍ »
ولولا الإضافةُ لم تثبتِ الألف فى الأَبِ ؛ لأنك تقول : رأيتُ أباك ، فإذا
أفردتَ قلتَ : هذا أبٌ صالحٌ . وإنما كانت « لا أَباكَ » كما قال الشاعرُ :

أبالموْتِ الذى لا بُدَّ أَنِّى   مُلاقٍ لا أَباكِ تُخوِّفينِى

وقال آخرُ :

وقد ماتَ شَمَّاخٌ وماتَ مُزَرِّدٌ   وأىُّ كريمٍ لا أباكِ يُخَلَّدُ

وقوله : « أَأَنْ رَوَى مِرْقَشٌ » « مِرْقَشٌ » رجلٌ . و « رَوَى » استَقى لأهله ،
يقال : فلانٌ رَاوِيَةُ أَهْلِهِ : إذا كان يستقى لأهله ، والتى على البعير والحمار
مَزَادةٌ[1] ، فإذا[2] كَبُرَتْ وعَظُمَتْ وكانت من ثلاثة آدِمَةٍ فهى المُثَلَّثَةُ ،
وأصغرُ منها السَّطِيحةُ ، وأصغرُهنَّ الطِّبْعُ .

وقوله « واصْطَافَ أَعْنُزُهُ » يريدُ : افتَعلَتْ ، من الصَّيْف ، أى :
أصابت البقلَ فيه .

و « التَّلْعةُ » : ما ارتفَعَ من الأَرضِ فى مُسْتَقَرِّ المَسِيلِ إذا تجافَى السَّيلُ
عن مَتْنِهِ ، وجمعُه « تِلَاعٌ » .

وقوله : « ذُو سَمِعْتَ به » يريد : الذى ، وكذلك تفعلُ طَيِّءٌ ، تجعلُ
« ذو » فى معنى « الذى » ، قال زَيْدُ الخَيْلِ لبنى فَزارَةَ وذَكَرَ عامرَ بنَ الطُّفَيْلِ
فقال :

إِنِّى أَرَى فى عامرٍ ذُو تَرَوْنَ

(١) فى ج و س و د « المزادة » .
(٢) فى ج و س و د و هـ « فإن » .

وقال عارقٌ الطائيُّ :

فإنْ لمْ يُغَيِّرْ بعضُ ما قد فعلتُمُ ... لَأَنْتَحِيَنْ للعَظْمِ ذُو أَنَا عارِقُهْ(١)

يريد : الذى .

ومن ظُرَفاءِ المُحْدَثِين اليمانِيَةِ مَنْ يَعملُ هذا اعتمادًا لإيثارِ لغةِ قومِه ،
قال الحسنُ بن هانئٍ الحَكَمِيُّ :

حُبُّ المُدامَةِ ذُو سمعتَ به ... لم يُبْقِ فِيَّ لغيرِها فَضْلَا

وقال حَبيبُ بن أَوْسٍ الطّائيُّ :

أنا ذُو عَرَفْتِ فإنْ عَرَتْكِ جَهالةٌ ... فأنا المقيمُ قِيامةَ العُذّالِ

وقال الحسنُ بنُ وهْبٍ الحارثيُّ :

عَلِّلانِى بذكرِها عَلِّلانى ... واسْقِيانِى أَوْلَا فَمَنْ تَسْقِيانِ(٢)

أَنا ذُو لم يَزَلْ يَهُونُ على النَّدْ ... مانِ إنْ عَزَّ جانبُ النَّدْمانِ

ويكونُ العزيزَ فى ساعةِ الرَّوْ ... عِ بِصِدْقِ الطِّعانِ يومَ الطِّعانِ

❊

عاد الحديثُ إلى ذكرِ الخوارجِ(٣) :

قال أبو العباس : وكان فى جملة الخوارج لَدَدٌ واحتجاجٌ ، عَلَى كثرةِ خُطبائِهم وشُعَرائِهم ، ونَفاذِ بَصيرتِهم ، وتَوْطينِ أنفُسِهم على الموتِ ، فمنهم

(١) فى ج و هـ « تُغَيِّرْ بَعْضَ » .

(٢) فى ج « يُسْقِيَانِ » .

(٣) فى د و هـ « ثم نرجع إلى ذكر الخوارج » .

الذى طعِنَ فأنفذَهُ الرُّمحُ فجعل يَسْعَى فيه إلى قاتله وهو يقول : ﴿وعَجِلْتُ إليكَ رَبِّ لِتَرْضَى[1]﴾.

ويُرْوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لمّـا وصفهم قال : « سِيماهم التَّحْليقُ ، يقرؤونَ القرآن لايُجاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ،عَلامَتُهُمْ رجلٌ مُخْدَجُ اليدِ[2] ».

وفى حديث عبدالله بن عمرٍو : « رجلٌ يقال له عَمْرٌو ذوالخُوَيْصِرَةِ ،أو الخُنَيْصِرةِ ».

ورُوِيَ[3] عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أنه نَظَرَ إلى رجلٍ ساجدٍ ، إلى أنْ صَلَّى النبيُّ عليه السلام ، فقال : أَلاَ رجلٌ يقتله ؟ فَحَسَرَ أبو بكرٍ عن ذراعِهِ وانْتَضَى السيفَ وصَمَدَ نحوَه ، ثم رجَع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أأقتلُ رجلاً يقولُ: لا إله إلاَّ اللهُ ؟ فقال النبيُّ عليه السلام : ألا رجلٌ يفعلُ ؟ ففعلَ عمرُ مثلَ ذلك ، فلما كانَ فى الثالثة قَصَدَ له عليٌّ بن أبى طالب عليه السلام فلم يرَه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قُتِلَ لـكانَ أولَ فِتْنَةٍ وآخِرَها » .

ويروى عن أبى مَرْيَمَ عن عليٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه : أنه ذُكِرَ المُخْدَجُ عندَ النبي عليه السلام ، فقال أبو مريمَ . واللهِ إنْ كان معنا لَفِي

---

(١) سورة طه آية ٨٤

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ ، قوله عليه السلام مُخْدَجُ اليد ، أى ناقِصُها . يقال : أَخْدَجَتِ الناقةُ وغيرُها: « إذا ألقَتْ ولدَها ناقصَ الخَلْقِ ، فهى مُخْدِجٌ ، والولدُ مُخْدَجٌ » .

(٣) فى س و د و هـ « ويروى » .

المسجدِ وكان فقيراً ، وكان يَحْضُرُ طعامَ [أميرِ المؤمنين[1]] عليٍّ إذا وضَعه للمسلمين ، ولقد كسوتُه بُرْنُساً لِي ، فلمّا خَرج القومُ إلى حَروراءَ قلتُ : واللهِ لأَنظرَنَّ إلى عسكرِهم ، فجعلتُ أَتخَلَّلُهُمْ حتى صِرْتُ إلى ابن الكَوَّاءِ وشَبَثِ بن رِبْعِيٍّ ، ورسلُ عليٍّ تُناشدُهم ، حتى وثَب رجلٌ من الخوارجِ على رسولٍ لعليٍّ[2] ، فضَرب دابَّتَه بالسيف ، فحَمل الرجلُ سَرْجَه وهو يقولُ : إنّا للهِ وإنا إليه راجعون ، ثم انصرفَ القومُ إلى الكوفة ، فجعلتُ أَنظرُ إلى كثرتِهم كأنَّما ينصرفون مِن عِيدٍ ، فرأيتُ المُخْدَجَ ، وكان مِنِّي قريباً ، فقلتُ : أَكنتَ مع القومِ ؟ فقال : أخذتُ سلاحِي أُريدُهم فإذا بجماعةٍ من الصبيانِ قد عَرَضُوا لى فأَخذوا سِلاحِي وجعلوا يتلاعبونَ بِي ! فلما كان يومُ النَّهرِ[3] قال عليٌّ [أميرِ المؤمنين[4]] : اطلُبُوا المُخْدَج ، فطلبوه فلم يجدوه ، حتى ساءَ ذلك عليًّا ، وحتى قال رجلٌ : لا واللهِ يا أميرَ المؤمنينَ ما هو فيهم ، فقال عليٌّ : واللهِ ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ ، فجاء رجلٌ فقال : قد أصبناه يا أمير المؤمنينَ ، فخرَّ عليٌّ ساجداً ، وكان إذا أتاه ما يُسَرُّ به من الفتوحِ سَجَدَ ، وقال : لو أَعلمُ شيئاً أفضلَ منه لفعلتُه ، ثم قال : سيماهُ أنَّ يَدَه كالثَّدْيِ ، عليها شعراتٌ كشاربِ السِّنَّوْرِ ، ايتُونِي بيدِه المُخْدَجَةِ ، فأَتَوْهُ بها ، فنَصَبَها .

---

(١) الزيادة من س و د .

(٢) فى س و د « لأمير المؤمنين » .

(٣) فى س و د و هـ « يوم النهروان » .

(٤) الزيادة من س و د .

ويرْوَى عن أبى الجَلْدِ : أنه نَظَرَ إلى نافع بن الأَزْرقِ الحَنَفِيِّ وإلى نظره وتوَغُّلِهِ وتعمُّقِهِ ، فقال : إنى لأجِدُ[1] لجهنم سَبعةَ أبوابٍ ، وإنَّ أشدَّها حَرًّا للخوارجِ ، فاحْذَرْ أن تكونَ منهم .

قال : وكان نافعُ بن الأزرق يَنْتَجِعُ عبدَ الله بن العباسِ فيسأله ، فله عنه[2] مسائِلُ من القرآن وغيرِه ، قد رَجَع إليه فى تفسيرِها،فقبِلَه وانْتَحَلَهُ ، ثم غلبتْ عليه الشِّقْوةُ . ونحن ذاكرون منها صَدْراً إن شاء الله .

⁂

حَدَّث أبو عُبيدةَ مَعْمَرُ بن المُثَنَّى التَّيْمِيُّ النَّسَّابةُ عن أُسامةَ بن زيدٍ عن عِكْرمةَ قال : رأيتُ عبدَ الله بن العباسِ وعندَه نافعُ بن الأَزرقِ وهو يسأَلُه ، ويطلبُ منه الاحتجاجَ باللغة ، فسَأَله عن قول الله جلَّ ثناؤه ﴿ واللَّيلِ وَمَا وَسَقَ[3] ﴾ ؟ فقال ابنُ عباسٍ : وما جَمَعَ ، فقال : أتعرفُ ذلك العربُ ؟ قال[4] ابن عباسٍ : أَمَا سمعتَ قول الراجزِ :

إنَّ لنا قَلائِصًا حَقائِقَا مُسْتَوْسِقاتٍ لو يَجِدْنَ سائِقَا ؟

هذا قولُ ابن عباس ، وهو الحقُّ الذى لايَقْدَحُ فيه قادحٌ . ويَعْرِضُ القولُ فيحتاجُ المبتدئُ إلى أنْ يَزْدادَ فى التفسيرِ .

---

(١) فى ج و س و د و هـ « إنى أجد » .
(٢) فى ج و هـ « فله عليه » وفى س و د « وله عليه » .
(٣) سورة الانشقاق آية ١٧
(٤) فى ج و د و هـ « فقال » .

قوله : « حقائقا » إنما يَنِى الحِقَّةَ من الإبل ، وهى التى قد استحقت أن يُحْمَلَ عليها ـ : عَلَى « فعيلةٍ » مثلَ « حَقِيقةٍ » ولذلك جمعها على « حقائِقَ » .

ويقال : « اسْتَوسَقَ » القومُ : إذا اجتمعوا .

ورَوَى أبو عُبيدةَ فى هذا الإسنادِ ، ورَوَى ذلك غيرُه ، وسمعناه من غير وجهٍ : أنه سأله عن قوله عزّ وجلّ : ﴿ قد جعَلَ ربُّكِ تحتَكِ سَرِيًّا[1] ﴾ فقال ابنُ عباسٍ : هو الجَدْوَلُ ، فسأله عن الشاهدِ ؟ فأنشده :

سَلْمًا تَرَى الدَّالِجَ منها أَزْوَرَا إذا يَعِجُّ فى السَّرِىِّ هَرْهَرَا[2]

« السَّلْمُ » : الدَّلْوُ الذى له عُرْوةٌ واحدةٌ ، وهو دَلْوُ السَّقَّائِينَ ، وهو الذى ذكره طَرَفةُ فقال :

لَهَا مِرْفقَانِ أَفْتلانِ كأنَّما أُمِرَّا بسَلْمَىْ دَالِجٍ مُتَشَدِّدِ

و « الدَّالِجُ » الذى يمشى بالدَّلْوِ بين البئرِ والحَوْضِ ، وأصحابُ الحديث يُنْشِدونَ : « تَرَى الدَّالِىَ منه أَزْوَرَا » وهذا خطأٌ لا وجهَ له .

ورَوَى أبو عُبيدةَ وغيرُه : أن نافعاً سألَ ابنَ عباسٍ عن قوله ﴿ عُتُلٍّ بعدَ ذلِكَ زَنيمٍ[3] ﴾ : ما الزنيمُ ؟ قال : هو الدَّعِىُّ المُلْزَقُ ، أمَا سمعتَ قولَ حَسَّانَ بن ثابتٍ :

زَنِيمٌ تَداعَاهُ الرجالُ زِيادةً كما زِيدَ فى عَرْضِ الأَدِيمِ الأكارِعُ ؟

---

(١) سورة مريم آية ٢٤

(٢) فى ج و د و هـ «منه» بدل «منها» . و « الأزور » : المائل . وقوله « هرهر » من الهرهرة ، وهى حكاية صوت الماء الكثير عند جريه .

(٣) سورة نٓ والقلم آية ١٣

ويزعُمُ أهلُ اللغة أنَّ اشتقاقَ ذلك من الزَّنَمةِ التى بحَلْقِ الشاةِ ، كما يقولون لمن دَخَل فى قومٍ ليس منهم : زَعْنَفة[٢] [الأمُّ « زِعْنِفة » بالكسر[١]] وللجمع «زَعانِفُ» ، و «الزِّعْنَفَة» الجَناحُ من أجنحة السَّمك [قال أبو الحسن الأخفشُ : كذا قال « زَعْنَفَة » والناسُ كلُّهم يقولون « زِعنِفة » بكسر الزاى وهو الوجه] .

ويُرْوَى[٣] عن غيرِ أبى عُبيدةَ : أنه سأَله عن قوله جلَّ اسمُه ﴿ والتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ[٤] ﴾ ؟ قال : الشِّدَّةُ بالشدَّةِ ، فسأَله عن الشاهدِ ؟ فأنشدَه :

أَخُو الحَرْبِ إنْ عَضَّتْ به الحربُ عَضَّهَا ... وإنْ شَمَّرتْ عن ساقِهَا الحربُ شَمَّرَا

قال أبو العباس : وقرأْتُ على عُمارةَ بن عَقيلِ بن بِلال بن جَريرٍ قصيدةَ جريرٍ ، التى يهجو فيها آلَ المُهلَّبِ بن أبى صُفْرةَ ، ويمدحُ هلالَ بن أَحْوَزَ المازنىَّ ، ويَذكر الوَقْعةَ التى كانت لهم عليهم بالسِّنْدِ فى سُلْطانِ يزيدَ بن عبد المَلكِ ، بسببِ خروجِ يزيدَ بن المهلَّبِ عليه :

أقولُ لها مِن ليلةٍ ليس طُولها ... كطُولِ الليالى لَيْتَ صُبْحَكِ نَوَّرَا

أَخافُ على نفسِ ابنِ أَحْوَزَ إنَّه ... جَلا حُمَماً فوقَ الوجوه فأسْفَرَا

[قال الشيخُ أبو يعقوبَ : الذى رَوَيْتُ فى شعرِ جريرٍ :

---

(١) الزيادة من حاشية ا .

(٢) « الزعنفة » بكسر الزاى والنون وبفتحهما ، لغتان معروفتان ، كما ضبطها فى القاموس والمعيار .

(٣) فى ج و س و د و هـ « وروى » .

(٤) سورة القيامة آية ٢٩

حِذَاراً على نفسِ ابنِ أحْوَزَ إنه جلاَ كلَّ وجهٍ من مَعَدٍّ فأسْفرَا[1]

وقوله « عَدِيّ[2] » يعنى عَدِيَّ بنَ أرْطاةَ الفَزاريَّ ، قتَله معاويةُ بن يزيدَ بن المهلَّب بواسطٍ ، وكان عامِلَ عمرَ بن عبد العزيز رحمه الله[3]] :

جَعلْتَ لِقَبْرٍ لِلْخِيَارِ ومَالِكٍ وقبرِ عَـــدِيٍّ فى المَقابِرِ أقْبُرَا[4]

[ويُرْوَى « للخيارِ وواسطٍ » الخِيارُ : موضعٌ بعُمانَ ، فيه قبرُ الخِيارِ بن سَبْرَةَ المُجاشِعِيِّ ، وواسطٌ : بها قبرُ عَدِيِّ بن أرْطاةَ الفَزارِيّ[5]] .

وأطفَأْتَ نِيرانَ المَزُونِ وأهلِها وقد حاولوها فِتْنَةً أن تَسعَّرَا

[« المَزونُ » عُمانُ ، بالفارسية[6]] .

فلم تُبْقِ منهم رايـــةً يَعْرِفونَها ولم تُبْقِ من آلِ المُهَلَّبِ عَسْكَرَا[7]

ألاَرُبَّ سَامِى الطَّرْفِ من آلِ مازنٍ إذا شَمَّرَتْ عن ساقِها الحربُ شَمَّرَا

---

(١) هذه الرواية توافق رواية النقائض (٩٩٢) والأبيات من قصيدة طويلة فيها (ص ٩٩١ ــ ١٠٠٣) عدد أبياتها ١٠٦ وهذا البيت الثامن منها . وأما رواية الديوان فتخالف رواية المبرد ورواية أبى يعقوب (ص ٢٤٠ ــ ٢٥١) .

(٢) عدىّ هذا سيأتى ذكره فى البيت الآتى .

(٣) الزيادة من حاشية ا .

(٤) هكذا فى نسخ الكامل « لقبر » باللام والذى فى الديوان والنقائض « بقبر » بالباء .

(٥) الزيادة من حاشية ا . وقال الشيخ المرصفى: « هذه رواية منكرة ، كان الصواب إسقاطها، وذلك لأمرين : أحدهما : أن أرباب المعاجم لم يذكروا أن الخيار موضع البتة . ثانيهما : فساد التركيب على ماروى ، لأن ظاهره يدل على أن قبر عدىّ ليس بواسط ، لعطفه بالواو ، وهو يزعم أنه بواسط ، على أنه كان اللازم أن يقول : جعلت لقبر بالخيار وواسط ، على مازعم ، وهذا كله غير صواب » .

(٦) الزيادة من حاشية ا .

(٧) فى ج و س « فلم يَبْقَ منهم رايةٌ » .

فهذا نظيرُ ذلك . و « المَزُونُ » عُمانُ . قال الكُمَيْتُ :

فأمّا الأَزْدُ أَزْدُ أبى سَعيدٍ ... فأَكرهُ أن أُسَمِّيهَا المَزُونَا

وقال آخرُ يعنى الحربَ :

فإِنْ شَمّرتْ لكَ عن ساقِها ... فوَيْهاً حُذَيْفَ ولا تَسْأَمِ[١]

[تقولُ : « وَيْهاً لزيدٍ » : إذا زَجرتَهُ عن الشيء فأَغْرَيْتَهُ به . و « وَاهاً له » : إذا تَعَجَّبْتَ منه . و « حُذَيْفَ » يريدُ حُذَيفةَ ، فرَخَّمَ[٢]] .

ويُرْوَى[٣] عن أبى عُبيدةَ من غيرِ وجهٍ : أن نافعَ بن الأَزرقِ سألَ ابنَ عباسٍ فقال : أرأيتَ نبيَّ الله سليمانَ صلى الله عليه ، مع ما خوّله اللهُ وأعطاه ، كيف عُنِيَ بالهُدْهُدِ على قِلّتِه وضُؤُولَتِه ؟ فقال له ابنُ عباسٍ : إنه احتاجَ إلى الماءِ ، والهدهدُ قَنّاءٌ[٤] ، الأَرضُ له كالزُّجاجةِ ، يَرَى باطِنَها من ظاهِرِها ، فسأَل عنه لذلك . قال ابنُ الأزرقِ : قِفْ ياوَقّافُ ! كيف يُبْصِرُ

---

(١) قال المرصفى : هذا غلط ، وإنما الرواية :

* فوَيْهاً رَبِيعَ ولا تَسْأَمُ *

برفع تسأم » . ثم ذكر أبياتا منها البيت بهذه الرواية ، ونسبها لقيس بن زهير بن جذيمة العبسى . ولعل رواية المبرد من أبيات غير ماروى المرصفى .

(٢) الزيادة من حاشية ا .

(٣) فى ج و س و د و هـ « ورُوِى » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « قال الخليلُ : يقال : رجل قَنّاءٌ ومُقَنٍّ : صاحبُ قَناً . قال : والقَنَاةُ كَظِيمَةٌ تُحفَرُ تحتَ الأَرضِ لِمَجْرَى ماءِ الأَنباطِ » .

ماتحتَ الأرضِ والفخُّ يُغَطَّى له بمقدارِ إصْبَعٍ من ترابٍ فلا يُبصرُه حتى يقعَ فيه؟ فقال ابنُ عباسٍ: ويحْكَ يا ابنَ الأزرقِ! أمَا علمتَ أنه إذا جاء القَدَرُ عَشِيَ[1] البصرُ؟!

ومما سأله عنه ﴿الٓمٓ . ذٰلِكَ الكتابُ[2]﴾ فقال ابنُ عباسٍ: تأويلُه: هذا القرآنُ. هكذا جاء، ولا أَحفظُ عليه شاهداً عن ابن عباسٍ، وأنا أَحْسِبُه أنه لم يَقبلْه إلاَّ بشاهدٍ، وتقديرُه عند النحويين إذا قال «ذلك الكتابُ»: أنهم قد كانوا وُعِدُوا كتاباً، هكذا التفسيرُ، كما قال جلَّ ثناؤُه: ﴿فلمَّا جاءَهم ماعَرَفُوا كَفَرُوا به[3]﴾ يعني بذاك اليهودَ، وقال: ﴿يَعْرِفُونَه كما يَعْرِفونَ أَبناءَهم[4]﴾، فمعناه: هذا الكتابُ الذي كنتم تَتَوَقَّعونه. وبيتُ خُفَافِ بن نَدَبَةَ[5] على ذلك يَصِحُّ معناه. وكان مِن خبره: أنه غزَا مع معاوية بن عمرٍو أخي خَنْساءَ، مُرَّةَ وفَزارةَ، فعَمَدَ ابنَا حَرْملةَ دُرَيْدٌ وهاشمٌ المُرِّيَّانِ عَمْدَ مُعاويةَ، فاسْتَطْرَدَ له أحدُهما، فحَمَلَ عليه معاويةُ، فطعنَه، وحَمَلَ الآخرُ على معاويةَ فطعنَه مُتمَكِّناً، وكان صَمِيمَ الخيْلِ[6]، فلما تنادَوْا قُتلَ معاويةُ.

---

(١) في ج «غَشِيَ». وفي س «عَمِيَ».

(٢) أول سورة البقرة

(٣) سورة البقرة آية ٨٩

(٤) سورة البقرة آية ١٤٦ وسورة الأنعام آية ٢٠

(٥) هكذا ضبط هنا في أكثر النسخ بفتح النون والدال معاً. وفي ج و هـ بفتح النون وسكون الدال، وفي د بضم النون وسكون الدال. وخفاف هذا صحابي، وهو أحد أغربة العرب، وهو ابن عم الخنساء الشاعرة. وانظر الشعراء لابن قتيبة (ص ١٩٦ — ١٩٧) وشرحنا على كتاب الرسالة للشافعيّ في الفقرة (١٠٦).

(٦) صميم الخيل، أي عميد الفرسان الذي يعتمدون عليه.

قال خُفافُ بنُ نَدَبَةَ ، وهى أمُّهُ ، وكانت حبشيةً ، وأبوه عُمَيْرٌ ، [وهو[1]] أحدُ بنى سُلَيمِ بن منصورٍ : قتلَنِى اللهُ إنْ رِمتُ[2] حتَّى أُثأَرَ به ، فحمل على مالكِ بن حمارٍ ، وهو سيدُ بنى شَمْخِ بن فَزارَةَ ، فطعنه فقتَله ، فقال خُفافُ بنُ نَدَبَةَ :

إنْ تكُ خَيْلى قد أُصِيبَ صَمِيمُها ... فعَمْدًا على عَيْنِى تيَمَّمْتُ مالِكا[3]

وَقَفْتُ له عَلْوَى وقد خامَ صُحْبتِى ... لِأَبْنِىَ مَجْدًا أو لِأَثأَرَ هالِكا[4]

أقولُ له والرُّمحُ يأْطِرُ مَتْنَهُ : ... تأمَّلْ خُفافًا إننى أنا ذٰلِكا[5]

يريدُ : أنا ذلك الذى سمِعتَ به . هذا تأويلُ هذا . وقوله « يأْطِرُ مَتْنَه » أى يَثْنِى. يقال أطَرْتُ القوسَ آطِرُها أَطْرًا، وهى مأطُورةٌ . و«عَلْوَى» فرسُهُ .

ومما سأله[6] عنه قولُه عزَّ وجلَّ : ﴿لهم أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ[7]﴾ فقال

---

(١) الزيادة من ج و س و د و ﻫ .

(٢) أى : برحت . من قولهم « رام من مكانه » أى برح .

(٣) « إن تك خيلى » قال المرصفى : « بغير واو ، على الخرم ، كذا صوب إنشاده ابن برى » .

(٤) « خام » أى رجع ونكص .

(٥) بحاشية ا مانصه « فى الرواية : يأطر مَتْنُهُ ، بضم النون ، ومعنى يأطر متنه : يَثْنِى وَيَعْطِفُ . ابنُ شاذانَ يقال : أَطَرْتُ العُودَ آطِرُهُ أطْرًا ، أى عطفته . وفى الحديث : حتى يَأْطِرُوهُ على الحقِّ أَطْرًا . أى : حتى يعْطِفُوه . قال : وقال الخليلُ : الأَطْرُ عَوْجُكَ الشىءَ تقبِضُ على أحد طَرَفَيْهِ وَتَأْطِرُهُ فَيَنْأَطِرُ. أَطَرْتُ القوسَ أَطْرًا ، وَأَطَّرْتُهَا تأطيرًا ، فهى مَأطورةٌ وَمُؤَطَّرَةٌ » .

(٦) فى س و د و ﻫ « سأل » .

(٧) سورة فصلت آية ٨ وسورة الانشقاق آية ٢٥

ابنُ عباسٍ : غيرُ مقطوعٍ ، فقال : هل تعرفُ ذلك العربُ ؟ فقال : قدعرَفه أخُو بني يَشْكُرَ ، حيثُ يقولُ :

وتَرَى خلفَهنَّ مِن سُرْعَةِ الرَّجْـ ـعِ مَنِيناً كأنَّه أِهْبَاءُ[1]

قال أبو العباس : «مَنِينٌ» يعني الغُبَارَ ، وذلك أنها تُقَطِّعُهُ قِطعاً وراءها ؛ و «المَنِينُ» الضعيفُ المُؤذِنُ بانقطاعٍ ، أنشدني التَّوَّزِيُّ عن أبي زيدٍ :

ياريَّهَا إنْ سَلِمَتْ يميِني * وسَلِمَ الساقِ الذي يَلِيني * ولم تَخُنِّي عُقَدُ المَنِينِ

تريد الحبلَ الضعيفَ ، فهذا هو المعروفُ ، ويقال «مَنِينٌ» و «مَمْنُونٌ» كقتيلٍ ومقتولٍ ، وجَرِيحٍ ومَجْروحٍ ، وذَكر التَّوَّزِيُّ في كتاب الأضدادِ أنَّ «المَنِينَ» يكونُ القويَّ ، يجعلُه[2] «فعيلاً» من «المُنَّةِ» ، والمعروفُ هو الأولُ .

وقال غيرُ ابنِ عباسٍ : ﴿لهم أجرٌ غيرُ مَمْنُونٍ﴾ لا يُمَنُّ عليهم فيُكدِّرَ عندَهم .

⁂

ويُروَى من غير وجهٍ : أنَّ ابنَ الأزرق أَتَى ابنَ عباسٍ [يومًا[3]] فجعلَ

---

(١) بحاشية ا مانصه : « في رواية ابن شاذانَ :

فَتَرَى خَلْفَهَا من الرَّجْعِ وَالْوَقْـ ـعِ مَنِيناً كـأَنَّهُ اهباءُ

الرَّجع : رجعُ قوائمها . والمَنِينُ : الغُبَارُ الضعيف . الإهباء : مصدرٌ ، يقال أَهْبَى : أي أثارَ الترابَ . ويُروى أَهْبَاء ، بفتح الهمزة ، جمع هَبْوَةٍ ، وهي الغُبار . ويجوز أَنْ قَصرَ الممدودَ ثم جَمَعَهُ » .

(٢) في ج و د و هـ « فجعله » .

(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ .

بِسائِلِه[1] حتى أَمَلَّهُ ، فجعلَ ابنُ عباس يُظْهِرُ الضَّجَرَ ، وطَلَعَ عمرُ بن عبد الله بن أبي رَبيعَةَ على ابن عباسٍ ، وهو يومئذ غلامٌ ، فسلَّم وجلسَ ، فقال له ابنُ عباس : ألا تُنْشِدُنا شيئاً من شِعْرِكَ ؟ فأَنشده[2] :

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أنت غادٍ فَمُبْكِرُ ... غَـداةَ غَدٍ أمْ رائحٌ فَمُهَجِّرُ ؟
بِحاجَةِ نَفْسٍ لم تَقُلْ في جَوابِها ... فَتُبْلِغَ عُـذْراً والمقالةُ تُعْذِرُ
تَهِيمُ إلى نُعْمٍ فلا الشَّمْلُ جامعٌ ... ولا الحبلُ موصولٌ ولا القلبُ مُقْصِرُ
ولا قُرْبُ نُعْمٍ إنْ دَنَتْ لكَ نافِعٌ ... ولا نَأْيُها يُسْـلِي ولا أنتَ تَصْبِرُ
وأُخرَى أَتَتْ من دُونِ نُعْمٍ ومِثْلُها ... نَهَى ذا النُّهَى لو يَرْعَوِي أو يُفَكِّرُ[3]
إذا زُرْتُ نُعْماً لم يَزَلْ ذُو قَرابَةٍ ... لها كُلَّما لاقَيْتُـه يَتَنَمَّرُ
عَزيزٌ عليـه أن أُمُرَّ ببابِها ... مُسِرٌّ لِيَ الشَّحْناءَ والبُغْضَ مُظْهِرُ[4]
أَلِكْنِي إليها بالسَّـلامِ فإنه ... يُشَهَّرُ إلمامِي بها ويُنَكَّرُ
بآيَةِ ما قالتْ غَـداةَ لَقِيتُها ... بِمَدْفَعِ أَكْنانٍ أهذا المُشَهَّرُ ؟
قِفِي فانْظُرِي يا أَسْمَ هلْ تَعرِفينَه ؟ ... أهذا المُغِيرِيُّ الذي كان يُذْكَرُ ؟[5]

---

(١) في النسخ المذكورة « يسئله » .

(٢) مضت أبيات من القصيدة ، فأثبتناها كلها ، بعد جمعها من المصادر الموثوق بها ، وبينا الأصل والزيادة هناك ، في الجزء الثاني (ص ٦١٣ — ٦١٨) .

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : ويُرْوَى : نُهَى ذِي النُّهَى . نُهَى هاهنا الغايةُ . أراد : غايةَ العاقلِ . والنُّهَى : العقلُ » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « ويُرْوَى : للبُغْضِ مُظْهِرُ . المُهَلَّبيُّ : الأَجودُ : والبغضَ مظهرُ » .

(٥) « يا أسم » رسمت في ج و د « يَأَسْمَ » .

أهذا الذى أَطْرَيْتِ نعتاً فلم أَكُنْ … وعَيْشِكِ أَنْسَاهُ إلى يوم أُقْبَرُ ؟!

فقالت : نعمْ ، لا شَكَّ غَيَّرَ لونَه … سُرَى الليل يُحْيِي نَصَّهُ والتَّهجُّرُ[1]

لَئِنْ كان إيّاه لقــد حالَ بَعْدَنا … عن العَهْدِ والإنسانُ قــد يتغيَّرُ

رَأَتْ رجلاً أَمَّا إذا الشمسُ عارَضَتْ … فيَضْحَى وأَمَّا بالعَشِيِّ فيَخْصَرُ

حتى أتمها ، وهى ثمانون بيتاً ، فقال له ابنُ الأزرقِ : لله أنتَ يا ابنَ عباسٍ ! أَنْضرِبُ إليك أكبادَ الإبلِ[2] ، نَسألُك عن الدِّين ، فتُعرِضُ ، ويأتيك غلامٌ من قريشٍ ، فيُنْشِدُكَ سَفَهاً فتسمعهُ ؟! فقال : تَاللهِ ما سمعتُ سفهاً ، فقال ابنُ الأزرقِ : أَمَا أنشدكَ :

رأتْ رجُلاً أَمَّا إذا الشمسُ عارضتْ … فيَخْزَى وأَمَّا بالعَشِيِّ فيَخْسَرُ ؟

فقال : ما هكذا قال ، إنما قال « فيَضْحَى وأَمَّا بالعَشِيِّ فيَخْصَرُ » قال : أَوَ تَحْفَظُ الذى قال ؟ قال : واللهِ ما سمعتُها إلاَّ ساعتى هذه ، ولو شئتُ أن أَرُدَّها لَرَدَدْتُها ! قال : فارْدُدْهَا ؟ فأنشدَهُ إياها [كلَّها[3]] .

ورَوَى الزُّبَيْرِيُّونَ : أن نافعاً قال له : ما رأيتُ أَرْوَى منك قَطُّ ، فقال له ابنُ عباسٍ : ما رأيتُ أَرْوَى من عُمَرَ ، ولا أَعْلَمَ من عليٍّ .

---

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقول : يُصِيبُهُ الحَرُّ فى الهاجِرَةِ والقُرُّ فى الليلِ ، فيُغَيِّرُ لونَهُ والنَّصُّ : ضَرْبٌ من السَّيْرِ . المُهَلَّبِيُّ : نَصَصْتُ البعيرَ فى السَّيرِ أَنُصُّهُ نَصًّا : إذا رَفَعْتَهُ » .

(٢) فى ج « آباط الإبل » .

(٣) الزيادة من س و هـ .

وقوله « فيَضْحَى[1] » يقولُ : يَظْهَرُ للشمسِ . و « يَخْصَرُ » يقولُ : فى البَرْدَيْنِ[2] ، فاذا ذَكر العشىَّ فقد دلَّ على عَقِيب العشىِّ . قال اللهُ تبارك وتعالى : ﴿ وأنَّكَ لا تَظْمَأُ فيها ولا تَضْحَى[3] ﴾ «والضِّحُّ» الشمسُ ، وليس مِنْ « ضَحِيتُ » يقالُ « جاء فلانٌ بالضِّحّ والرِّيح » يُرادُ به الكثرةُ[4] .

قال عَلْقَمةُ :

أَغَرُّ أَبْرَزَهُ للضِّحّ رَاقِبُهُ ... مُقَلَّدٌ قُضُبَ الرَّيْحَانِ مَفْغُومُ

له « فَغْمَةٌ » أى : رائحةٌ طيبةٌ[5] ، يعنى إبريقاً فيه شرابٌ . وفى الحديث : « أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمَّا توَجَّهَ إلى تَبُوكَ جاء أبو خَيْثَمَةَ ، وكانت له امرأتانِ ، وقد أعَدَّتْ كلٌّ واحدةٍ منهما من طَيِّبِ ثَمَرٍ بستانِه ، ومَهَّدَتْ له فى ظِلٍّ ، فقال : أظِلٌّ ممدودٌ ، وثَمرةٌ طيبةٌ ، وماءٌ باردٌ ، وامرأةٌ حسناءُ ، ورسولُ الله فى الضِّحِّ والرِّيحِ ! ؟ ما هذا بخيرٍ ، فركب ناقتَه ومَضَى فى أثَرِهِ ، وقد قيلَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى نَفَرٍ تخلَّفوا ، أبو خَيْثَمَةَ أحدُهم ، فجعل لا يُذْكَرُ له أحدٌ منهم إلاَّ قال : دَعوهُ فان يُرِدِ اللهُ به خيراً

---

(١) رسمت فى الأصول فى هذا الموضع « فيضحا » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « قال المُهَلَّبِىُّ : البَرْدَانِ ، الغَداةُ والعشِىُّ . قال : والأبْرَدَانِ طَرَفَا النهارِ » .

(٣) سورة طه آية ١١٩

(٤) فى ج و هـ « يراد بذلك الكثرة » .

(٥) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : فَغَمَتْنِى رائحةُ الطِّيبِ : أى : ملأتْ أنفى ، تفغَمُنى فَغْما » .

يُلحِقهُ بكم ، فقيلَ ذاتَ يوم : يا رسول الله ! نَرَى رجلاً يَرْفَعهُ الآلُ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كُنْ أبا خيثمةَ ، فكان هو[١] » .

وإذا انبسطتِ الشمسُ فهو « الضُّحَى » مقصورٌ ، فإذا امتدَّ النهارُ وبينهما مقدارُ ساعةٍ أو نحوُ ذلك فذلك « الضَّحاءُ » ممدودٌ مفتوحُ الأولِ .

❋

وذكرتِ الرواةُ : أن الحَجَّاجَ أُتِيَ بامرأةٍ من الخوارج ، وبحضرته يزيدُ بن أبي مسلمٍ مولاه ، وكان يَسْتَسِرُّ برأي الخوارج ، فكَلَّمَ الحجاجُ المرأةَ فأعرضت عنه ، فقال لها يزيدُ بن أبي مسلمٍ : الأميرُ وَيْلَكِ يكلِّمُكِ ! فقالت : بل الويلُ واللهِ لك يا فاسقُ الرِّدِّئُ[٢] . « والرِّدِّئُ » عندَ الخوارج : هو الذي يَعلمُ الحقَّ من قولهم ويكتُمه[٣] .

---

(١) أبو خيثمة هو الأنصاري السالمي ، سماه الواقدي « عبد الله بن خيثمة » وذكر أنه شهد أحدا وبقي إلى خلافة يزيد بن معاوية . وقصته هذه أشار إليها كعب بن مالك في حديثه الطويل في ذكر توبته . في صحيح مسلم (٢ : ٣٢٩ — ٣٣٣) وليس فيها التفصيل الذي هنا في شأن أبي خيثمة . وذكرها بنحو مما هنا ابن هشام في السيرة (ص ٨٩٧ — ٨٩٨ طبعة أوربة ، ٤ : ١٧٤ — ١٧٦ طبعة التجارية) وسماه « مالك بن قيس » . وانظر تاريخ ابن كثير (٥ : ٧ — ٨) .

(٢) في ج و س و هـ . « أيُّها الفاسق الرِّدِّئُ »

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : الرَّدِئ مهموزٌ . يقال : رَدُؤَ الشيء : إذا صار رَدِيئا ، والاسمُ الرَّدَاءَةُ والرِّدِّئُ : من الرِّدَّةِ ، والردةُ : الرجوعُ عن الشيء ، ومنه : رَدَّ عن الإسلام ، والرِّدَّةُ : مصدرُ الارتدادِ . في نسخةٍ : الرَّدِئ . وليس بمرويٍّ [في] هذا الخبر » .

وذكروا أنَّ عبدَ الملك بن مرْوانَ أُتِيَ برجلٍ منهم فَبَحَثَهُ ، فرأى منه ما شاءَ فهماً وعلماً ، ثم بحثَه ، فرأى ما شاء إِرْبًا ودَهْيًا[1] ، فرَغِبَ فيه واستدعاه[2] إلى الرجوع عن مذهبه ، فرآه مُسْتَبْصِراً مُحَقِّقًا ، فزاده فى الاستدعاء ، فقال له : لِتُغْنِكَ الأُولى عن الثانيةِ ، وقد قلتَ فسمعتُ ، فاسْمَعْ أَقُلْ ، قال له : قُلْ ، فجعل يَبْسُطُ له من قولِ الخوارج ويُزَيِّن له من مذهبِهم بلسانٍ طَلِقٍ وألفاظٍ بَيِّنةٍ ومَعانٍ قَريبةٍ ، فقال عبدُ الملك بعدَ ذلك على معرفته : لقد كاد يُوقِعُ فى خاطِرى أن الجنة خُلِقَتْ لهم ، وَأَنِّى[3] أَوْلَى بالجهادِ منهم ، ثم رَجَعْتُ إلى ماثَبَّتَ اللهُ علىَّ من الحجةِ وقَرَّرَ فى قلبى من الحقِّ ، فقلتُ له : للهِ الآخرة والدنيا ، وقد سَلَّطَنى[4] اللهُ فى الدنيا ، ومَكَّنَ لنا فيها ، وأراكَ لَسْتَ تجيب بالقَوْلِ[5] ، واللهِ لَأَقْتُلَنَّكَ إن لَمْ تطِعْ ، فأنا فى ذلك إِذْ دُخِلَ علىَّ بابْنِى مروانَ ـ قال أبو العباس : كان مروان أخَا يزيدَ لِأُمِّهِ ، أُمُّهُما عاتِكةُ

---

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : الدَّهْىُ : مصدرُ دَهِىَ يَدْهَى دَهْياً وَدَهاءً : إذا صار داهيةً . ابنُ شاذانَ : قال أبو زيد : الإِرْبُ والإِرْبَةُ : الدَّهاء والفِطنةُ ، رجلٌ أَرِيبٌ ، بَيِّنُ الإِرْبِ والإِرْبَةِ . وقد أَرُبَ يَأْرُبُ أَرَابَةً ، وَالمُؤَارَبَةُ : المداهَاةُ والمخاتَلَةُ ، وفى الحديثِ : مُؤَارَبَةُ الأَرِيبِ جهلٌ وعَناءٌ . لأن الأَرِيبَ لايُخْدَعُ عن عَقْلِهِ » .

(٢) فى ج و س « فاستدعاه » .

(٣) فى ج و س و د و هـ « وأَنَّا »

(٤) فى هذه النسخ « سلطنا » .

(٥) فى س و د و هـ « بالقبول » .

بنتُ يَزِيدَ بن معاويةَ ، وكان أبيًّا عَزِيزَ النَّفْس ، فَدُخِلَ به فى هذا الوقتِ على عبد الملك ـ باكيًا لضربِ المؤدِّبِ إياهُ ، فشقَّ ذلك على عبد الملك ، فأقبلَ عليه الخارجِىُّ ، فقال له : دَعْهُ يَبْكِ[١] ؛ فإنه أرْحَبُ لِشِدْقِهِ ، وأصحُّ لدماغِه ، وأذْهَبُ لصَوْتِهِ ، وأحْرَى أن لاَ تأْبَى عليه عينُه إذا حضرَتْه طاعةُ ربه[٢] فاسْتَدْعَى عَبْرَتَهَا ، فأعْجَبَ ذلك من قوله عبدَ الملك ، فقال له متعجبًا : أمَا يَشْغَلُكَ ما أنت فيه و بعَرَضِهِ عن هذا ؟ فقال : ماينبغى أن يَشْغَلَ المؤْمنَ عن قولِ الحقِّ شىءٌ ، فأمر عبد الملك بحبسه ، وصَفَحَ عن قتله ، وقال بعدُ يعتذِرُ إليه : لولا أن تُفْسِدَ بألفاظِك أكثرَ رعيتى ما حبستُك ، ثم قال عبدُ الملك : مَن شَككَنى وَوَهَّمَنِى حتى مالتْ بى عصْمةُ اللهِ فغيرُ بعيدٍ أن يَسْتَهْوِىَ مَنْ بَعْدِى . وكان عبدُ الملك من الرأىِ والعلمِ بموضعٍ .

وتَزْعُمُ الرواةُ : أنَّ رجلاً من أهل الكتاب وفدَ على معاويةَ ، وكان موصوفًا بقراءة الكتُبِ ، فقال له معاويةُ : أتَجِدُ نعْتِى فى شىءٍ من كُتبِ الله ؟! قال : إى واللهِ ، لو كنتَ فى أُمَّةٍ لوضعتُ يَدِى عليكَ من بينهم! قال : فكيف تجدنى ؟ قال : أجدُك أولَ مَنْ يُحَوِّلُ الخلافةَ مُلْكاً ، والخُشْنَةَ لِينًا ، ثم إن ربَّك مِن بعدها لغفورٌ رحيمٌ ، قال معاوية : فَسُرِّىَ عنِّى ، ثم قال : لاتَقْبَلْ هذا مِنِّى ، ولكن من نفسك ، فاختبرْ هذا الخبرَ[٣] ! قال : ثم يكونُ

---

(١) فى س و هـ « يبكى » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « طاعة الله » .

(٣) فى ج « فاجْتَنِبْ هذا الخبرَ » وفى س و د و هـ « فاجْتَبِ هذا الخبرَ » =

ماذا؟ قال : ثم يكونُ منك رجلٌ شَرَّابٌ للخمرِ ، سَفَّاكٌ للدماء ، يَحْتَجِن الأموالَ[1] ، وَيَصْطَنِعُ الرجالَ ، وَيَجْنُبُ الخيولَ ، وَيُبِيحُ حُرْمَةَ الرسولِ! قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم تكونُ فِتنةٌ تَتَشَعَّبُ بأقوامٍ حتى يُفْضِيَ الأمرُ بها إلى رجلٍ أَعْرِفُ نعتَهُ ، يَبيعُ الآخرةَ الدائمةَ بحظٍّ من الدنيا مَخْسُوسٍ ، فَيَجْتَمِعُ عليه ، مِن آلِك وليس منكَ ، لايزالُ لِعَدُوِّهِ قاهِرًا ، وعلى مَنْ ناوَأَه[2] ظاهِرًا ، ويكون له قَرِينٌ مُبِينٌ[3] لَعِينٌ ! قال : أفتعرفُه إن رأيتَه ؟ قال : شَدَّمَا ، فأَراه مَنْ بالشأمِ مِن بنى أُمَيَّةَ ، فقال : ما أراه هٰهنا ، فَوَجَّه به إلى المدينة مع ثقاتٍ من رُسُلِهِ ، فإذا عبدُ الملك[4] يَسْعَى مُؤْتَزِرًا فى يده طائرٌ ، فقال للرُّسُلِ : هاهو ذَا ، ثم صاح به : إلَىَّ أبو مَنْ ؟ قال : أبو الوليد ، قال : ياأبا الوليد ! إنْ بَشَّرْتُكَ بِبِشارةٍ تَسُرُّكَ ماتَجْعَلُ لِى ؟ قال : وما مقدارُها من السرورِ حتى نَعْلَمَ مقدارَها من الجُعْلِ ؟ قال : أنْ تَمْلِكَ الأرضَ ! قال : مالِى مِن مَالٍ ، ولكن أَرَأَيْتَكَ[5] إنْ تَكَلَّفْتُ لك جُعْلاً أَأَنالُ ذلك قبلَ

= وبحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقال : اجْتَبَيْتُ الخراجَ اجْتِباءً ، أى : جَمَعْتُ ، ومنه قيل : اجْتَبَيْتُ الرجلَ لنفسى » .

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : احْتَجَنْتُ الشىءَ : إذا أَخَذْتَهُ » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : تقولُ : نَاوَأْتُ الرجلَ مُنَاوَأَةً : إذا عاديتَه » .

(٣) فى ج و س و د « مُبِيرٌ » .

(٤) فى ج و س و د و هـ « فاذا بعبد الملك بن مروان » .

(٥) فى هذه النسخ « أرأيتَ » .

وقتِه ؟ قال : لا ، قال : فإن حَرَمْتُكَ أتُؤَخِّرُه(١) عن وقته ؟ قال : لا ، قال : فحَسْبُكَ ما سمعتَ !! فذكروا أنَّ معاوية كان يُكْرِمُ عبدَ الملك ليجعلها يدًا عندَه يُجَازِيه بها فى مُخَلَّفيهِ(٢) فى وقتِه(٣) .

وكان عبدُ الملك من أكثر الناس علمًا ، وأبرَعِهم أدبًا(٤) ، وأحسنِهم فى شَبِيبَتِه ديانةً ، فقَتَلَ عَمْرَو بن سعيدٍ ، وتَسَمَّى بالخلافةِ ، فسُلِّمَ عليه بها أوّلَ تَسليمةٍ ، والمُصْحَفُ فى حِجْرِهِ ، فأطبقَه وقال : هذا فراقُ بينى وَبينِكَ !!

قال أبو العباس : وحدثنى ابنُ عائشةَ عن حَمّادِ بن سَلَمة فى إسنادٍ ذكره : أن عبدَ الملك كان له صَديقٌ ، وكان من أهل الكتاب ، يقال له يوسُفُ ، فأسْلم ، فقال له عبدُ الملك يومًا ، وهو فى عُنفُوانِ نُسْكِهِ ، وقد مضتْ جيوشُ يزيدَ بن معاويةَ مع مسلمِ بن عُقْبَةَ المُرِّىِّ ، من مُرَّةِ غَطَفانَ ،

---

(١) فى س و د « أيُؤَخِّرُ ذلك » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « مُخَلَّفَتِه » .

(٣) هذه القصة كذبها ظاهر ، ولا يوجد مسلم يعتقد أن كتب الأنبياء السابقين — إن وجدت — فيها وصف تفصيلى لأفراد من هذه الأمة المحمدية ، إنما بشر الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالأمة الإسلامية . ولعل بعض أهل الكتاب كانوا يخدعون بعض العامة من المسلمين بأقاويل يفترونها . أما معاوية فى إيمانه وعلمه ، وفى عقله ودهائه ، فلا يخدع بمثل هذه المفتريات السخيفة . ومثل هذا القصص وضعه الوضاعون لمقاصد سياسية ، ولا نحب أن نثير فتنة بتعيين الفرق التى وضعت مثل هذا .

(٤) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : تقولُ : بَرَعَ الرجلُ براعةً : إذا تَمَّ فى جَمالٍ أو علمٍ ، فهو بارِع ، والاسمُ البَرَاعةُ ، والمرأةُ بارعةٌ » .

يريدُ المدينة ـ : ألا تَرَى خَيْلَ عَدُوِّ الله قاصدةً لِحَرَمِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟! فقال له يوسفُ : جيشُكَ واللهِ إلى حَرَمِ رسول الله أعظمُ مِن جيشه ! فَنَفَضَ عبدُ الملك ثوبَه ، ثم قال : مَعَاذَ اللهِ ! قال له يوسفُ : ماقلتُ شاكًّا ولا مُرْتابًا ، وإني لَأَجِدُكَ بجميعَ أوصافِك ،قال له عبدُالملك : ثم ماذا ؟ قال : ثمَّ يتَدَاوَلُها رَهْطُكَ ، قال : إلى متى ؟ قال : إلى أن تَخرج الراياتُ السُّودُ من خُراسانَ(١) .

قال : وَحُدِّثْتُ عن ابن جُعْدُبَة ،قال : كنتُ عندَ أميرِ المؤمنين المنصور ، في اليوم الذى أتاه فيه خروجُ محمدِ بن عبد الله بن حَسن بن حَسن ، قال . فغَمَّهُ ذلك ، حتى امتنع من الغَدَاء فى وقته ، وطال عليه فِكْرُهُ ، فقلتُ : ياأميرَ المؤمنين ! أُحَدِّثكَ حديثاً ؟ كُنْتُ مع مروانَ بن محمدٍ ، وقد قَصَدَه عبدُ الله بن عليٍّ ، [قال(٢)] : فإنَّا لكذلك إذ نَظَرَ إلى الأعلامِ السُّودِ من بُعْدٍ ، فقال : ماهذه البُخْتُ المُجَلَّلةُ ؟ قلتُ : هذه أعلامُ القومِ ، قال : فَمَنْ تحتها ؟ قلتُ : عبدُ الله بن على بن عبد الله بن العباسِ ، قال : وَأَيُّهُمْ عبدُ الله ؟ فقلتُ(٣) : الفتى المَعْرُوقُ الطويلُ(٤) ، الخفيفُ

(١) وهذه أيضاً من القصص المكذوبة التىافتريت لنصر بنى العباس والطعن فى بنى أمية ، وكذبها واضح لايحتاج إلى برهان .

(٢) الزيادة من ج و هـ .

(٣) فى ج و س و د و هـ « قلت » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : رجل مَعْرُوقٌ وَمُعَرَّق : قليلُ اللَّحْمِ » .

العارِضَيْنِ ، الذى رأيتَه فى وَليمةٍ كذا يأكلُ فيُجيدُ ، فسألتَنى عنه فَنَسَبْتُهُ لكَ ، فقلتَ: إنَّ هذا الفَتى لتِلِقَّامَةٌ(١) ، قال : قدعرفتُه ، والله لَوَدِدْتُ أنَّ علىَّ بن أبى طالبٍ مكانَه ، قال : فقال لى المنصورُ : آللهِ لسمعتَ هذا مِن مروانَ بن محمدٍ ؟ قلتُ : والله لقد سمعتُهُ منه ، قال : ياغلامُ ! هاتِ الغَدَاءَ .

⁂

قال أبو العباس : وكان أهل النُّخَيْلَةِ جماعةً بعدَ أهلِ النَّهْرَوانِ(٢) ، ممن فارقَ عبدَ الله بنَ وَهْبٍ ، وممن لَجأ إلى رايةِ أبى أيوبَ ، وممن كان أقامَ بالكوفة ، فقال : لا أُقاتلُ عليًّا ولا أُقاتلُ معه ، فتَواصَوْا فيما بينَهم وتعاضَدُوا ، وتأسَّفُوا على خِذْلانِهِمْ أصحابَهُمْ ، فقام منهم(٣) قائمٌ يقالُ له المُسْتَوْرِدُ ، من بنى سعدِ بن زيدِ مَناةَ ، فَحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه وصلَّى على محمدٍ ، ثم قال . إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أتانا بالعدلِ ، تَخْفِقُ راياتُهُ ، مُعْلِنًا مقالتَه ، مُبَلِّغًا عن رَبِّهِ ، ناصِحًا لأُمَّتِهِ ، حتى قبضَه اللهُ مُخَيَّرًا مُخْتارًا ، ثم قام الصِّدِّيقُ فَصَدَقَ عن نبيّه وقاتَلَ من ارْتَدَّ عن دينِ ربِّهِ ، وَذَكَرَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قَرَنَ الصلاةَ

(١) بحاشية ا مانصه : « قال ابنُ شاذانَ : حدثنى أبو عُمَرَ عن ثعلبٍ عن ابن الأعرابىّ قال : التِّلْقَامَةُ : الشديدُ الأكل » . يعنى بكسر التاء وسكون اللام، ويجوز أيضاً تشديد القاف مع كسر اللام . وضبط فى أصول الكتاب بالضبطين .

(٢) فى ج و س و د و هـ « تجمّعَتْ بَعْدَ أهلِ النهروان » .

(٣) فى النسخ المذكورة « فقام بينهم » .

بالزكاةِ ، فرأى أن تعطيلَ إحداهما طَعْنٌ[1] على الأُخرى ، لا بل على جميع منازلِ الدين ، ثم قبضه اللهُ إليه موفورًا ، ثم قام [بعده[2]] الفاروقُ ، ففَرَقَ بين الحقِّ والباطِل ، مُسَوِّيًا بينَ الناسِ فى إعطائه ، لا مُؤْثِرًا لأقاربه ، ولا مُحَكِّمًا فى دينِ رَبِّه ، وها أنتم تعلمون ما حَدَثَ ، واللهُ يقولُ : ﴿ وَفَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ على القَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيماً[3] ﴾ فكلٌّ أجابَ وَ بَايَعَ[4] ، فوَجَّه إليهم علىُّ بن أبى طالبٍ عبدَ الله بنَ العباسِ داعياً ، فأَبَوْا ، فسارَ إليهم ، فقال له عَفِيفُ بنُ قَيْسٍ : يا أميرَ المؤمنين ! لا تَخْرُجْ فى هذه الساعةِ ؛ فإنها ساعةُ نَحْسٍ لعدوِّك عليك ! فقال له علىٌّ : توكلتُ على الله وحدَه ، وَعَصَيْتُ رَأْىَ كلِّ مُتَكَهِّنٍ ، أنتَ تزعم أنك تعرفُ وقتَ الظَّفَرِ مِن وقتِ الخِذْلانِ ؟! ﴿ إنّى تَوَكلتُ عَلَى اللهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ، مَامِنْ دَابَّةٍ إلاَّ هُوَ آخِذٌ بنَاصِيَتِهَا ، إنَّ رَبِّى عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[5] ، ثم سار إليهم فطَحَنَهم جميعاً ، لم يُفْلِت منهم إلاَّ خَمْسَةٌ ، منهم المُسْتَوْرِدُ ، وابنُ جُوَيْنٍ الطائىُّ ، وَفَرْوَةُ بن شَرِيكٍ الأَشْجَعِىُّ ، وَهُمُ الذين ذَكَرَهُمُ الحسنُ البصرىُّ ، فقال : دعاهُمُ إلى دِينِ الله فجَعَلوا أصابِعَهم فى آذانِهم وَاسْتَغْشَوْا ثيابَهم وأصَرُّوا واستكبرُوا استكبارًا ، فسار إليهم أبو حَسَنٍ فَطَحَنَهم طَحْنًا .

---

(١) فى النسخ أيضاً « طعناً » . ويكون هذا شاهداً لنصب معمولى « أن » .

(٢) الزيادة من النسخ المذكورة .

(٣) سورة النساء آية ٩٥

(٤) فى ج « وَتَابَعَ » .

(٥) سورة هود آية ٥٦

وفيهم يقولُ عِمْرانُ بن حِطَّانَ :

إنى أدِينُ بما دانَ الشُّرَاةُ به   يومَ النُّخَيْلَةِ عندَ الجَوْسَقِ الخَرِبِ

وقال الحِمْيَرِىُّ يعارضُ هذا المذهبَ :

إنى أدينُ بما دانَ الوصىُّ به   يومَ النُّخَيْلَةِ مِن قَتْلِ المُحِلِّينا

وبالذى دانَ يومَ النَّهْرِ دِنْتُ به   وشاركتْ كَفَّهُ كَفِّى بِصِفِّينا

تلكَ الدِّماءُ مَعاً ياربِّ فى عُنُقِى   ومثلَها فاسْقِنِى آمِينَ آمِينا[1]

وكان أصحابُ النُّخَيْلَةِ قالوا لابنِ عباسٍ : إذْ كانَ[2] علِىٌّ علَى حقٍّ لم يَشْكُكْ فيه وحَكَّمَ مُضْطَرًّا فما بالُهُ حيثُ ظَفِرَ لم يَسْبِ ؟ فقال لهم ابنُ عباس : قد سمعتم الجوابَ فى التحكيم ، فأمّا قولُكم فى السِّباءِ أفكنتُمْ سابِينَ أُمَّكُمْ عائشةَ ؟! فوضعوا أصابعَهُمْ فى آذانهم ، وقالوا : أَمْسِكْ عنّا غَرْبَ لِسانِكَ ياابنَ عباسٍ ! فإنه طَلْقٌ ذُلَقٌ[3]، غوّاصٌ علَى موضعِ الحجةِ .

---

(١) بحاشية ا مانصه : « قال ابنُ شاذانَ : إذا دعا الرجلُ قلتَ : أَمِينَ ربَّ العالمينَ ، بقصرِ الألفِ . وإن شئتَ طوّلتَ الألفَ فقلتَ : آمينَ . ولا تُشَدِّدِ الميمَ من أَمِينَ وآمينَ ، فإنه خطأ » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « إن كان » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابن شاذانَ : قال أبو عمرَ : رجل طُلَقٌ ذُلَقٌ : إذا كان طَلِيقَ الوَجْهِ ذَلِقَ اللِّسانِ . قال : وذَلْقُ السيفِ : حَدُّهُ ، ويقال : لِسانٌ ذَلِقٌ طَلِقٌ ، ولسانٌ ذَلِيقٌ طَلِيقٌ ، وذَلَقٌ طَلَقٌ ، والحروفُ الذُّلْقُ : حروفُ طَرَفِ اللسانِ ، يقال : رجلٌ طُلُقٌ ذُلُقٌ ، وطَلَقٌ ذَلَقٌ : إذا كان طَلِقَ الوَجْهِ ذَلِقَ اللسانِ » .

ثُمَّ خرجَ المُستَوْرِدُ بعدَ ذلكَ بمدةٍ على المُغيرةِ بن شُعْبَةَ ، وهو والِى الكوفةِ ، فوَجَّهَ إليه مَعْقِلَ بن قيْسٍ الرِّيَاحِىَّ ، فدعاهُ المستوردُ إلى المبارزةِ ، وقال له : عَلاَمَ يُقتَلُ الناسُ بينى وبينَكَ ؟ فقال له مَعْقِلٌ : النَّصَفَ[1] سألتَ ، فأَقْسَمَ عليه أصحابُهُ ، فقال : ما كنتُ لِآبَى عليه ، فخرج إليه ، فاختلفا ضَرْبَتَيْنِ ، فخرَّ كلٌّ واحدٍ منهما ميتاً .

وكان المُسْتَوْرِدُ كثيرَ الصلاةِ شديدَ الاجتهادِ ، وله آدابٌ يُوصِى بها ، وهى محفوظةٌ عنه .

كان يقولُ : إذا أَفْضَيْتُ بِسِرِّى إلى صَديقى فأَفشاه لم أَلُمْهُ ، لأنى كنتُ أَوْلَى بحفظه .

وكان يقولُ : لا تُفْشِ إلى أحدٍ سِرًّا ، وإن كان مُخْلِصًا ، إلاَّ على جهة المشاورةِ .

وكان يقولُ : كُنْ أَحْرَصَ على حِفظ سرِّ صاحبك منك على حَقْنِ دمِك .

وكان يقول : أوَّلُ ما يَدُلُّ عليه عائِبُ الناس مَعْرِفَتُهُ بالعُيوبِ ، ولا يَعيبُ إلاَّ مَعِيبٌ .

---

(١) بحاشية ا مانصه : « المُهَلَّبِىُّ : النِّصْفُ والنَّصَفَةُ والإنصافُ : واحدٌ ، والنِّصْفُ شَطْرُ الشىء . وأنْصَفْتُ الرجلَ إنصافاً : أعطيتُه الحقَّ ، وتَنَاصَفَ الحقَّ القومُ : إذا تَعَاطَوُا الحقَّ بينهم »

وكان يقول : المالُ غيرُ باقٍ عليك ، فاشترِ من الحمدِ ما يَبْقى عليك .

وكان يقول : بذلُ المالِ فى حقِّهِ استدعاءٌ للمزيدِ من الجَوادِ .

وكان يُكثِرُ أن يقولَ : لو مُلِّكْتُ الأرضَ بحذافيرِها ثم دُعيت إلى أن أستفيدَ بها خطيئةً ما فعلتُ .

☆☆☆

قال : وخرجتِ الخوارجُ ، واتَّصلَ خروجُها ، وإنما نذكُرُ منهم مَن كان ذا خبرٍ طريفٍ ، واتَّصلَتْ به حِكَمٌ من كلامٍ وأشعارٍ .

فأوَّلُ مَنْ خرجَ بعد قتلِ علىّ [بن أبى طالبٍ][1] عليه السلام حَوْثَرةُ الاسدىُّ ، فإنه كان مُتَنَحِّيًا بِالْبَنْدَنِيجَيْنِ ، فكتب إلى حابسٍ الطائىِّ يسألُه أن يتولَّى أمرَ الخوارجِ حتى يَسيرَ إليه بجمعِهِ ، فيتعاضدَا على مجاهدةِ معاويةَ ، فأجابَهُ ، فرجَعَا إلى موضعِ أصحابِ النُّخَيْلَةِ ، ومعاويةُ بالكوفة حيثُ دخلَها مع الحسن بن علىّ [بن أبى طالب[2]] صلواتُ اللهِ عليه ، بعدَ أنْ بايعَهُ الحسنُ والحسينُ عليهما السلام ، وقَيْسُ بن سَعْدِ بن عُبادَة ، ثم خرج الحسنُ يريدُ المدينةَ ، فوجَّهَ إليه معاويةُ وقد تجاوزَ فى طريقِهِ يسأله أن يكون المتولِّيَ لمحاربتِهم ، فقال الحسنُ : واللهِ لقد كففتُ عنك لِحَقْنِ دماءِ المسلمينَ ، وما أحْسِبُ ذلك يَسَعُنِى ، أَفَأُقاتِلُ عنك قومًا أنتَ واللهِ أَوْلى

---

(١) الزيادة من ج .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .

بالقتالِ منهم ؟! فلمَّا رَجَعَ الجوابُ إليه وَجَّهَ إليهم جيشاً أكثرُهُمْ من أهل الكوفةِ(١) ، ثم قال لأبيه أبى حَوْثَرَةَ : اكْفِنى(٢) أَمْرَ ابنِك ، فصار إليه أبوه فدعاه إلى الرجوعِ ، فأبَى فأدارَه ، فصَمَّمَ ، فقال له : يابُنَىَّ ! أجيئُك بابْنِكَ فلعلك تراه فتَحِنُّ إليه ؟ فقال : يا أبتِ ! أنا والله إلى طَعْنَةٍ نافذةٍ أَتَقَلَّبُ فيها على كُعوبِ الرُّمحِ أَشْوَقُ منِّى إلى ابنِى ! فرجَع إلى معاويةَ فَأَخْبَرَهُ [الخبرَ](٣) ، فقال : يا أبا حَوْثَرَة ! عَتَا هذا جِدّاً(٤) ، فلما نظَرَ حَوْثَرَةُ إلى أهلِ الكوفة قال : يا أعداءَ اللهِ ! أنتم بالأمس تُقاتلون مُعاويةَ لِتَهُدُّوا سلطانَه ، واليومَ تقاتلون مع معاوية لِتَشُدُّوا سلطانَه !! فخرجَ إليه أبوه فدعاه إلى البِرازِ ، فقال : يا أبتِ ! لك فى غيرِى مَنْدوحةٌ ، ولِى فى غيرِك عنك مَذْهَبٌ ، ثم حَمَلَ على القوم وهو يقولُ :

أُكُرُّ على هٰذِى الجموعِ حَوْثَرَهْ   فَعَنْ قليلٍ مَّا تنالُ المَغْفِرَهْ

---

(١) فى ج و س و د و هـ « أكثرُه أهلُ الكوفة »

(٢) فى النسخ المذكورة « تقدم فاكفنى » .

(٣) الزيادة من ج .

(٤) بحاشية ا مانصه : « قال أبو يعقوبَ : أخبرنى أبو عِمْرانَ بن رَبَاحٍ عن أبى بكر بن دُريدٍ قال : يقالُ : عَتَا الرجلُ يَعْتُو عُتُوًّا فهو عاتٍ : إذا أقدمَ على الأمرِ . قال : وأخبرنى ابن سَيْفٍ عن ابن رُسْتُمٍ الطبرىِّ عن ابن السِّكِّيتِ قال : يقالُ عتَا يَعْتُو عتوًّا : إذا استكبرَ ، وكذلك يَعْتُو عُتِيًّا فهو عاتٍ ، قال: والملِكُ الجبّار عاتٍ ، وَجَبابِرَةٌ عُتاةٌ » .

فحَمَلَ عليه رجلٌ من طَيِّئٍ فقتَله ، فرأى أَثرَ السجودِ قد لَوَّحَ جبهتَه ، فندِمَ على قتله ، ثم انهزمَ القومُ جميعاً .

وأنا أحسبُ أنَّ قولَ القائل :

وَأَجرأُ مَنْ رأَيتُ بظَهْر غَيْبٍ على عَيْبِ الرجالِ ذوُو العُيوبِ

إنما أخذه من كلام المستوردِ .

قال رجلٌ للمستوردِ : أُريدُ أن أرَى رجلا عَيَّاباً ، قال : الْتَمِسْهُ بِفَضْلِ مَعايِبَ فيه .

وقال العباسُ بن الأحْنَفِ يعاتبُ من اتهمه بإفشاء سِرِّهِ :

تَمَتَّبْتَ تَطلُبُ ما أَسْتَحِقُّ به الهجرَ منك ولا تَقْدِرُ

وماذا يَضُرُّكَ من شُهْرَتِي إذا كَانَ سِرُّكَ لا يُشْهَرُ [1]

أَمِنِّي تخَافُ انتشارَ الحديثِ وحَظِّيَ في سَتْرِهِ أَوْفَرُ [2]

ولو لم تَكُنْ فِيَّ بُقْيَا عليك نَظرْتُ لِنفْسِي كما تَنْظُرُ

⁂

وَيُرْوَى من حديث محمد بن كَعْبٍ القُرَظِيِّ قال : قال عَمَّارُ بن ياسِرٍ : « خَرَجْنَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذاتِ العُشَيْرَةِ .

(١) في ج و س و د و هـ « وَمَاذَا يَضِيرُكَ » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « روايةُ ابنِ شاذانَ : في سِتْرِهِ أَوْفَرُ ، بكسر السين . وفي رواية أبي الحُسينِ المُهَلَّبِيِّ : سَتْرِهِ ، بفتح السين » .

فلما قفلنا نزلنا منزلاً ، فخرجتُ أنا وعليُّ بن أبي طالبٍ صلواتُ الله عليه نَنْظرُ إلى قومٍ يَعْتَمِلُونَ ، فنَعَسْنَا ، فنِمْنَا ، فسَفَتْ علينا الريحُ الترابَ ، فما نَبَّهنَا إلاَّ كلامُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لعليٍّ : يا أبا ترابٍ ! لِمَا عليه من التراب ، أتعلَمُ مَنْ أشقى الناسِ ؟ فقال : خبِّرْنِي يارسولَ الله ؟ فقال : أشقى الناسِ اثنانِ : أحمرُ ثمودَ الذي عقرَ الناقةَ ، وأشقاها الذي يَخْضِبُ هذه ، ووضعَ يدَه على لحيتِه ، مِنْ هذا ، ووضع يدَه على قَرْنِهِ[1] » .

وَيُرْوَى عن عِياضِ بن خَليفةَ الخُزاعِيِّ قال : تلقَّانِي [أميرُ المؤمنينَ][2] عليٌّ صلواتُ الله عليه في الغَلَسِ ، فقال لي : مَنْ أنْتَ ؟ قلتُ : عياضُ بن خليفة الخزاعيُّ ، فقال : ظننتُك أشقاها الذي يَخْضِبُ هذه مِن هذا ، وَوَضعَ يده على لحيتِهِ وعلى قَرْنِهِ .

---

(١) هذا مختصر من حديث رواه أحمد في المسند (٤ : ٢٦٣) والنسائي في خصائص عليّ (ص ٢٨ طبعة مصر) والحاكم في المستدرك (٣ : ١٤٠ ـ ١٤١) كلهم من طريق محمد بن كعب القرظي عن محمد بن خثيم أبي يزيد عن عمار بن ياسر . وصححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي . ونقله الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ : ١٣٦) وقال : « رواه أحمد والطبراني والبزار باختصار . ورجال الجميع موثقون ، إلا أن التابعي لم يسمع من عمار » . يريد الهيثمي بذلك قول البخاري : « هذا إسناد لانعرف سماع يزيد من محمد بن كعب ولا محمد بن كعب من ابن خثيم ، ولا ابن خثيم من عمار » . وذلك على قاعدة البخاري المعروفة . وأما مسلم وسائر علماء الحديث فانهم يكتفون في اتصال الإسناد بالمعاصرة ، كما هو معروف في علم المصطلح . ولذلك رد الحافظ ابن حجر في التهذيب (٩ : ١٤٨) على البخاري فقال : « قد ذكر البخاري أن محمد بن خثيم هذا ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، نقله عنه ابن منده ، وكذا ذكر البغوي ، فما المانع من سماعه من عمار . وعند ابن منده من طريق أحمد بن سلمة عن ابن إسحق التصريح بسماع محمد بن كعب من ابن خثيم ، وسماع يزيد من محمد بن كعب ، فان في سياقه عن يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب قال : حدثني أبو [يزيد] محمد بن خثيم » . فظهر بذلك صحة الحديث ، كما صححه الحاكم والذهبي .

(٢) الزيادة من ج و هـ .

وَيُرْوَى : أنه كان يقولُ كثيرًا ـ قال أبو العباسِ : أحسبُه عند الضَّجَرِ بأصحابه ـ : ما يَمْنَعُ أشقاها أن يَخْضِبَ هذه مِن هذا ؟

ويُرْوَى عن رجلٍ من ثَقِيفٍ أنه قال : خَرَجَ الناسُ يَعْلِفُونَ دوابَّهم بالمَدائِنِ ، وأرادَ عليٌّ [أمير المؤمنين][1] المَسيرَ إلى الشأم ، فَوَجَّهَ مَعْقِلَ بن قيس الرِّيَاحِيَّ لِيُرْجِعَهُم[2] إليه ، وكان ابنُ عَمٍّ لِي فى آخِرِ مَنْ خَرَجَ ، فأتيتُ الحسنَ بن عليٍّ عليه السلام ذاتَ عَشِيَّةٍ ، فسألتُه أن يأخُذَ لى كتابَ أميرِ المؤمنين إلى مَعْقِلِ بن قَيْسٍ فى التَّرْفِيهِ عن ابن عَمِّى ، فإنه فى آخِرِ مَنْ خَرَجَ ، فقال : تَغْدُو علينا والكتابُ مختومٌ إن شاء الله تعالى ، فبِتُّ ليلتِى ، ثم أصبحتُ والناسُ يقولون : قُتِلَ أميرُ المؤمنين الليلةَ ، فأتيتُ الحسنَ ، وإذا به فى دارِ عليٍّ عليه السلام ، فقال : لولا ما حَدَثَ لَقَضَيْنَا حَاجَتَكَ ، ثم قال : حدثنى أَبِى عليه السلام البارحةَ فى هذا المسجد فقال : يا بُنَيَّ ! إنِّى صَلَّيْت مَا رَزَقَ اللهُ ، ثم نِمتُ نَوْمَةً ، فرأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فَشَكَوْتُ إليه ما أنا فيه من مخالفةِ أصحابِى وَقِلَّةِ رغبتهم فى الجهادِ ، فقال : ادْعُ اللهَ أن يُرِيحَكَ منهم ، فدعوتُ اللهَ ، قال الحسنُ : ثم خَرَج إلى الصلاة فكان ما قد علمتَ .

وَحُدِّثْتُ من غيرِ وَجْهٍ : أن عليًّا لَمَّا ضُرِبَ ثم دَخَل منزلَه اعترتْه غَشْيَةٌ ثم أفاقَ ، فدعا الحسنَ والحسينَ ، فقال : أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللهِ والرغبةِ

(١) الزيادة من ج .
(٢) فى ج و س و هـ « لِيُزْعِجَهُمْ » .

فى الآخرةِ، والزُّهْدِ فى الدنيا ، ولا تَاسَفَا على شىء فاتَـكما منها ، اعْمَلاَ الخيرَ ، وكونا للظالم خَصْماً ، وللمظلوم عَوْناً ، ثم دَعَا محمَّدًا فقال : أما سمعتَ ما أوصيتُ به أَخَوَيْكَ ؟ قال : بَلَى ، قال : فإِنى أوصيك به ، وعليكَ بِـبِرِّ أَخَوَيكَ وتوقيرِهما ومعرفةِ فَضْلِهِمَا ، ولا تَقْطَعْ أَمْرًا دُونَهُمَا ، ثم أَقْبَلَ عليهما فقال : أُوصيكما به خيرًا ، فإِنه شَقيقُـكُمَا وابنُ أَبيكما ، وأنتما تَعْلَمَانِ أَنَّ أَباكُما كان يُحِبُّهُ ، فَأَحِبَّاهُ . فلمَّا قَضَى علىٌّ كرم الله وجهه قالتْ أُمُّ العُرْيَانِ :

وَكنَّا قَبْلَ مَهْلَـكِهِ زماناً نَرَى نَجْوَى رسولِ الله فِينَا
قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايا وَأَكْرَمَهُمْ وَمَنْ رَكِبَ السَّفِينَا
أَلاَ أَبْلِـغْ مُعَاوِيةَ بنَ حَرْبِ فلا قَرَّتْ عُيونُ الشَّامِتِينَا

وَيُرْوَى : أَنَّ عبدَ الرحمن بن مُلْجَمٍ باتَ تلكَ الليلةَ عند الأَشْعَثِ بن قَيْسِ بن مَعْدِى كَرِبَ ، وَأَنَّ حُجْرَ بنَ عَدِىٍّ سمع الأشعثَ يقولُ له : فَضَحَكَ الصُّبْحُ ، فلمَّا قالوا: قُتِلَ أميرُ المؤمنين قال حُجْرُ بنُ عَدِىٍّ للأشعثِ : أنت قتلتَه يا أَعْوَرُ ! وَيُرْوَى : أَنَّ الذى سمع ذاكَ أَخُو الأَشْعَثِ ، عَفِيفُ بن قيسٍ ، وأنه قال لأخيه : عَنْ أَمْرِكَ كانَ هذا يا أعورُ !

٭

وأخبارُ الخوارِجِ كثيرةٌ طويلةٌ ، وليس كتابُنا [هذا[١]] مفردًا لهم ، [و[٢]] لَـكِنَّا نَذكر من أمورهم ما فيه معنى وأدبٌ ، أو شعرٌ مُسْتَطْرَفٌ ، أو كلامٌ مِن خُطبةٍ معروفةٍ مختارةٍ .

---

(١) الزيادة من ج . وفى هـ « وليس هذا كتاباً » .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .

⁂

خَرَجَ قُرَيْبُ بن مُرَّةَ الأَزْدِيُّ وَزَحَّافٌ الطائِيُّ ، وكانا مجتهدَيْنِ بالبصرةِ في أيام زِيادٍ ، واختلفَ الناسُ في أمورهما ، أيُّهما كان الرئيسَ ، فاعترضا الناسَ ، فلَقِيَا شيخًا ناسكاً من بنى ضُبَيْعَةَ بن ربيعة بن نِزَارٍ ، فقتلاه ، وكان يقالُ له رُؤْبَةُ الضُّبَعِيُّ ، وتنادَى الناسُ ، فخرج رجلٌ من بَنِي قُطَيْعَةَ من الأزْدِ وفي يده السيفُ ، فناداه الناسُ من ظُهور البُيُوتِ : الحَرورِيَّةَ الحَرُورِيَّةَ[(١)] ! انجُ بنفسك ؛ فنَادَوْهُ : لسنا حَرُورِيَّةً ، نَحْنُ الشُّرَطُ ، فوقف فقتلوهُ ، وَبلَغَ أبا بِلَالٍ خبرُهُما ، فقال : قُرَيْبٌ لاقرَّبَهُ اللهُ من الخير ، وَزَحَّافٌ لا عفَا اللهُ عنهِ ، ركباها عَشْوَاءَ مُظْلِمَةً ، يريد اعتراضَهما الناسَ ، ثم جعَلا لا يَمُرَّانِ بقبيلةٍ إلا قتلا مَنْ وَجَدَا ، حتى مَرَّا ببني عليِّ بن سُودٍ من الأزْدِ ، وكانوا رُماةً ، وكان فيهم مائةٌ يجيدُونَ الرَّمْيَ ، فرَمَوْهُمْ رَمْيًا شديداً ، فصاحوا : يا بنى عليٍّ ! البُقْيَا ، لا رِمَاءَ بيْنَنَا ، فقال رجلٌ من بنى عليٍّ :

لاشَيْءَ لِلْقَوْمِ سِوَى السِّهامِ مَشْحُوذَةً فى غَلَسِ الظَّلَامِ[(٢)]

فَعَرَّدَ عنهم الخوارجُ[(٣)] ، وَخَافُوا الطَّلَبَ ، فاشْتَقُّوا مقْبُرَة بنى يَشْكُرَ ، حتى

---

(١) كلمة « الحرورية » ذكرت فى طبعات مصر مرة واحدة ، وهى ثابتة فى الأصول مرتين .

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : شَحَذْتُ السيفَ والسهمَ ، أَشْحَذُهُ شَحْذاً : إذا جَلَوْتَهُ ، فهو مَشْحُوذٌ » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « قال ابنُ شاذانَ : قال أبو عُمَرَ : تقولُ : عَرَّدَ الرجلُ =

نَفَذُوا إلى مُزَيْنَةَ ، ينتظرون مَن يَلْحَقُ بهم من مُضَرَ وغيرِها ؛ فجاءهُمْ ثمانون ، وخرجتْ إليهم بنو طَاحِيَةَ بن سُودٍ وقبائلُ مُزَيْنَةَ وغيرُها ، فاستَقتَلَ الخوارجُ[1] فقُتِلوا عن آخرِهِمْ ، ثم غدَا الناسُ إلى زيادٍ فقال : ألاَ يَنهَى كلُّ قومٍ سُفهاءَهُمْ ؟ يا معشرَ الأَزْدِ ! لولا أنكم أطفأتم هذه النارَ لقلتُ إنَّكُمْ أرَّثتُمُوها[2] ؛ فكانت القبائلُ إذا أحسَّتْ بخارجيَّةٍ فيهم شَدَّتْهُمْ [وَثاقًا[3]] وأتَتْ بهم زيادًا . فكان هذا أحدَ ما يُذْكَرُ من صحة تدبيره .

وله أُخرَى فى الخوارجِ : أَخرَجُوا معهم امرأةً ، فظَفِرَ بها فقتلَها ، ثم عَرَّاهَا . فلم تخْرُجِ النساءُ بعدُ على زيادٍ ، وكنَّ إذا دُعِينَ إلى الخروج قُلْنَ : لولا التعريةُ لسارَعْنا .

وَلَمَّا قتَلَ مصعبُ بنُ الزُّبَيْرِ بنتَ النُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ الأنصارية امرأةَ المُخْتَارِ ، وليس هذا من أخبارِ الخوارِجِ ـ : أنكره الخوارجُ غايةَ الإنكارِ ، وَرَأَوْهُ قد أَتَى[4] بقتلِ النساءِ أمرًا عظيماً ، لأَنَّهُ أَتَى ما نَهَى عنه رسولُ الله

= تَعْرِيداً : إذا عدَا فزَعًا ، فهو مُعَرِّدٌ . وبها سُمِّيَتِ العَرَّادَةُ ، لأنها تُعَرِّدُ بالحجَرِ ، أى : تَرمِى به المَرْمَى البعيدَ » .

(١) فى ج و س و د و هـ « فَاسْتُقْبِلَ الخَوَارِج » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : قال أبو زيدٍ : أَرَّثْتُ النارَ : أَوْقَدْتُهَا . ويقال : أَرَّثْتُ بَيْنَهُمْ ، أى : أَفْسَدتُّ »

(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٤) فى ج « أنكره الخوارجُ عليه أَشَدَّ الإنْكَارِ وَرَأَوْا أنه قد أَتَى » .

صلى الله عليه وسلم فى سائرِ نساءِ المشركين . ولِلْخَواصِّ منهنَّ أخبارٌ ، فقال عمرُ بن عبدِ الله بن أبى رَبيعةَ :

إنَّ مِنْ أعْظَمِ الكبائرِ عندى قتلَ حَسْناءَ غادةٍ عُطْبُولِ
قُتِلَتْ باطلاً على غيرِ ذَنْبٍ إن لِلّهِ دَرَّها مِنْ قتيلِ (١)
كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا وعلى المُحْصَناتِ جَرُّ الذُّيُولِ (٢)

⁂

قال : وكانت (٣) الخوارجُ أيامَ ابنِ عامرٍ أخرجوا معهم امرأتين ، يقال لإحداهما كُحَيْلَةُ ، والأخرى قطَامِ ، فجعل أصحابُ ابنِ عامرٍ يُعَيِّرُونهم

(١) بحاشية ا مانصه : « قال الشيخُ أبو يعقوبَ : حدثنى ابنُ شاذانَ عن أبى عمرَ [عن] ثعْلَبٍ قال : يقالُ : امرأةٌ غادةٌ ، وهى الرَّخْصَةُ . المُهَلَّبِىُّ : جاريةٌ عُطْبُولٌ تامَّةُ الخَلْقِ . وقال المُهَلَّبِىّ : قولُهُمْ : لِلّهِ دَرُّكَ ، معناهُ : لِلّهِ صالحُ عَملِكَ ، لأنَّ الدَّرَّ أفضلُ مَا يُحْتَلَبُ . يقالُ : دَرَّ الضَّرْعُ يَدِرُّ دَرًّا وَدُرُورًا . وَالدَّرّ اللَّبَنُ بعينهِ » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « وعلى الغانيات » وبحاشية ج « ويروى : على المحصنات » وبحاشية ا مانصه : « قال أبو الحسين المُهَلَّبِىُّ : يقالُ : أَحْصَنَ الرجلُ فهو مُحْصَنٌ ، وَأَحْصَنَتِ المرأةُ فهى مُحْصَنَةٌ ، وَامْرَأَةٌ حَصَانٌ ، بفتح الحاء ، أى : عَفِيفَةٌ . قال : وهذا أحدُ ماجاء على أفعلَ فهو مُفْعَلٌ ، قالوا : أَحْصَنَ فهو مُحْصَنٌ ، وَأَلْفَجَ فهو مُلْفَجٌ : إذا قَلَّ مالُه ، وَأَسْهَبَ مِن لَدْغِ الحَيَّةِ فهو مُسْهَبٌ ، وهو ذهابُ العقلِ . قال : وليس فى كلامِهم أَفْعَلَ فهو مُفْعَلٌ غيرُ هذه الثلاثةِ أحْرُفٍ » .

(٣) فى ج و س و د و هـ « وكان » .

ويَصيحون بهم : يا أصحابَ كُحَيْلَةَ وقَطامِ ! يُعَرِّضون لهم بالفجورِ ، فتناديهم الخوارجُ بالدَّفعِ والرَّدْعِ ، ويقولُ قائلهم : لاتَقْفُ ما ليس لك به علمٌ .

ويُرْوَى عن ابن عباسٍ في هذه الآية : ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً[1]﴾ قال : أعيادُ المشركين . وقال ابنُ مسعودٍ : الزُّورُ : الغِناءُ[2] فقيلَ لابن عباسٍ : أَوَ ما هذا في الشهادةِ بالزُّور ؟ فقال : لا ، إنما آيةُ شهادةِ الزُّورِ : ﴿وَلاَ تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كلُّ أُولٰئِكَ كانَ عنه مَسْؤُولا﴾[3].

⁂

عاد الحديثُ إلى أمرِ الخوارجِ .

وكان[4] من المجتهداتِ من الخوارج ، ولو قُلتَ : من المجتهدين ، وأنت

---

(١) سورة الفرقان آية ٧٢

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : الزُّورُ والزُّونُ : كلُّ شيء يُتَّخَذُ رَبًّا وَيُعْبَدُ مِن دُونِ الله تعالى . وَزَوَّرْتُ الكلامَ تَزْوِيرًا : إِذَا قَوَّيْتَهُ . وبه سُمِّيَ الكلامُ الزُّورُ ، لأنه يُزَوَّرُ ، أي : يُسَوَّى ثم يُتَكَلَّمُ به ، وكذلك شهادةُ الزُّورِ ، لأنَّه يُقَوِّيها وَيُشَدِّدُها ، وزعموا أنه فارسيٌّ مُعَرَّبٌ ، لأن الزُّورَ بالفارسية : القُوَّةُ . وقال أبو عُبيدةَ : هو مأخوذٌ من الزَّوَرِ ، وهو القويُّ الشديدُ » .
وانظر المعرب للجواليقي في مادتي « الزور » و « الزون » طبعة دار الكتب المصرية بتحقيقنا ، وما كتبنا عليه هناك (ص ١٦٥ — ١٦٦) .

(٣) سورة الإسراء آية ٣٦

(٤) في ج و د و هـ « وكانت » .

تَعْنِي امرأةً ـ : كَانَ أفصحَ ، لأنكَ تريدُ رجالاً ونساءً هى إحداهم ، كما قال اللهُ عزَّ وجَلَّ : ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ[1]﴾ وقالَ جَلَّ ثناؤه : ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ[2]﴾ . منهم[3] البَلْجاءُ[4] ، وهى امرأةٌ من بنى حَرامِ بن يَربوعِ بن حَنظلةَ بن مالكِ بن زيدِ مَناةَ بن تَمِيمٍ ، من رهط سَجَاحِ ، التى كانت تَنَبَّأَتْ ، وسنذكرُ خبرها فى موضعه إن شاء الله.

وكان مِرْدَاسُ بن حُدَيرٍ أبو بلال ، وهو أحدُ بنى رَبيعةَ بن حَنْظَلَةَ تُعَظِّمُهُ الخوارجُ ، وكان مجتهداً كثيرَ الصواب فى لفظه ، فلَقِيَه غَيْلانُ بن خَرَشَةَ الضَّبِّيُّ ، فقال : يا أبا بلالٍ ! إنِّى سمعتُ الأميرَ البارحةَ عُبَيْدَ الله بن زيادٍ يذكر البلجاءَ ، وأحسبُها ستؤخذُ ، فمضى إليها أبو بلالٍ ، فقال لها : إنَّ اللهَ قد وَسَّعَ على المؤمنين فى التَّقِيَّةِ . فاستَتِرِى ؛ فإنَّ هذا المُسْرِفَ

---

(١) سورة التحريم آية ١٢ وقوله « بكلمات » كتب فى ج « بكلمتِ » فإما أنها على رسم المصحف ، وإما أنها على قراءة الإفراد، وهى قراءة مجاهد والجحدرى ، كما فى القراءات الشاذة لابن خالويه (ص ١٥٩) . وقوله « وكتبه » فى ا « وكتابه » بالإفراد ، وهى قراءة أكثر القراء ، فإن قراءتها « وكتبه » بالجمع قراءة أبى عمرو وحفص ويعقوب ، وقرأ باقى الأربعة عشر بالإفراد . كما فى إتحاف فضلاء البشر (ص٤١٩) .

(٢) سورة الشعراء آية ١٧١ ، وسورة الصافات آية ١٣٥

(٣) منهم يعنى : من المجتهدين من الخوارج .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : قال أبو زيدٍ : الأَبْلَجُ من الرجلِ : الذى ليس بمقرونِ الحاجبَيْنِ ، والمرأةُ بَلْجَاءُ . وقال ابنُ الأعرابىّ : البَلَجُ : ابيضاضُ ما بين الحاجبين وَنقاؤُه . رجلٌ أَبْلَجُ وامرأةٌ بَلْجَاءُ ، والاسمُ البُلْجَةُ » .

على نفسِه الجبارَ العنيدَ[١] قد ذَكركِ ، قالت : إنْ يأخُذْنِى فهو أشقَى[٢] بِى ، فأمّا أنا فما أُحِبُّ أن يُعنَّتَ إنسانٌ بسببى ، فوجَّهَ إليها عبيدُ الله بن زيادٍ فأُتِىَ بها فقَطعَ يديها ورجليها ورَمى بها فى السُّوقِ ، فمرَّ أبو بلالٍ والناسُ مجتمعون ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : البَلْجاءُ ، فعَرّجَ إليها[٣] فنظرَ ، ثمَّ عضّ على لِحْيَتِهِ ، وقال لنفسه : لهذه أطيبُ نفسًا عن بقيةِ الدنيا منكَ يامرداسُ .

ثمَّ إنَّ عُبيد الله تتبَّعَ الخوارجَ فحبسهم ، وحبس مِرْداسًا ، فرأى صاحبُ السِّجن شِدَّةَ اجتهادِه وحلاوة منطِقه . فقال له : إنِّى أرَى لك مذهبًا حسنًا ، وإنِّى لأُحِبُّ أن أُولِيَكَ معروفًا ، أفرأيتَ إنْ تركتُكَ تنصرِفُ ليلاً إلى بيتِكَ ، أتَدَّلِجُ[٤] إلىَّ ؟ قال : نعم . فكان يفعلُ ذلك به ،

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقال رَجلٌ عَنيدٌ : إذا خالف الحقَّ ، وعانَدَ الرجلُ الرجلَ معانَدَةً وعِنادًا : إذا خالفه . والعَنَدُ : مَيْلُكَ عن الشىء ، عَنَدَ عُنُودًا ، وطَريقٌ عانِدٌ : مائِلٌ ، وناقةٌ عَنُودٌ ، والجمعُ عُنُدٌ وعُنَّدٌ : إذا تنكَّبتِ الطريقَ من نَشاطها . فَصَلُوا بين العَنِيدِ والعَنُودِ » .

(٢) « أشقى » كتبت فى الأصول « أشقا » على الرسم القديم . وفى ج و س و د « أشقا به » وفى هـ « أشقاله » .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : تقول : عَرّجْتُ على فلانٍ ، أى : عطفتُ عليه ، والمصدر التَّعْرِيجُ » .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : قال أبو عُمَرَ : الدَّلَجُ : سَيْرُ الليل ، وله موضعانِ ، يقال : ادَّلَجَ القومُ : إذا ساروا من آخر الليل ، وأَدْلَجَ القومُ : إذا قطعوا الليلَ كلَّه سيرًا . وقال أبو يعقوبَ : وأخبرنى ابنُ سَيْفٍ عن ابن رُسْتُمٍ الطبرىّ عن ابن السِّكِّيتِ =

ولَجَّ عُبيدُ الله فى حبس الخوارج وقتلِهِمْ ، فكُلِّمَ فى بعض الخوارجِ فلَجَّ وأَبَى ، وقال : أَقْمَعُ النِّفَاقَ قبل أن ينْجُمَ[(١)] ، لَكلامُ هؤلاءِ أَسْرَعُ إلى القلوبِ من النارِ إلى اليَرَاعِ[(٢)] ، فلما كان ذاتَ يوم قتَلَ رجلٌ من الخوارج رجلاً من الشُّرَط ، فقال ابنُ زيادٍ : ما أَدْرِى ما أصنَعُ بهؤلاء ، كلَّما أمرتُ رجلاً بقتلِ رجلٍ منهم فتَكُوا بقاتِله ؟ ! لَأَقتُلَنَّ مَنْ فى حَبْسِى منهم ، فأخرجَ السجَّانُ مِرْداساً إلى منزله كما كان يفعلُ ، وَأَتَى مرداساً الخبرُ ، فلما كان السَّحَرُ تَهَيَّأَ للرجوع ، فقال له أهلُه : اتَّقِ اللهَ فى نفسك ، فإنك إن رَجَعْتَ قُتِلْتَ ، فقال : إنِّى ما كنتُ لِأَلْقَى الله غادِراً ! فرجَعَ إلى السجّانِ ، فقال : إنى قد علمتُ ما عزَمَ عليه صاحبُك ، فقال : أعلمتَ وَرَجَعْتَ ؟!

ويُرْوَى : أنَّ مرداساً مرَّ بأعرابىٍّ يَهْنَأُ بعيراً[(٣)] له ، فهَرِجَ البعيرُ[(٤)] ،

= قال : يقال : أَدْلَجْتُ : إذا سِرْتَ الليلَ كلَّهُ ، والمصدرُ الإِدْلاَجُ وَالدَّلْجَةُ ، وَادَّلَجْتُ : إذا سِرْتَ من آخرِ الليلِ ، وهى الدُّلْجَةُ وَالِادِّلاَجُ » .

(١) فى ج « اقْمَعِ النِّفَاقَ » ومعنى « ينجم » يطلع ويظهر، من باب « قعد » وفى ج «ينجم» بكسر الجيم ، وهو خطأ .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِىُّ : اليَرَاعُ : القَصَبُ ، الواحدةُ يَرَاعَةٌ » .

(٣) أى : يطليه بالهناء ـ بكسر الهاء وبالمدّ ـ وهو القطران . يقال «هَنَأَ البعيرَ يَهْنَؤُهُ وَيَهْنِئُهُ وَيَهْنُؤُهُ» بفتح النون وبكسرها وبضمها . قال الزجاج : « لم نَجِدْ فيما لامه همزةٌ فَعَلْتُ أَفعُلُ إِلاَّ هَنَأْتُ أَهْنُؤُ ، وَقَرَأْتُ أَقْرُؤُ » . كذا فى اللسان .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِىُّ : هَرِجَ الرجلُ يَهْرَجُ هَرَجًا : إذا أَخَذَهُ البُهْرُ من حَرٍّ أو مَشْىٍ » .

فسقط مرداسٌ مغشيًّا عليه ، فظنَّ الأعرابيُّ أنه قد صُرِعَ ، فقرأَ فى أُذُنِه ، فلمَّا أفاق قال له الأعرابىُّ : قرأتُ فى أُذُنِكَ ، فقال له مِرْداسٌ : ليس بِي ما خِفْتَهُ علىَّ ، ولكنِّى رأيتُ بعيرَكَ هَرِجَ من القَطِرَانِ ، فذكرتُ به قَطِرَانَ جهنمَ ، فأصابنى ما رأيتَ ، فقال : لا جَرَمَ والله لا فارَقْتُكَ أبداً .

وكان مرداسٌ قد شَهِدَ صِفِّينَ مع علىٍّ بن أبى طالبٍ صلوات الله عليه ، وأنكر التَّحكيمَ ، وشهد النَّهْرَ ، ونَجَا فيمن نجا ، فلمَّا خرج من حبس ابنِ زيادٍ ورأى جدَّ ابن زيادٍ فى طلب الشُّراة عزَمَ على الخروج ، فقال لأصحابه : إنه واللهِ ما يَسَعُنا المُقامُ بين هؤلاء الظالمينَ ، تجرى علينا أحكامُهم ، مُجانِبين للعدلِ ، مفارقين للفَصْلِ [1] ، واللهِ إنَّ الصبرَ على هذا لعظيمٌ ، وإنَّ تجريدَ السيفِ وإخافةَ السبيل لَعظيمٌ ، ولكنَّا نَنْتَبِذُ عنهم [2] ، ولا نجرِّدُ سيفاً ، ولا نقاتلُ إلاَّ مَنْ قاتلنا ، فاجتمع إليه أصحابه زُهاءَ ثلاثينَ رجلاً ، منهم حُرَيْثُ بن حَجْلٍ ، وكَهْمَس بن طَلْقٍ الصَّرِيمىُّ ، فأرادوا أن يُوَلُّوا أمرَهم حُرَيْثاً ، فأبَى فوَلَّوْا أمرَهم مِرْداساً ، فلمَّا مضى بأصحابه لَقِيَه عبدُ الله بن رَبَاحٍ [3] الأنصارىُّ ، وكان له

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « قال الخليلُ : الفَصْلُ : القضاءُ بين الحقِّ والباطلِ ، واسمُ ذلك القضاءِ الذى يَفْصِلُ بينهما فَيْصَلُ » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقال : فى أرضِ بنى فلانٍ نَبْذٌ من بنى فلانٍ أى : فِرَقٌ يسيرةٌ » .

(٣) « رباح بفتح الراء وتخفيف الباء الموحدة . وفى س و د و هـ « رياح » بكسر الراء وبالياء التحتية المثناة ، وهو خطأ . وعبد الله بن رباح هذا مدنى تابعىّ ثقة ، سكن البصرة ، ومات فى حدود سنة ٩٠ وله ترجمة فى التهذيب .

صديقاً، فقال له: [يا أخي[1]] أين تريد؟ قال: أريد أن أهرب بديني وأديان أصحابي من أحكام هؤلاء الجورة[2]، فقال له: أعلم بكم أحد؟ قال: لا، قال: فارجع، قال: أوَ تخاف عليَّ مكروهاً؟ قال: نعم، وأن يُؤتى بك، قال: فلا تخف، فإني لا أجرد سيفاً، ولا أُخيف أحداً، ولا أقاتل إلاّ من قاتلني، ثم مضى حتى نزل آسك، وهو ما بين رامهرمز وأرّجان، فمرّ به مال يُحمل لابن زياد، وقد قارب أصحابه الأربعين، فحطّ ذلك المال فأخذ منه عطاءه وأعطيات[3] أصحابه، وردّ الباقي على الرُّسل، وقال: قولوا لصاحبكم: إنما قبضنا أعطياتنا، فقال بعض أصحابه: فعلام ندع الباقي؟ فقال: إنهم يقسمون هذا الفيء كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم.

⁂

ولأبي بلال أشعار في الخروج اخترت منها قوله:

أبعد ابن وهب ذي النزاهة والتقى ... ومن خاض في تلك الحروب المهالكا

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ.

(٢) بحاشية ا مانصه: «ابن شاذان: الجور: ضد القصد. جار عن الطريق: إذا مال، وجار الحاكم: مال عن الحق. ويقولون: طريق جور: كما يقولون جائر. ورجل جور، أي: جائر. وكذلك: رجل زور، في معنى زائر، ونوم، في معنى نائم، ودوم، في معنى دائم».

(٣) في ج س و د و هـ «وأعطية».

أحـ ... ... و أرجّي سلامةً ... وقد قتلُوا زيدَ بن حِصْنٍ ومالِكا

فَرَبِّ سَلِّمْ نِيَّتي وَبَصِيرتى ... وَهَبْ لى التُّقَى حتى أُلاَقِى أولئِكا

قوله : « وقد قتلُوا » ولم يذكر أحدًا ، فإنما فعل ذلك لعِلْمِ الناسِ أنه يَعْنِي مُخالِفيه ، وإنما يحتاجُ الضميرُ إلى ذِكْرٍ قبله لِيُعْرَفَ ، فلو قال رجلٌ : ضربتُه ، لم يَجُزْ ، لأنه لم يذكر أحدًا قبل ذكره الهاءَ ، ولو رأيتَ قومًا يلتمسون الهلالَ فقال قومٌ[(١)] : هذا هو ، لم يَحْتَجْ إلى تقدِمَةِ الذكرِ ؛ لأن المطلوبَ معلومٌ ، وعلى هذا قال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ فى افتتاحِ قصيدتِه :

هل ما عَلِمْتَ وما استُودِعْتَ مكتومُ ... أم حَبْلُها إذْ نأتْكَ اليومَ مَصرومُ

لأنه قد عُلِمَ أنه يريدُ حبيبةً له .

وقوله : « حَتَّى أُلاَقِى » ولم يُحَرِّكِ الياءَ فقد مضى شرحُه مستقصًى[(٢)] .

☆☆☆

ويُروى : أن رجلا من أصحاب ابن زيادٍ قال : خرجنا فى جيشٍ نُريدُ خُراسانَ ، فمررنا بِآسَكَ ، فإذا نحن بهم ستةً وثلاثين رجلاً ، فصاح بنا أبو بلال : أقاصدون لقتالنا أنتم ؟ وكنتُ أنا وأخِي قد دخلنا زَرْبًا ، فوقف أخِي ببابه فقال : السلام عليكم ، فقال مِرْدَاسٌ : وعليكم السلام ، فقال لأخى : أجئتم لقتالنا ؟ فقال له : لا ، إنما نريد خُراسانَ ، قال : فأَبْلِغُوا مَن لَقِيَكُمْ

(١) فى ج و س و د و هـ « فقال قائل » .

(٢) فى الجزء الثانى (ص ٧٢٨) .

أَنَّا لم نَخْرُجْ لِنُفْسِدَ فى الأرض ، ولا لِنُرَوِّعَ أحداً[1] ، ونَبْتَغِى وأدْيَانَ مِنَ الظُّلم ، ولسنا نقاتلُ إلاّ مَن يُقاتِلنا ، ولا نأخُذُ من الفَىْءِ إلّا أُعْطِيَاتِنا ، قال : أَنُدِبَ إلينا أحدٌ ؟ قلنا : نعم ، أَسْلَمُ بن زُرْعَةَ الكِلابِىُّ ؛ قال : فمتى تُرَوْنَهُ يَصِلُ إلينا ؟ قلنا : يومَ كذا وكذا ، فقال أبو بلالٍ : حَسْبنا اللهُ ونعم الوكيلُ .

وَجَهَّزَ عُبَيْدُ الله أَسْلَمَ بنَ زُرْعَةَ فى أسرع وقتٍ ، ووجَّهه إليهم فى أَلفين ، وقد تتامَّ أصحابُ مِرْدَاسٍ أربعين رجلاً ، فلما صار إليهم أسلم صاح به أبو بلالٍ : اتّقِ اللهَ يا أسلم ؛ فإنّا لانريدُ قتالاً ، ولا نَحْتَجِنُ فَيْئاً ، فما الذى تريدُ ؟ قال : أُريد أن أَرُدَّكُمْ إلى ابن زيادٍ ، قال مرداسٌ : إذًا يَقْتُلَنا ، قال : وَإِنْ قَتَلَـكُمْ ! قال : تَشْرَكُهُ فى دمائنا ؟ قال : إِنِّى أَدِينُ [الله[2]] بأنه مُحِقٌّ وأنكم مبطلون ، فصاح به حُرَيْثُ بن حَجْلٍ : أهو مُحِقٌّ وهو يُطيعُ الفَجَرَةَ ، وهو أَحدُهم ، ويَقتُلُ بِالظِّنَّةِ ، وَيخصُّ بالفىءِ ، وَيَجُورُ فى الحكمِ ؟! أما علمتَ أنه قَتَلَ بابنِ سُعادَ أربعةً بِرَآءَ ، وأنا أَحدُ قَتَلَتِهِ ، ولقد وَضَعْتُ فى بَطْنِهِ دراهمَ كانت معه ؟! ثم حملوا عليه حَمْلَةَ رجلٍ واحدٍ ، فانهزم هو وأصحابُه من غيرِ قتالٍ ! وكان مَعْبَدٌ ـ أحدُ الخوارجِ ـ

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقالُ : رُعْتُ الرجُل أرُوعُهُ رَوْعًا ، وَرَوَّعْتُهُ ترويعاً : إذا فزّعْتَهُ » .

(٢) الزيادة من د و س و هـ .

قد كاد [illegible] فلما وَرَدَ على ابن زيادٍ غضب عليه غضباً شديداً ، وقال : وَ[illegible] مثال الله [illegible] فى ألفين فتنهزمُ لحملةِ أربعين ؟! وكان أسْلَمُ يقولُ : لأَنْ يذمّنِى ابنُ ز[illegible] وعمرَ [illegible] أُحبُّ إلىَّ من أن يَمْدَحَنِى مَيِّتاً !! وكان إذا خرج إلى السوق أو[illegible] فَ[illegible] صبيانٍ صاحوا به : أبو بلالٍ وراءكَ !! وربَّما صاحوا به : يا[illegible](٤) نعاه !! حتى شَكَا ذلك إلى ابن زيادٍ ، فأمر ابنُ زيادٍ الشُّرَطَ أن من القوا الناسَ عنه ، ففى ذلك يقولُ عيسى بنُ فاتِكٍ ، من بنى تَيْمِ اللاتِ ثعلبة(١) ، فى كلمةٍ له :

فلمَّا أصبحوا صَلَّوْا وقاموا إلى الجُرْدِ العِتَاقِ مُسَوَّمِينا(٢)
فلما استجمعوا حَمَلُوا عليهم فظَلَّ ذَوُو الجعائلِ يُقْتَلُونا
بَقِيَّةَ يومهم حتى أتاهم سوادُ اللَّيْلِ فيه يُرَاوِغُونا
يقولُ بَصِيرُهُم لَمَّا أتاهُمْ بأَنَّ القَوْمَ وَلَّوْا هاربينا
أألْفَا مؤمنٍ فيما زَعَمْتُمْ وَيَهْزِمُهُمْ بِآسَكَ أربعونا
كذبتم ليس ذاكَ كما زعمتم ولكنَّ الخوارجَ مُؤْمِنُونا

---

(١) هــذا الشاعر سماه ياقوت فى معجم البلدان فى مادة « آسك » « عيسى بن فاتك الخطى » وقال المرزبانى فى معجم الشعراء (ص ٢٥٨) « عيسى بن عاتك الخطى ، عاتك أمه ، وهو عيسى بن حدير ، أحد بنى وديعة بن مالك بن تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، أحد شعراء الخورج » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقال : سَامَ الرجلُ ماشِيَتَهُ يَسُومُهَا سَوْمًا وَسَوَّمَهَا : إذا رَعَاهَا ، فالماشيةُ سائمةٌ ، والرجُلُ مُسِيمٌ ، ولم يقولوا ، سائمٌ : خَرج هذا عن القياسِ » .

هُمُ الفِئَةُ القليلةُ غَيْرَ شَكٍّ على الفِئَةِ الكثيرةِ [illegible] وأنا من

ثم نَدَبَ لهم عبيدُ الله بن زيادٍ الناسَ ، فاختارَ عَبّادَ بن [illegible]

بابنِ أخضرَ ، هو عَبّادُ بنُ عَلْقَمَةَ المازنىُّ ، وكان أَخْطَأَ [illegible] ؛ قال : فمَتَى

عليه ، فوجَّهه فى أربعة آلافٍ ، فَنَهَدَ لهم ، ويزعم أهلُ العلم أَلاّ [illegible] اللهُ

كانوا تَنَحَّوْا عن دَرَا بْجِرْدَ[1] من أرضِ فارسَ ، فصار إليهم .

التقاؤهُمْ فى يوم جمعةٍ ، فناداه أبو بلالٍ : اخرجْ إلىَّ يا عَبّادُ ، فإنِّى أريد أن

أحاوِرَكَ ! فَخَرَجَ إليه ، فقال : ما الذى تَبْغِى ؟ قال : أن آخُذَ بأقفائكم

فأَرُدَّكُمْ إلى الأميرِ عُبيدِ الله بن زيادٍ ! قال : أوغيرَ ذلك ؟ قال : وما هو ؟

قال : أن ترْجعَ ، فإنّا لا نُخيفُ سَبيلاً ، ولا نَذْعَرُ مسلمًا ، ولا نُحاربُ إلاّ

مَنْ حارَبَنا ، ولا نَجْبِى إلاّ ما حَمَيْنا ، فقال له عَبّادٌ : الأمرُ ما قلتُ لك ،

فقال له حُرَيْثُ بن حَجَلٍ : أتُحاولُ أن تَرُدَّ فِئَةً من المسلمين إلى جَبّارٍ

عَنِيدٍ ؟ قال لهم : أنتم أَوْلَى بالضّلالِ منه ، وما مِن ذاك بُدٌّ .

وَقَدِمَ القَعْقاعُ بنُ عَطِيَّةَ الباهلىُّ من خُراسانَ يريدُ الحَجَّ ، فلما رأى الجَمْعَيْنِ

قال : ماهذا ؟ قالوا : الشُّراةُ ، فحَمَلَ عليهم ، ونَشِبَتِ الحربُ ، فأُخِذَ القعقاعُ أسيرًا ،

فأُتِىَ به أبو بلالٍ ، فقال : ما أنتَ ؟ قال : لستُ من أعدائِكَ ، وإنما قدمتُ

للحجِّ فجَهِلْتُ وغُرِرْتُ ! فأَطْلَقَهُ ، فرَجَعَ إلى عَبّادٍ فأصلح من شأنه ، ثم

حَمَلَ عليهم ثانيةً ، وهو يقولُ :

---

(١) فى ج و ه « درا بجَرْد » . وفى س و د « دراب جَرْد » . وانظر المعرب للجواليقى بتحقيقنا (ص ١٥٣ ــ ١٥٤ طبعة دار الكتب) .

وليس عليَّ بَعْثٌ نَشَاطاً ليس هذا بالنَّشَاطِ

سَأَلَ اللهَ لا الحَرُورِيِّينَ مُهْرِى لأحْمِلَهُمْ على وَضَحِ الصِّرَاطِ

بنُ حَجْلٍ السَّدُوسِيُّ وَكَهْمَسُ بن طَلْقٍ الصَّرِيمِيُّ، فأسَراهُ

يا تيابه أبا بلالٍ، فلم يزل القومُ يَجْتَـلِدُونَ حتى جاء وقتُ الصلاةِ،

م الجمعةِ، فناداهُمْ أبو بلالٍ: ياقومُ! هذا وقتُ الصلاةِ، فوادِعُونا

نُصَلِّيَ وَتُصَلُّوا، قالوا: لك ذاك، فرمى القومُ أجمعون أسلحتَهم وعَمَدُوا إلى الصلاةِ، فأسرع عبَّادٌ ومَن معه والحرورِيَّةُ مُبْطِئُونَ، فهم من بينِ راكعٍ وقائمٍ وساجدٍ في الصلاةِ وقاعدٍ، حتى مال عليهم عَبَّادٌ ومن معه فقتلوهُمْ جميعًا، وَأَتَى برأسِ أبي بلالٍ[1].

وَتَرْوِى الشُّرَاةُ: أن مِرْداساً أبا بلالٍ لَمَّا عقَدَ على أصحابه وعَزَمَ على الخروج رفع يديه وقال: اللَّهم إن كان ما نحن فيه حَقًّا فأَرِنا آية، [قال[2]]: فرَجَفَ البيتُ. وقال آخرون: فارتفع السقفُ.

فَرَوَى أهلُ العلم: أن رجلاً من الخوارجِ ذَكَر ذلك لأبى العالية الرِّيَاحيِّ يُعَجِّبُهُ من الآية، وَيُرَغِّبه في مذهب القوم، فقال أبو العالية: كادَ الخَسفُ يَنْزِلُ بهم ثم أدركتهم نَظْرَةُ[3] اللهِ.

---

(١) وكانت هذه الوقعة غدراً فاجراً.

(٢) الزيادة من ج و س و هـ.

(٣) بحاشية ا مانصه: «قال الخليل: النَّظْرَةُ: عَيْنُ الجِنِّ تُصِيبُ الإنسانَ، =

فلما فرغ من أولئك الجماعةِ أقبلَ بهم فصُلِبت رؤوسهم ... وداباً من بن شَبَثٍ ، وكان ناسكاً ، وفيهم حبيبةُ النَّصْرِىُّ من قَيْس و... اعطيا ...

فيُرْوَى عن عِمْرانَ بن حِطَّانَ : أنه قال : قال لى ... بلالٌ بى : قال : فتى على الخروج فـكَرْتُ فى بناتى ، فقلتُ ذاتَ ليلةٍ: لأُمْسِكَنَّ ... إلاَّ مرْ حسبنا اللهُ حتى أَنْظُرَ ، فلما كان فى جوفِ الليل استسقتْ بُنَيَّةٌ لى ، فقالت اسقِنى ، فلم أجبها ، فأعادتْ ، فقامتْ أُخَيَّةٌ لهـا أَسَنُّ منها فَسَقَتْهَا ، فعـ... أَنَّ اللهَ عزَّ وَجَلَّ غيرُ مُضَيِّعِهِنَّ ، فَأَتْمَمْتُ عزمى .

وكان فى القوم كَهْمَسٌ ، وكان من أبرِّ الناسِ بأُمِّهِ ، فقال لهـا : يا أُمَّةِ(٢) ! لولا مكانُكِ لخرجتُ ، فقالت : يا بُنَىَّ ! قد وهبتُكَ لله ، ففى ذلك يقولُ عيسى بنُ فاتِكٍ الحَبَطِىُّ(٣) :

أَلاَ فى اللهِ لافى النَّاسِ شالتْ بداوُدٍ وَإِخْوَتِهِ الجُذُوعُ
مَضَوْا قَتْلاً وتمْـــزيقاً وصَلْباً تَحُومُ عليهمُ طَـــيرٌ وُقُوعُ
إذا ما الليلُ أظلمَ كابَدُوهُ فيُسْفِرُ عنهمُ وهُمُ رُكُوعُ
أطارَ الخوفُ نومَهمُ فقاموا وأهلُ الأمن فى الدنيا هُجُوعُ

= يقال : نُظِرَ فلانٌ ، ويقال : بفلانٍ نَظْرَةٌ ، أى : سوءُ هيئةٍ » .

أقول : ضبطت « نظرة » فى الأصول بسكون الظاء وبكسرها ، والمعنى الذى نقل بحاشية ا عن الخليل لايصلح فى هذا الموضع ، إنما النظرة هنا بكسر الظاء وهى التأخير فى الأمر والإمهال . ويجوز تسكين الظاء تخفيفا .

(١) فى ج و س و د و هـ « عن نفعهن » .

(٢) فى ج « يَأُمَّهْ » .

(٣) هـذا موافق لما فى بعض نسخ معجم الشعراء للمرزبانى . وفى ج و د و هـ : « الخَطِّىُّ » وهو موافق لما نقلنا عنه فى ترجمة عيسى بن فاتك ، فيما مضى (ص ٩٩٥)

قد كاد [illegible] [illegible]ظان[1] :

و[illegible] [illegible] الله لِمِرْداسٍ وَمَصْرَعِهِ ... يا رَبَّ مِرداسٍ اجْعَلْنِي كَمِرداسِ

[illegible]بدمنى ابن [illegible] وعمر [illegible] [illegible]ـكى لِمَرْزِئتى ... فى منزلٍ مُوحِشٍ من بعدِ إيناسِ

السوق أو [illegible] فصـ[illegible] مَن قد كنتُ أعرفه ... ما الناسُ بعدك يامِرْداسُ بالناسِ[2]

يا [illegible]كلنا[4] [illegible]ـت بكأسٍ دارَ أوَّلها ... على القُرونِ فذاقوا جُرْعةَ الكاسِ

من [illegible]كلٌ مَنْ لم يَذُقها شاربٌ عَجِلاً ... منها بأنفاسٍ وِرْدٍ بَعْدَ أنفاسِ

⁂

[قال أبو العباسِ[3]] : ثم إنَّ عبَّاد بن أَخْضرَ المازِنِيَّ لَبِثَ دهراً فى المصرِ ، محمودًا موصوفاً بما كان منه ، فلم يَزَلْ على ذلك حتى ائْتَمَرَ به جماعةٌ من الخوارج أن يفتِكُوا به ، فذَمَرَ بعضُهم بعضاً على ذلك[4] ، فجلسوا له فى يومِ جمعةٍ ، وقد أقبل على بغلةٍ له ، وابنُهُ رَدِيفُه ، فقام إليه رجلٌ منهم ، فقال : أسألُك عن مسئلةٍ ؟ قال : قل ، قال : أرأيتَ رجلاً قتَلَ رجلاً بغيرِ حقٍّ ، وللقاتلِ جاهٌ وقدْرٌ وناحيةٌ من السلطان ، ألِوَلِيِّ ذلك المقتولِ أن يَفْتِكَ به إنْ قدرَ عليه ؟ قال : بل يرْفعُه إلى السلطانِ ، قال : إن السلطانَ لايُعْدِى عليه لمكانه منه وعظيم جاهِهِ عندَه ، قال : أخافُ عليه إنْ فتَكَ به

(١) مضت الأبيات فى (ص ٨٩٦) .
(٢) فى ع و د « ما قد كنت » .
(٣) الزيادة من س و د .
(٤) « ذمره » أى : لامه وحضه .

فَتَكَ به السلطانُ ، قال : دَعْ ما تخافُه من ناحيةِ السلطان ، [illegible] وأدبًا من
رَبِّنه وبينَ الله ؟ قال : لا ، قال : فَحَكَّمَ هو وأصحابُه ، وخَبَطوا [illegible]
ورَمَى عبَّادٌ ابنَهُ فنَجا ، وتنادَى الناسُ : قُتِلَ عبادٌ ، [illegible] بِلالٌ ؛ قال : فمتى
أفواهَ الطُّرُق ، وكان مَقْتَلُ عبَّادٍ فى سكةِ بنى مازنٍ عند مسـ[illegible] لا [illegible] حسبنا الله
فجاء مَعْبَدُ بن أخْضَرَ أخو عبَّادٍ ، وهو معبدُ بن عَلْقَمة ، وأخضر [illegible]
فى جماعةٍ من بنى مازنٍ ، فصاحُوا بالناسِ : دَعُونا وثأرَنا ، فأحْجَمَ الـ[illegible]
وتقدَّم المازنيُّون ، فحاربوا الخوارجَ حتى قتلوهم جميعاً ، لم يُفْلِتْ منهم أ[illegible]
إلاَّ عَبِيدةُ بن هِلالٍ ، فإنه خرَقَ خُصًّا ونفَذَ منه ، ففى ذلك يقول الفرزدق :

لقد أدْرَكَ الأَوْتارَ غيرَ ذَميمةٍ … إذا ذُمَّ طُلاَّبُ التِّراتِ الأَخاضِرُ

هُمُ جَرَّدُوا الأَسْيافَ يومَ ابنِ أخْضَرٍ … فنالوا التى ما فَوْقَها نالَ ثائرُ

أَقادُوا به أُسْدًا لها فى اقْتِحامِها … إذا بَرَزَتْ نحو الحروبِ بَصائرُ

ثم ذَكَر بنى كُلَيْبٍ ؛ لأنه قُتِلَ بحضرةِ مسجدِهم ولم ينصروه ، فقال فى
كلمته هذه :

كفِعلِ كُلَيْبٍ إذْ أخَلَّتْ بجارِها … ونَصْرُ اللئيمِ مُعْتِمٌ وهو حاضِرُ[2]

---

(١) فى ج و د « فأجحم » بتقديم الجيم على الحاء . وفى حاشية ا ما نصه : « قال أبو زيدٍ : أَحْجَمْتُ عن الأمرِ وأَجْحَمْتُ ، أى : تأخَّرْتُ » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِيُّ : أَعْتَمَ الرجلُ فى الشيء : إذا أَبْطأَ فيه ، وكلُّ مَن أَبْطَأَ عن شيء فقد أَعْتَمَ وعَتَمَ ، وجِئْتَنَا مُعْتِمًا وعاتِمًا ، والعَتَمَةُ رُجُوعُ الإبلِ من المَرْعَى بعد ما تُمْسِى ، وبه سُمِّيَتْ صلاةُ العَتَمَةِ » .

قد كاد [illegible] حين تُذْكَرُ أوَّلٌ ... ومالِكُلَيْبٍ حين تُذْكَرُ آخِرُ

وقال [illegible] شبال [illegible] الله [illegible] أخْضَرَ:

[illegible] يدمِّنى ابنُ [illegible] [illegible] أخْضَرِيِّنَ إنه ... أبَى النَّاسُ إلاَّ أن يقولوا ابنُ أخْضَرَا

[illegible] وعمرَ [illegible] السوق [illegible] فصَّ [illegible] عبَّادٍ وعبيدُ اللهِ بنِ زيادٍ بالكوفة ، وخليفتُهُ على البصرة [illegible](٤) [illegible] أبى بَكْرَةَ ، فكتب إليه يأمره أن لاَّ يَدَعَ أحداً يُعْرَفُ بهذا من [illegible] إلاَّ حَبَسه وجَدَّ فى طلبه ، ممن تَغَيَّبَ منهم ، فجعل عُبيد الله بن أبى بَكْرَةَ يَتَتَبَّعُهُمْ فيأخذهم ، فإذا شُفِعَ إليه فى أحدٍ منهم كَفَّلَه إلى أن يَقْدَمَ ابنُ زيادٍ ، حتى أُتِيَ بعُرْوَةَ بنِ أُدَيَّةَ فأطلقه ، وقال : أنا كَفِيلُكَ ، فلما قَدِمَ عبيدُ اللهِ بن زيادٍ أخذ مَنْ فى السجن(١) منهم فقتلَهم جميعاً ، وطلب الكُفلاءَ بمن كَفَلُوا به منهم ، فكلُّ مَنْ جاءه بصاحِبه أطلقَه وقَتَل الخارجيَّ ، ومن لم يأت بمن كَفَلَ به منهم قَتَلَهُ ، ثم قال لعُبَيْدِ الله بن أبى بَكْرَةَ : هاتِ عُرْوَةَ بنَ أُدَيَّةَ ، قال : لا أَقْدِرُ عليه ، قال : إذًا واللهِ أَقْتُلَكَ فإنك كفيلُه ! فلم يَزَلْ يَطْلُبُهُ حتى دُلَّ عليه فى سَرَبِ العَلاءِ بن سُوَيَّةَ(٢) المِنْقَرِيِّ ، فكتب بذلك إلى عُبيد الله بن زيادٍ ، فقرأ عليه الكاتبُ : إنا أَصَبْنَاهُ فى شَرَبٍ ، فتَهَانَفَ به عُبيدُ الله بن زيادٍ(٣) ، وكان

(١) فى ج و س و د و هـ « فى الحبس » .

(٢) « سوية » بضم السين وفتح الواو . وفى ج و د و هـ « سَوِيَّة » بفتح السين وكسر الواو ، وهو الذى ضبطه به المرصفى فى شرحه .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « قال الخليلُ : الهِنافُ : مُهَانَفَةُ الجوارى بالضَّحِك ، وهو فَوْقَ التَّبَسُّمِ ، وكذلك التَّهَانُفُ ، قال : وهذا نعتٌ فى ضَحِكِ النساء ، =

كثيرَ المحاورةِ ، عاشقاً للكلام الجيّدِ ، مستحسناً للصوابِ[1] يبحثُ عن عُذرِهِ ، فإذا سمع الكلمةَ الجيّدةَ عرّجَ عليها .

ويُرْوَى : أنه قال فى عقِبِ مقتل الحسين بن عليٍّ ... بنتِ عليٍّ رحمهما الله ، وكانت أسَنَّ مَنْ حُمِلَ إليه منهم ... فأفصحتْ وأبلغتْ ، وأخذتْ من الحجة حاجتَها ، فقال لها : بلغتِ من الحجة حاجتَكِ فقد كان أبوكِ خطيباً شاعراً ، فقالت : ما ... والشعرَ[2] ؟! وكان مع هذا أَلْكَنَ يَرْتَضِخُ لغةً فارسيةً[3] ، وقال لرجلٍ مرّةً . واتّهمه برأيِ الخوارج : أَحَرُورِيٌّ مُنْذُ اليومِ ؟!

رجع الحديثُ :

فقال للكاتب : صحّفْتَ و... ولؤمْتَ ، إنما هو « فى سَرَبِ العلاءِ بن سُوَيَّةَ[4] » وَلَوَدِدْتُ أنه كان ممن يشرب النبيذ ، فلمّا أُقِيمَ عُرْوَةُ بن

= لا يوصف به الرجالُ قال: والتَّراضُخُ: تَرَامِي القومِ بالنُّشّاب، بينهم ، وتقول: راضَخَ فلانٌ شيئاً إذا أعطَى وهو كَرِيهٌ ، وقد راضَخْنا منه شيئاً ، أى : أصَبْنَاه. ابنُ شاذانَ : تقولُ : سمعتُ رضْخًا من خَبَرٍ : وهو اليَسِيرُ منه ، وكذلك هو من العطيَّةِ القليلُ منها ، قال : ويقالُ : هو رَضْخٌ ، أى : قليلٌ من الخَبَرِ والعطيةِ » . وتفسير « الرضخ » مقدم عن موضعه ، وسيأتى بعد أسطر قوله « يرتضخ لغة فارسية » .

(١) فى ج و س و د و ﻫ « لصوابه » .

(٢) فى ج و س « وللشعر » .

(٣) فى س و د « يَرْتَضِخُ لُكْنَةً فارسيةً » .

(٤) فى ج و د و ﻫ « سَوِيَّةَ » .

قد كاد ... نوره ، وقد اختلفَ الناسُ فى خبره[١] ، وأصحُّه عندنا : أنه وفا[٢] ... سأل الله ... [ ] جهزْتَ أخاكَ علىَّ ، فقال : والله لقد كنتُ به ضنيناً ، ... ابن ... وعمر ... قد أردتُّ له ما أُرِيدُهُ[٣] لنفسى ، فعزَم عزْماً فمضَى عليه ، السوق ... فما ... إلّا المُقامَ وتركَ الخروج ، قال له : أفأنتَ على رأيه ؟ قال : ... [٤] نعبدُ ربًّا واحداً ! قال : أَمَا لأُمَثِّلَنَّ بك[٥] ! قال : اخترْ لنفسك من القصاصِ ما شئتَ ؟ فأمر به فقَطعوا يديه ورجليه ، ثم قال [له[٦]] : كيف ترَى ؟ قال : أفسدتَ علىَّ دنيايَ وأفسدتُ عليكَ آخِرتَك ، ثم أمر به فقُتِل ثم صُلِبَ على باب داره ، ثم دعَا مولاه فسأله عنه ، فأجابه جواباً [قد[٦]] مضى ذِكْرُه[٧] .

---

(١) فى ج و س و د و هـ « وقد اختُلِفَ فى خبره » .

(٢) الزيادة من س و د .

(٣) فى ج و س و د و هـ «أريد».

(٤) فى ج و س و د و هـ « كنّا » .

(٥) بحاشية ا ما نصه : « قال الخليلُ : المُثْلَةُ والمَثُلَةُ لغتانِ : أن يُمثَّلَ بِذِى رُوح فيُعْبَثَ به فى عذابه ، ويقال أَنَّ حَلْقَ رأس المرأةِ مُثْلَةٌ . وكلُّ شيءٍ أنزلت به ما يُشَوِّهُهُ مُثْلَةٌ . قال الأصمعىُّ : يقال :مَثَلَ به يَمْثُلُ مُثُولاً ، من المُثْلَةِ : إذا شانَهُ ، والجميعُ المُثُلاتُ . ويقال أيضاً مَثَّلْتُ بالرجلِ : إذا نَكَّلْتَ به ، وكذلك القتيلُ إذا جَدَعْتَهُ . والمَثُلاتُ واحــدُها مَثُلَةٌ ومُثْلَةٌ ، وهو التَّنْـكيلُ » .

(٦) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٧) فى (ص ٩٠٩ ـ ٩١٠) .

قوله « فتهانفنَ » حقيقتُه : تضاحكنَ به ضَحِك هزء [illegible] وأد[illegible]
رَبيعةَ المخزومىُّ :

ولقــد قالتْ لجاراتٍ لها — وتعرَّتْ ذاتَ [illegible] (١)
أَكمَا ينعتُــنِى تُبْصِرْنَنِى — عَمْرَكُنَّ اللهَ أم لا [illegible]
فتهانفْنَ وقــد قُلْنَ لهـا : — حَسَنٌ فى كلِّ عينٍ مَنْ تَوَدّْ
حَسَدٌ حُمِّلْنَهُ مِن أَجلها — وقديمًا كان فى الناسِ الحَسَدْ

⁂

وكان عُبيدُ الله لا يُلَبِّثُ الخوارجَ ، يحبِسهم تارةً ويَقْتُلهم تارةً ، وأكثرُ ذلك يَقْتُلُهم ، ولا يتغافلُ عن أحدٍ منهم . وسببُ ذلك أنه كان أطلقَهم من حبس زيادٍ لـمَّا وُلِّى (٢) بعدَه ، فخرجوا عليه .

فأما زيادٌ فكان يقتل المُعْلِنَ ويَستَصْلِحُ المُسِرَّ ، ولا يُجَرِّدُ السيفَ حتى تزولَ التُّهَمَةُ ، ووَجَّهَ يوما بجُبَيْنَةَ بنَ كُبَيْشٍ الأَعْرَجِىَّ إلى رجلٍ من بنى سعدٍ يَرَى رأىَ الخوارجِ ، فجاءه بُجَيْنَةُ فأخذَه ، فقال : إِنى أُريد أن أُحْدِثَ وضوءً للصلاة ، فدَعْنى أَدخلْ إلى منزلى (٣) ، قال : ومَنْ لى بخروجك ؟ قال : اللهُ عز وجل ، فتركه ، فدخل فأحدثَ وُضوءً ، ثم خرج ، فأُتى به بُجَيْنَةُ زِياداً ، فلما مَثَلَ بين يديه ذكر اللهَ زيادٌ ، ثم صلَّى على نبيه ، ثم ذكرَ أبا بكر

(١) فى بعض النسخ « يوم حرٍّ تبترد » .

(٢) فى ج و د « وَلِىَ » .

(٣) فى ج و س و د و هـ « فقال : دَعْنِى أَدْخُلْ منزلى » .

عمرَ [illegible] ، ثم قال : قعدتَ عنِّى فأنكرتُ ذلك ، فذكرَ الرجلُ فحمدَ اللهَ [وأثْنَى عليه](١) ، ثم ذكَرَ النبيَّ عليه السلام ، ثم ذكَرَ أبا بكرٍ وعمرَ بخيرٍ ، ولم يذكر عثمانَ ، ثم أقبلَ على زيادٍ فقال : إنك قد قلتَ قولاً فَصدِّقْهُ بفعلك(٢) ، وكان من قولك : ومَنْ قعَدَ عنَّا لم نَهِجْهُ ، فقعدتُ ، فأمر له بصلةٍ وكِسْوةٍ وحُمْلانٍ ، فخرج الرجلُ من عند زيادٍ وتلقَّاه الناسُ يسألونه ، فقال : ما كلُّكم أستطيعُ أن أُخبرَه ، ولكنِّى دخلتُ على رجلٍ لا يملك ضرًّا ولا نفعاً لنفسه ، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشُوراً ، فرزَقَ اللهُ منه ما ترَوْنَ .

وكان زيادٌ يبعثُ إلى الجماعة منهم فيقول : ما أَحسِبُ الذى يمنعكم من إتيانى إلاَّ الرُّجْلةَ(٣) ، فيقولون : أجَلْ ، فيحملُهم ، ويقول : اغْشَوْنى الآنَ واسْمُرُوا عندى ، فبلغَ ذلك عمرَ بن عبد العزيز ، فقال : قاتَلَ اللهُ زِياداً ، جمعَ لهم كما تجْمَعُ الذَّرَّةُ ، وحاطَهم كما تَحُوطُ(٤) الأُمُّ البرَّة ، وأصلحَ العِراقَ ، بأهل العراقِ ، وترَكَ أهلَ الشأمِ فى شأمِهم(٥) ، وجَبَى العراقَ مائةَ ألفِ ألفٍ وثمانيةَ عشرَ ألفَ ألفٍ .

---

(١) الزيادة من ج و س .

(٢) فى ج و س و د و هـ « فَصَدِّقْهُ فِعْلُكَ » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « المُهَلَّبِىُّ : يقالُ : شَكَا فلانٌ الرُّجْلَةَ ، أى المَشْىَ . وقالوا : راجلٌ بَيِّنُ الرُّجْلَةِ » .

(٤) فى ا « كما تحوطهم » .

(٥) فى د و هـ « بشامهم » .

قال أبو العباس. وبلغَ زياداً عن رجل يُكْنَى أبا الخير ... والنَّجْدةِ، أنه يَرَى رأى الخوارِج، فدعاه فولاه جُنْدَىْ سابور أو ... ورَزَقه أربعةَ آلافِ درهمٍ فى كل شهرٍ، وجعل عُمالَتَهُ فى كل سنةٍ مائة ألفٍ، فكان أبو الخير يقول: ما رأيتُ شيأً خيراً من لُزوم الطاعةِ والتقلُّب بين أظهُرِ الجماعة!! فلم يزل والياً حتى أنكر منه زيادٌ شيأً، فتَنَمَّرَ لزيادٍ فحبسه[1]، فلم يَخرج من حبسه حتى مات.

⁂

وقال الرُّهَيْنُ، وكان رجلا من مُرَادٍ، وكان لا يَرَى القعودَ عن الحرب وكان فى الدَّهاء والمعرفةِ والشعرِ والفقه - : بقولِ الخوارج، بمنزلةِ عِمْرانَ بن حِطَّانَ، وكان عمرانُ بن حطانَ فى وقته شاعرَ قَعَدِ الصُّفْرِيَّةِ ورئيسَهم ومفتيَهُمْ.

وللرُّهَيْنِ المُرادىِّ ولعمرانَ بن حطانَ مسائلُ كثيرةٌ من أبوابِ العلم فى القرآن و[فى[2]] الآثارِ، وفى السِّيَرِ والسُّنَنِ، وفى الغَرِيب و[فى[2]] الشعرِ، نذكر طَرِيفَها إن شاء الله. قال المرادىُّ:

يا نَفْسِ قد طال فى الدنيا مُرَاوَغَتى   لا تأْمَنَنَّ لِصَرْفِ الدَّهْرِ تنْغيصاً[3]

---

(١) بحاشية ا مانصه: «ابنُ شاذانَ: قال أبو عمرَ: يقال: تَنَمَّرَ الرجلُ تَنَمُّراً: إذا تَهَدَّدَكَ».

(٢) الزيادة من ج و س و هـ.

(٣) فى ج و هـ «تنقيصا».

إنِّى [illegible] يَفْنَى لباقيــةٍ   إن لمَ يَعُقْنِى رجاءُ العيشِ تَرْبيصَا

فسائلَ اللهَ بَيْعَ النفسِ مُحْتَسِباً   حتى أُلاقِىَ فى الفِرْدَوْسِ حُرْقوصَا

[قال الأَخْفَشُ : حرقوصٌ : ذُو الثُّدَيَّةِ][1] .

وابنَ المَنِيحِ ومِرْداساً وإخْوَتَهُ   إِذْ فارقوا زَهْرَةَ الدنيا مَخاميصَا[2]

قال أبو العباس . وهذه كلمة له ، وله أشعارٌ كثيرةٌ فى مذاهبهم .

وكان زيادٌ وَلَّى شَيْبانَ بن عبدالله الأشعرىَّ صاحبَ مَقْــبُرَةِ بنى شيبانَ باب عثمانَ[3] وما يليه ، فَجَدَّ فى طلب الخوارج وأخافَهم ، وكانوا [قدْ[4]] كَثُرُوا ، فلم يَزَلْ كذلك حتى أتاه ليلةً وهو متكئٌ بباب دارِه رجلانِ من الخوارج ، فضرباه بأسيافهما فقتلاه ، وخَرج بَنُونَ له للإغاثةِ فقُتِلُوا ، ثم قَتَلَهما الناسُ[5] فأُتِىَ زيادٌ بعدَ ذلك برجلٍ من الخوارج ، فقال : اقتلوه مُتَّــكِئاً كما قُتِلَ شيبانُ متكئاً ، فصاح الخارجىُّ : يا عَدْلاهُ ! ! يَهْزَأُ به !

فأمّا قولُ جريرٍ :

ومِنّا فَــتَى الفِتْيَانِ والبأسِ مَعْقِلٌ   ومنّا الذى لاَقَى بدِجْـلَةَ مَعْقِلاَ

---

(١) الزيادة من حاشية ا و س و هـ .

(٢) « مخاميص » جمع « مخماص » وهم الضامرو البطون . يريد أنهم لم يملؤا بطونهم من الدنيا زهادة فيها . قاله المرصفى .

(٣) بحاشية ا مانصه : « قال الشيخُ : بابُ عُثمانَ : موضعٌ فيه البَزَّازُونَ فى شاطئِ المِرْبَدِ » .

(٤) الزيادة من ج و هـ .

(٥) فى ج « ثم قتلوها الناس » وهى لغة جائزة معروفة ، ولـكنها قليلة .

ـ : فانه أراد مَعْقِلَ بنَ قيسٍ الرِّيَاحِيَّ ، ورِياحُ ابنُ يربوعٍ [أخو] (١)
[بَنِي](٢) كُلَيْبِ بن يربوعٍ .

وقولُه « ومِنّا الذى لاَقَى بِدِجْلَةَ مَعْقِلاَ » يريدُ المسْتَوْرِدَ التَّيْمِيَّ ، وهو من [بنى](٣) تَيْمِ بن عبد مَنَاةَ بن أُدٍّ ، وتَيمُ ابنُ مُرِّ بن أُدٍّ .

وأمَّا قولُ ابنِ الرُّقَيَّاتِ :

والذى نَغَّصَ ابنَ دَوْمَةَ ماتُو   حِى الشياطينُ والسيوفُ ظِماءُ
فأباحَ العراقَ يَضْرِبُهُم بالسَّــيفِ صَلْتاً وفى الضِّرابِ غِلاءُ(٤)

ـ : فإنما يريدُ بابنِ دَوْمَةَ المختارَ بنَ أبى عُبيدٍ الثَّقَفِيَّ ، والذى نَغَّصَهُ مُصْعَب بن الزبير ، وكان المختارُ لا يُوقَفُ له على مذهبٍ ، كان خارجيًّا ، ثم صار زُبَيْرِيًّا ، ثم صار رافضيًّا فى ظاهِرِه ! !

وقوله « ما تُوحِى الشَّياطينُ » فانَّ المختارَ كان يَدَّعى أنه يُلْهَمُ ضرباً من السِّجَاعة(٥) لأمورٍ تكونُ ، ثم يحتالُ فيوقِعُها ، فيقولُ للناسِ : هذا من عند

---

(١) فى ا و ج و س و هـ « ورِياحُ بنُ يربوعٍ » .
(٢) الزيادة من ج و د و هـ .
(٣) الزيادة من ج .
(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : حدثنى أبو عمرَ عن ثعلبٍ عن سَلَمَةَ عن الفَرَّاء قال : يقال : ضَرَبَهُ بالسيفِ صَلْتاً وصُلْتاً ، ورجلٌ صَلْتٌ ، أى ماض ، وسيفٌ إِصْلِيتٌ ، أى صارمٌ » .
وأما قوله « غلاء » فانه بكسر الغين المعجمة ، من قولهم « غلا فى الأمر غلوًّا » أى جاوز حده . فمنه « غالى به وغالاه مغالاة وغلاء » . وضبطه المرصفى بفتح الغين ، وهو مخالف للأصول ، وهو غير جيد أيضاً ، لأن « الغلاء » بالفتح ضد الرخص .
(٥) « السجاعة » بكسر السين المهملة : صناعة السجع .

فمن ذلك قولُه ذات يومٍ : لتَنْزِلَنَّ من السماء نارٌ دَهْماء ، فلَتُحْرِقَنَّ دارَ أسماء ، فذُكِرَ ذلك لأسماءَ بن خارجة ، فقال : أقد سَجَعَ بى أبو إسحقَ ؟ هو والله مُحْرِقٌ دارِى ! فتركه والدارَ وهربَ من الكوفة .

وقال فى بعض سَجعِهِ : أمَا والذى شَرَعَ الأديانَ ، وجَنَّبَ الأوثانَ ، وكَرَّهَ العِصْيانَ ، لأَقتلنَّ أَزْدَعُمانَ ، وجُلَّ قيسِ عَيْلانَ ، وتَمِيماً أولياءَ الشيطانِ ، حاشا النَّجِيبَ ظَبْيانَ ! فكان ظبيانُ النجيبُ يقول : لم أَزلْ فى عُمرِ المختارِ أتقلَّبُ آمِناً .

☆☆

ويُروى : أن المختارَ بن أبى عُبيدٍ حيث كان والياً لابن الزبير على الكوفة اتَّهمه ابنُ الزبير ، فولَّى رجلاً من قريش الكوفةَ ، فلما أطَلَّ قال لجماعةٍ من أهلها : اُخرُجُوا إلى هذا المغرورِ فرُدُّوه ، فخرجوا إليه ، فقالوا : أين تُريد ؟ والله لئن دخلتَ الكوفةَ ليقتلنَّكَ المختارُ ، فرجع ، وكَتب المختارُ إلى ابن الزبير : إن صاحبَك جاءنا فلما قارَبَنا رجع ، فما أَدْرِى ما الذى رَدَّهُ ! فغضب ابنُ الزبير على القُرشىّ وعَجَّزَه وردَّه إلى الكوفة ، فلما شارفها قال المختارُ : اُخرجوا إلى هذا المغرور فرُدُّوه ، فخرجوا إليه ، فقالوا : إنه والله قاتِلُك ، فرجع ، وكتب المختارُ إلى ابن الزبير بمثل(١) كتابه الأولِ ، فلامَ القرشىَّ ، فلما كان فى الثالثةِ فَطِنَ ابنُ الزبير ، وعَلِمَ بذلك المختارُ ، وكان ابنُ الزبير قد

---

(١) فى س و د و هـ « مثلَ » .

حَبَسَ محمدَ بن الحنفية مع خمسةَ عشرَ رجلاً من بنى هاشمٍ ، فقال : لَتُبَايِعُنَّ أو لأَحرِقَنَّكم ؛ فأَبَوْا بيْعَتَه ، وكان السجنُ الذى حبسهم فيه يُدْعَى سِجْنَ عارمٍ ، ففى ذلك يقول كُثَيِّرٌ :

تُخَبِّرُ مَنْ لاقيتَ أنك عائذٌ ... بل العائذُ المظلومُ فى سجن عارمِ

ومَن يَلْقَ هذا الشيخَ بالخَيْفِ من مِنًى ... منَ الناس يَعْلَمْ أنه غيرُ ظالمِ

سَمِيُّ النبيِّ المصطفَى وابنُ عمه ... وفكَّاكُ أغلالٍ وقاضِى مَغارمِ

وكان عبدُ الله بن الزبير يُدْعَى العائِذ ، لأنه عاذ بالبيت ، ففى ذلك يقولُ ابنُ الرُّقَيَّاتِ يذكر مُصْعَباً :

بَلَدٌ تأمَنُ الحمامَةُ فيه ... حيثُ عاذَ الخليفةُ المظلومُ

وكان عبدُ الله يُدْعَى المُحِلَّ ، لإحلاله القتالَ فى الحَرَمِ ، وفى ذلك يقولُ رجلٌ فى رَمْلَةَ بنتِ الزبير :

أَلاَ مَنْ لقلبٍ مُعَنًّى غَزِلْ ... بذِكْرِ المُحِلَّة أُخْتِ المُحِلّْ

وكان عبدُ الله بن الزبير يُظْهِرُ البغضَ لابن الحنفية إلى بُغْضِ أهله ، وكان يَحْسُدُه على أَيْدِهِ[١] ، ويقال : أن عليًّا استطال دِرْعاً فقال : لِيُنْقَصْ منها كذا وكذا حَلْقةً ؛ فقَبَض محمدُ بن الحنيفة بإحدى يديه على ذيلها ، وبالأخرى على فَضْلِها ، ثم جَذَبها فقطعها من الموضع الذى حَدَّه أبوه ، فكان ابنُ الزبير إذا حُدِّثَ بهذا الحديث غضب واعتراه له أفْكَلٌ[٢] ، فلما رأى

---

(١) « الأيد » القوة .

(٢) « الأفكل » اسم للرعدة التى تعلو الانسان .

المختارُ أنَّ ابنَ الزبير قد فَطِنَ لما أراد كَتب إليه : من المختار بن أبي عُبيدٍ الثقفيّ خليفةِ الوصيّ محمد بن عليٍّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن أَسماء[١] ، ثم ملأَ الكتابَ بِسبِّه وسبِّ أبيه ، وكان قَبْلَ ذلك في وقتِ إظهاره طاعةَ ابنِ الزبير يَدُسُّ إلى الشيعة ، ويُعْلِمُهم[٢] مُوالاتَه إياهم ، ويُخْبِرُهم[٣] أنه على رأيهم وحَمْدِ مذاهبِهم ، وأنه سيُظهِر ذلك عمَّا قليلٍ ، ثم وَجَّهَ جماعةً تسيرُ الليلَ وتَكْمُنُ النهارَ ، حتى كسروا سجنَ عارمٍ واستخرجوا منه بني هاشمٍ ، ثم ساروا بهم إلى مَأْمَنِهم .

وكان من عجائب المختار أنه كَتب إلى ابرٰهيمَ بن مالكٍ الأَشْتَرِ يسألُه الخروجَ إلى الطَّلبِ بدم الحسين بن علي رضي الله عنهما ، فأَبَى عليه إبرٰهيمُ إلاَّ أن يستأذنَ محمدَ بن عليّ بن أبي طالبٍ ، فكتب إليه يستأذنُه [في ذلك[٤]] ، فعَلِم محمدٌ أنَّ المختارَ لا عَقْدَ له ، فكَتب محمدٌ إلى إبرٰهيمَ بن الأَشْتَرِ : إنه ما يَسُوءُني أن يأخذَ اللهُ بحقِّنا على يَدَيْ مَنْ يَشَاءُ[٥] من خلقه ، فخرج معه إبرٰهيمُ بن الأشترِ ، فتوَجَّه[٦] نحوَ عُبيد الله بن زيادٍ ، وخرج يُشَيِّعُهُ ماشياً ، فقال له إبرٰهيمُ : اركبْ يا أبا إسحقَ ! فقال : إني أُحِبُّ أن تَغْبَرَّ قَدَمايَ في نُصرة آلِ محمد صلى الله عليه وسلم ، فشيَّعه فرسخين ، ودَفَعَ

(١) نسبه لأمه « أسماء بنت أبي بكر الصديق » سفهاً منه وعدوانا ، وإنما ينسب الرجل لأبيه .

(٢) في ج « ويُعَلِّمُهُمْ » .

(٣) في ج و س و د و هـ « ويخبر » .

(٤) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٥) في ج و س و د و هـ « من شاء » .

(٦) في النسخ المذكورة « فوَجَّهَهُ » .

إلى قوم من خاصَّته حَماماً بيضاً ضِخاماً ، وقال : إن رأيتم الأمرَ لنا فدَعُوها ، وإن رأيتم الأمرَ علينا فأرسِلوها ، وقال للناس : إن استقمتم فَبِنصْرِ الله ،[١] وإن حِصْتُمْ حَيْصَةً[٢] فإنِّى أجِدُ فى مُحكَمِ الكتابِ ، وفى اليقينِ والصوابِ ، أنَّ اللهَ مُؤَيِّدُكم بملائكةٍ غِضابٍ ، تأتِى فى صورِ الحَمامِ[٣] دُونَ السحابِ ! فلما صار ابنُ الأشتر بخازِرَ[٤] وبها عُبَيْدُ الله بن زيادٍ قال : مَنْ صاحبُ الجيشِ ؟ قيل له : ابنُ الأشترِ ، قال : أليس الغلامَ الذى كان يُطِيرُ[٥] الحَمامَ بالكوفة ؟ قالوا : بلى ، قال : ليس بشىء ، وعلى مَيمنةِ ابن زيادٍ حُصَيْنُ بن نُمَيْرٍ السَّكُونىُّ من كِنْدةَ[٦] ، ويقال السَّكُونىُّ والسُّكُونىُّ ، والسَّدُوسىُّ والسُّدُوسىُّ ، كذا كان أبو عبيدة يقول ؛ [قال أبو الحسن : السَّكُونىُّ أكثرُ[٧]] وعلى ميسرته عُمَيْرُ بن الحُباب فارسُ الاسلامِ ، فقال حُصَيْنُ

---

(١) فى ج و د و هـ « فَيَنْصُرُ اللهُ » .

(٢) « حصتم حيصة » بالحاء والصاد المهملتين . وفى حاشية ا مانصه « المُهَلَّبِىُّ : الحَيْصُ : الحَيْدُ عن الشىء ، حاصَ يَحِيصُ : إذا حادَ . ويقال : مالَكَ من هذا الأمرِ مَحِيصٌ ، أى مَحِيدٌ » .

وفى د « جِضْتُمْ جَيْضَةً » بالجيم والضاد المعجمة ، وهو صحيح أيضاً . يقال : جاضَ عنه يَجِيضُ ، أى حادَ وعدَلَ .

(٣) فى ج و د و هـ « الحمائم » .

(٤) « خازر » بالخاء المعجمة وكسر الزاى وآخره راء ، وهو نهر بين إربل والموصل . وفى و هـ « بجازر » بالجيم مع كسر الزاى . وفى د بالحاء مع فتح الزاي .

(٥) فى ج « يُطَيِّرُ » .

(٦) كذا فى طبعة أوربة نقلا عن الأصول المخطوطة « حضين » بالضاد المعجمة . والمعروف أن كل « حصين » فهو بالصاد لمهملة إلا « حضين بن المنذر » فبالمعجمة .

(٧) الزيادة من س .

بنُ نُمَيْرٍ لابن زيادٍ : إنَّ عميرَ بن الحبابِ غيرُ ناسٍ قَتْلَى المَرْجِ(١) ، وإنى لا أثِقُ لك به ، فقال ابنُ زيادٍ : أنتَ لى عدوٌّ ، قال حُصَيْنٌ : ستعلمُ ، قال ابنُ الحُبابِ : فلما كان فى الليلة التى نُريد أن نُوَاقِعَ ابنَ الأَشْتَرِ فى صبيحتها خرجتُ إليه، وكان لى صديقا ، ومعى رجلٌ من قومى ، فصرتُ إلى عسكره ، فرأيته وعليه قميصٌ هَرَوِىٌّ ومُلاءَةٌ ، وهو مُتَّشِحٌ السيفَ(٢) يَجُوسُ عسكرَه فيأمرُ فيه وينْهَى ، فالْتَزَمْتُه من ورائِه ، فواللهِ ما الْتَفَتَ إلىّ ، ولكن قال : مَنْ هذا ؟ فقلتُ : عُمير بن الحُبَابِ ، فقال : مرحبا بأَبى المُغَلِّسِ ، كُنْ بهذا الموضعِ حتى أعودَ إليك ، فقلت لصاحبى : أرأيتَ أَشْجعَ من هذا قط ؟! يحتضنه رجلٌ من عسكرِ عدوِّه ، ولا يدرى من هو ؟ فلا يلتفتُ إليه !! ثم عاد إلىّ وهو فى أربعة آلافٍ ، فقال : ما الخبرُ ؟ فقلت : القومُ كثيرٌ ، والرأىُ أن تُناجِزَهم ، فانه لا صبرَ بهذه العصابة القليلة على مُطاولةِ هذا الجمعِ الكثيرِ ، فقال : نُصْبِحُ إن شاء الله ثم نحاكمهم إلى ظُبَاتِ السيوف(٣) وأطرافِ القنَا ، فقلت : أنا مُنْخَزِلٌ عنكَ بثُلُثِ الناسِ غداً ، فلما الْتَقَوْا كانت على أصحاب إبرٰهيمَ فى أول النهار ، فأرسلَ أصحابُ المختارِ الطيرَ ، فتصايحَ الناسُ : الملائكةُ !! فتراجعوا ، ونَكَّسَ عميرُ بن الحُبَابِ رايتَهُ ، ونادَى : يا لثَأَراتِ المَرْجِ ! وانخزَل بالمَيْسَرَةِ كلِّها ، وفيها قَيْسٌ فلم يَعْصُوهُ ، واقتتل الناسُ حتى اختلَط الظلامُ ، وأسرع القتلُ فى أصحاب

---

(١) فى ج و د « قتلَ المرج »

(٢) فى ج و س و هـ « وهو متوَشِّحٌ السيفَ » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : حدثنى أبو عمرَ عن ثعلبٍ قال : ظُبَةُ =

عُبيد الله بن زيادٍ ، ثم انكشفوا ، ووُضِع السيفُ فيهم حتى أُفْنُوا ، فقال ابنُ الأَشْتَرِ : لقد ضربتُ رجلاً على شاطئ هذا النهرِ فرجَع إلىّ سيفى ومنه[1] رائحةُ المسك ! ورأيتُ إقْداماً وجُرْأةً ، فصرعتُه فذهبتْ يداه قِبَلَ المشرقِ ورجلاه قِبَلَ المغربِ ، فانظُرُوه ، فأَتَوْه بالنِّيران ، فاذا هو عُبيد الله بن زيادٍ .

وقد كان عند المختار كرسىٌّ قديمُ العهد ، فغَشَّاهُ بالدِّيباج ، وقال : هذا الكرسىُّ من ذخائرِ أميرِ المؤمنين علىِّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فضعوه فى بَرَاكاءِ الحربِ ، وقاتِلوا عليه ، فانَّ مَحَلَّه فيكم مَحَلُّ السَّكينة فى بنى إسرائيلَ !! ويقال أنه اشترى ذلك الكرسىَّ بدرهمين من نجّارٍ[2] .

وقوله « فى بَرَاكاءِ القتال » يقال بَرَاكاء وبَرُوكاء ، وهو موضِعُ اصْطِدَامِ القومِ[3] ، قال الشاعرُ :

وليس بمُنقِذٍ لك منه إلّا .. بَرَاكاءُ القتالِ أوِ الفِرَارُ[4]

= السَّيفِ : حَدُّهُ ، ويقال طَرَفُه ، والجمع الظُّبَاتُ والظُّبُونَ فى الرفع ، والظُّبِينَ فى النصب والجرّ . ويقال لطَرَفِ سِنانِ الرُّمح ولطَرَفِ نَصْلِ السَّهْمِ : ظُبَتُهُ » .

(١) فى ج « وفيه » . وفى د « وفيه منه » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « من نجار بدرهمين » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : اصْطِدَامُ : افْتِعَالُ ، من الصَّدْمِ ، من قولهم : صَدَمْتُ الشئَ بالشئِ أَصْدِمُهُ صَدْماً ، وكلُّ شئٍ ضربتَه بشئٍ فقد صَدَمْتَه به بعدَ أن يكونَ صُلْباً » .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ شاذانَ : روايةُ أبى عمرَ :

ولا انْتَحَى من الغَمَرَاتِ إلّا .. بَرَاكاءُ القتالِ ... ... =

هذا باب اللام

التى للاستغاثة والتى للإضافة

إذا استغثتَ بواحدٍ أو بجماعةٍ فاللامُ مفتوحةٌ ، تقول : يالَلرِّجالِ ، ويالَلقومِ ، ويالَزيدٍ ، إذا كنتَ تدعوهم .

وإنما فتحتَها لتفصِلَ بين المَدْعُوِّ والمَدْعُوِّ له ، ووجبَ أن تفتحَها لأن أصلَ اللامِ الخافضةِ إنما كان الفتحَ ، فكُسِرَتْ مع المُظْهَرِ ليُفصَلَ بينها وبين لامِ التوكيدِ ، تقول : إنّ هذا لَزَيْدٌ ، إذا أردتَ إنّ هذا زَيدٌ ، وتقول : إنّ هذا لِزيدٍ ، إذا أردتَ أنه فى مِلْكه ، ولو فتَحْتَ لالتَبَستا[1] .

فان وقعتِ اللامُ على مضمَرٍ فتحتَها على أصلِها ، فقلتَ : إنّ هذا لَكَ ، وإن هذا لأَنْتَ ، إذا أردتَ لامَ التوكيدِ ، لأنه ليس هٰهنا لَبْسٌ ، وذاك أنّ الأسماءَ المضمرةَ على غيرِ لفظِ المُظْهَرَةِ ، فلهذا أَجْرَيْتَها على الأصلِ ، والاستغاثةُ تَرُدُّها إلى أصلها من أجلِ اللَّبْسِ

والمدعوُّ له فى بابه ، فاللامُ معه مكسورةٌ ، تقولُ : يالَلرِّجَالِ لِلْماءِ ، ويالَلرِّجَالِ لِلْعَجَبِ ، ويالَزيدٍ لِلْخَطْبِ الجليلِ ، قال الشاعرُ :

= قال : وبَرَاكاءُ هو الثَّبَاتُ فى الحربِ » .

وقوله فى رواية أبى عمر : « ولا انتجى » كذا فى الأصل المنقول منه ، وهو خطأ ، صوابه ما ذكره المرصفى فى شرحه « ولا يُنْجِى » . ونسب المرصفى البيت لبشر بن أبى خازم .

(١) فى ج و د و هـ « لَأُلْتَبَسَا » .

يَالَلرجالِ لِيَوْمِ الْأَربعاءِ أَمَا ... يَنْفَكُّ يبْعَثُ لى بعدَ النُّهَى طَرَبَا

وقال آخرُ :

تَكَنَّفَنى الوُشاةُ فَأَزْعجونى ... فيَا لَلناسِ لِلْواشِى المُطاعِ

وفى الحديث لمَّا طَعَنَ العِلْجُ أو العبدُ[1] عمرَ بن الخطاب رضوان الله عليه صاح : يا لَلّهِ يا لَلمسلمينَ .

وتقولُ : يا لَلْعَجَبِ ، إذا كنتَ تدعو إليه ، و « يا[2] » لِغَيْرِ العَجَبِ ، كأنكَ قلتَ : يا لَلناسِ لِلعَجَبِ ، ويُنْشَدُ هذا البيتُ :

يالَعْنَةُ اللهِ والأقوامِ كلِّهِمِ ... والصالحينَ على سِمْعانَ من جَارِ[3]

فـ« يا » لِغير اللعنةِ ، كأنه قال : يا قومِ لعنةُ اللهِ والأقوامِ كلِّهم .

وزَعَمَ سيبويهِ أنَّ هذه اللامَ التى للاستغاثةِ دليلٌ ، بمنزلةِ الأَلِفِ التى تُبَيِّنُ بالهاءِ فى الوقفِ إذا أردتَ أن تُسْمِعَ بعيداً ، فإنما هى للاستغاثةِ بمنزلةِ هذه اللامِ ، وذلك قولُكَ : يا قَوْماهْ ، على غيرِ النُّدْبَةِ ، ولكن للاستغاثةِ وَمَدِّ الصوتِ .

والقولُ كما قال ، محلُّهما عند العرب محلٌّ واحدٌ ، فإن وصلتَ حذفتَ الهاءَ ، لأنها زِيدَتْ فى الوقف لخفاءِ الألِف ، كما تُزادُ لبيانِ الحركةِ ، فإذا وصلتَ أَغْنَى ما بعدَها عنها ، تقولُ : يا قَوْمَا تعالَوْا ، ويا زيدَا لا تفعلْ . ولا

---

(١) هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة .

(٢) فى ج و هـ « فيا » .

(٣) « سمعان » بكسر السين . وفى د و هـ بفتحها ، وكلاهما صحيح .

يجوزُ أن تقولَ يالَزَيْدٍ وهو مُقبِلٌ عليكَ ،وكذلك لايجوزُ أن تقول: يازَيْداهْ وهو معك ، إنما يقال ذلك للبعيدِ ، أو يُنَبَّهُ به النائمُ .

فإن قلتَ : يا لَزَيدٍ ولِعمرٍو، كسرتَ اللامَ فى « عمرٍو » وهو مَدْعُوٌّ ، لأنك إنما فتحتَ اللامَ فى « زيدٍ » لتفصل بين المَدْعُوِّ والمَدْعُوِّ إليه ، فاما عطفتَ على « زيدٍ » استغنيتَ عن الفصل ، لأنك إذا عطفتَ عليهِ شيئًا صار فى مِثْل حالِه .

ونظيرُ ذلك الحكايةُ ، يقول الرجلُ : رأيتُ زيداً ، فتقولُ ، مَنْ زيداً ؟ [ويقولُ : مررتُ بزيدٍ ، فتقولُ : مَنْ زيدٍ ؟][1] وإنما حكيتَ قولَه لِيَعْلَمَ أنك إنما تَستفهِمُهُ عن الذى ذَكَرَ بعينِهِ ، ولاتسألُه عن زيدٍ غيره ، والموضعُ موضعُ رفعٍ ، لأنه ابتداءٌ وخبرٌ ، فإن قلتَ : ومَنْ زيدٌ ؟ أو فَمَنْ زيدٌ ؟ لم يكن إلّا رفعاً ، لأنك عطفتَ على كلامِهِ ، فاستغنيتَ عن الحكاية ، لأن العطفَ لايكونُ مستأنفاً .

ونَظِيرُ هذا الذى ذكرتُ لكَ فى اللّامِ قولُ الشاعرِ :

يَبْكِيكَ نَاءٍ بَعِيدُ الدَّارِ مُغْتَرِبٌ ... يَالَلْكُهُولِ وَلِلشُّبَّانِ لِلْعَجَبِ

فقد أَحْكَمْتُ لكَ كلَّ ما فى هذا البابِ .

ثم نعودُ إلى ذكر الخوارج

قال [أبو العباسِ][2] : وذُكِرَ لِعُبَيْدِ الله بن زِيادٍ رجلٌ من بنى سَدُوسٍ ،

(١) الزيادة من س و د و هـ .
(٢) الزيادة من س .

يقال له خالدُ بن عبَّادٍ(١) ، أو ابن عُبادةَ ، وكان من نُسَّاكهم ، فَوَجَّهَ إليه فأَخذَه ، فأتاه رجلٌ من آل ثَوْرٍ ، فكَذَّبَ عنه ، وقال : هو صِهْرِى وهو فى ضِمْنِى ، فَخَلَّى عنه ، فلم يَزَل الرجلُ يَتَفَقَّدُهُ حتى تغيَّبَ ، فأَتَى ابنَ زيادٍ فأخبره ، فبَعَثَ إلى خالد بن عبَّادٍ فأُخِذَ ، فقال عُبيد الله بن زيادٍ : أين كنتَ فى غَيْبَتِك هذه ؟ قال : كنتُ عند قومٍ يَذكرونَ اللهَ ويذكرون أئمةَ الجَوْرِ فيَتَبَرَّؤُونَ منهم ! قال : دُلَّنى عليهم(٢) ، قال : إذَنْ يَسْعَدُوا وتَشْقَى ، ولم أَكُنْ لِأُرَوِّعَهُمْ ! قال : فما تقولُ فى أبى بكرٍ وعمرَ ؟ قال : خيراً ، قال : فما تقولُ فى أميرِ المؤمنين عثمانَ ، أتتَوَلَّاه وأميرِ المؤمنين مُعاويةَ ؟ قال : إن كانا وَلِيَّيْنِ لله فلستُ أُعاديهما ، فَأَراغَهُ مراتٍ فلم يرجع ، فعزَم على قتله ، فأمر بإخراجه إلى رَحْبَةٍ(٣) تُعرفُ برَحْبَة الزَّيْنَبِيِّ(٤) ، فجعلَ الشُّرَطُ يتفادَوْنَ مِنْ قتله ، ويَرُوغُونَ عنه توقِّياً ، لأنه كان شاسِفاً(٥) عليه أَثَرُ العِبادَةِ ، حتى أَتَى المُثَلَّمُ بنُ مَسْرُوحٍ الباهليُّ ، وكان من الشُّرَطِ ، فتقدَّم فقَتَلَهُ ، فائْتَمَرَ به

---

(١) فى ج و د و هـ « عُبادٍ » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « أَدْلُلْنِى عليهم » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « قال ابن دُريدٍ : الرحْبَةُ بتسكين الحاء وفتحها : الفَجْوَةُ الواسِعةُ بين دُورٍ وغيرها » .

(٤) فى ج و د و هـ « الزَّبيبِىّ » .

(٥) الشاسف : اليابس من الهزال .

الخوارجُ ليقتُلوه[١] ، وكان [رجلاً][٢] مُغْرَمًا باللِّقاحِ[٣] ، يتَتَبَّعُها[٤] فيشتريها من مَظَانِّها ، وهم فى تفَقُّدِهِ ، فَدَسُّوا إليه رجلاً فى هيئةِ الفِتْيانِ ، عليه رَدْعُ زعفرانٍ[٥] ، فلَقِيَه بالمِرْبَدِ وهو يسأل عن لِقْحةٍ[٦] صَفِيٍّ ، فقال له الفتى : إنْ كنتَ تبْلُغُ[٧] فعندى مايُغْنيكَ عن غيره ، فامْضِ معى ، فمضى المُثَلَّمُ على فرسِه والفتى أمامَهُ ، حتى أَتى به بنى سَعْدٍ ، فدخل دارًا ، وقال له : ادخلْ على فرسِك ، فلمَّا دخل وتوغَّل فى الدار أغلقَ البابَ ، وثارتْ به الخوارجُ فاعْتَوَرَهُ حُرَيْثُ بن جَحْلٍ ، وكَهْمَسُ بن طَلْقٍ الصَّرِيمِيُّ فقتلاه ، وجعلا دراهمَ كانت معه فى بطنِه ، ودفناه فى ناحية الدارِ ، وحَكَّا آثارَ الدَّمِ ، وخَلَّيا فرسَه فى الليل ، فأُصِيبَ من الغدِ فى المِرْبَدِ ، وتَحَسَّسَ[٨] عنه الباهِلِيُّون فلم يَرَوْا له أثرًا ، فاتهموا به بنى سَدوسٍ ، فاسْتَعْدَوْا عليهم السلطانَ ، وجعلَ السَّدُوسِيُّونَ يحلفون ، فتحامَلَ[٩] ابنُ زيادٍ مع الباهليينَ ، فأخذ من السدوسيين أربعَ دِياتٍ ،

---

(١) فى ج و س و د و هـ « أن يقتلوه » .
(٢) الزيادة من ج و د و هـ .
(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : اللِّقْحَةُ : الناقةُ التى لها لبنٌ ، والجمعُ لِقَاحٌ وَلِقَحٌ » .
(٤) فى س و د « يتَّبِعُها » .
(٥) الردع : اللطخ بالزعفران والطيب .
(٦) بحاشية ا مانصه : « المُهَلَّبِيُّ : قال الأصمعىُّ : الصَّفِيُّ من الإبل : الغَزِيرَةُ اللَّبَنِ » .
(٧) قال المرصفى : يريد إن كنت تبلغ بها ثمناً جيداً .
(٨) فى س و هـ « وتجسس » بالجيم .
(٩) فى س و د و هـ « وتحَامَلَ » .

وقال : ما أدرى ما أصنعُ بهؤلاءِ الخوارجِ ؟ كلّما أمرتُ بقتلِ رجلٍ منهم اغتالوا قاتِلَه فلم يُعلَمْ بمكانِه ، حتى خرج مِرْدَاسٌ . فلما واقفهم ابنُ زُرْعَةَ الكِلاَبِىُّ صاح بهم حُرَيْثُ بنُ جَحْلٍ : أَهٰهُنا مِن باهِلَة أحدٌ ؟ قالوا : نعم ، قال : يا أعداءَ اللهِ ! أخذتُم بالمُثَلَّمِ[1] أربعَ دياتٍ وأنا قاتلُه[2] وجعلتُ دراهمَ كانتْ معه فى بطنِه ، وهو فى موضع كذا مدفونٌ ، فلما انهزمُوا صارُوا إلى الدارِ ، فأصابوا أشلاءَه والدراهمَ ، ففى ذلك يقولُ أبو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِىُّ :

آليتُ لا أَغْدُو إلى رَبِّ لِقْحةٍ أُساوِمُهُ حتى يَعُودَ المُثَلَّمُ

ثم خَرَجَتْ خوارجُ لا ذِكْرَ لهم ، كلُّهم قُتِلَ ، حتى انتهى الأمرُ إلى الأزارِقَةِ .

☆

ومن هاهنا افترقت الخوارجُ فصارت على أربعةِ أضْرُبٍ :

الإباضِيَّةُ ، وهم أصحابُ عبد الله بن إِبَاضٍ .

والصُّفْرِيَّةُ ، واختلفوا فى تسميتهم ، فقال قومٌ : سُمُّوا بابنِ صَفَّارٍ ، وقال آخَرُونَ — وأكثر المتكلمين عليه — : هم قومٌ نَهَكَتْهُمُ العِبادةُ فاصفرَّتْ وجوهُهم .

ومنهم البَيْهَسِيَّةُ ، وهم أصحابُ أَبِي بَيْهَسٍ[3] .

(١) فى ج و س و هـ « للمثلم » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « وأنا قتلْتُهُ » .

(٣) اسمه « هَيْصَمُ بن جابرٍ » .

ومنهم الأزارِقَة ، وهم أصحابُ نافِع بن الأَزْرَقِ الحَنفِيّ : وكانوا قبلُ على رأْيٍ واحدٍ ، لا يختلفون إلاَّ فى الشىءِ الشاذِّ من الفروعِ ، كما قال صَخْرُ بن عُرْوَةَ : إنّى كرهتُ قتالَ علىّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه لسابِقَتِهِ وقَرابَتِهِ ، فأَمَّا الآنَ فلا يَسَعُنِى إلاَّ الخروجُ . وكان اعتزَلَ عبدَ الله بن وَهْبٍ يومَ النَّهرِ ، فَضَلَّلَتْهُ الخوارجُ بامتناعِه من قتال علىٍّ .

⁂

فكان أولُ أمرِهم الذى نَسْتَاقُه : أنَّ جماعةً من الخوارجِ ، منهم نَجْدَةُ بنُ عامرٍ الحنفىُّ ، عَزَمُوا على أن يقصدوا مكةَ ، لَمَّا توَجَّهَ مُسْلِمُ بن عُقْبةَ يريدُ المدينةَ لوقعة الحَرَّةِ ، فقالوا : هذا ينصرفُ عن المدينة إلى مكةَ ، ويجبُ علينا أن نَمْنَعَ حَرَمَ اللهِ منه ، ونمتحنَ ابن الزُّبيرِ ، فإن كان على رأينا بايَعْناهُ[1] ، فَمَضَوْا لذلك .

فكان أولُ أمرهم : أنَّ أبا الوَازِعِ الرَّاسِبِيَّ ، وكان من مجتهدى الخوارجِ كان يَذُمُّ نفسَه[2] ويلومُها على القعودِ ، وكان شاعراً ، وكان يفعلُ ذلك بأصحابه ، فأَتَى نَافِعَ بن الأَزْرَقِ وهو فى جماعةٍ من أصحابه ، يَصِفُ لهم جَوْرَ السلطانِ ، وكان ذا لِسانٍ عَضْبٍ ، واحتجاجٍ وصَبْرٍ على المنازعة ، فأتاه أبو الوَازِعِ ، فقال : يا نافعُ ! لقد أُعْطِيتَ لسانًا صارِمًا ، وقلبًا كليلاً ، فَلَوَدِدْتُ أن صَرَامةَ لِسانِك كانت لقلبك ، وكَلالَ قلبِك

---

(١) فى ج و د « تَابَعْنَاهُ » .

كانَ لِسانِك ، أَتَحُضُّ على الحقِّ وتَقْعُدُ عنه ، وتُقَبِّحُ الباطلَ وتُقيمُ عليه ؟! فقال : إلى أن تَجْمَعَ(١) من أصحابِك من تَنْكِي به عدوَّك(٢) ؛ فقال أبو الوازع :

لِسانُكَ لا تَنْكِي به القومَ إنما تَنالُ بِكَفَّيْكَ النَّجاةَ من الكَرْبِ(٣)

فجاهِدْ أُناساً حارَبوا اللهَ واصْطَبِرْ عسى اللهُ أن يُخْزِي غَوِيَّ بني حَرْبِ

ثم قال : واللهِ لا أَلومُك ونفسى أَلومُ ، ولأَغْدُوَنَّ غَدْوةً لا أَنْثَنِي بعدَها أبداً ، ثم مضى فاشترى سيفاً ، وأَتى صَيْقَلاً كان يذمُّ الخوارجَ ويَدُلُّ على عوراتِهم ، فشاوره فى السيف فحمِدَه ؛ فقال : اشْحَذْهُ ، فَشَحَذَهُ ، حتى إذا رَضِيَهُ حَكَّمَ وخَبَطَ به الصَّيْقلَ ، وحملَ على الناس فتهارَبُوا منه ، حتى أَتى مَقْبُرَةَ بنى يَشْكُرَ ، فَدَفَعَ عليه رجلٌ حائطَ السُّتْرةِ فكرهتْ ذلك بنو يَشْكُرَ ، خوفاً أن تجْعَلَ الخوارجُ قبره مُهاجَراً ؛ فلما رأَى ذلك نافعُ [بنُ الأزرقِ(٤)] وأصحابُه جَدُّوا ، وخَرج فى ذلك جماعةٌ ، فكان ممن خَرج عيسى بنُ فاتِكٍ الشاعرُ الخَطِّىُّ ، من تيمِ اللاَّتِ بنِ ثَعْلبةَ ، ومَقْتَلُهُ بعدَ خروجِ الأَزارِقة .

---

(١) فى ج و د و هـ « يجتمعَ » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « يقالُ : نَكَيْتُ فى العدوِّ أَنْكِى نِكايةً ، ونَكَأْتُ القَرْحَةَ أَنْكَؤُها نَكْأً : إذا قشَرْتَها . وقال الخليلُ : تقول نَكَأْتُ فى العدوِّ نَكْأً بالهمزِ ، ولغةٌ أخرى : نَكَيْتُ فى العدوِّ نِكايةً ، ونَكَأْتُ الجُرْحَ والقَرْحَةَ ، وأنا أَنْكَؤُهما نَكْأً : إذا قشَرْتَهما بعد ما كادا يَبْرَآنِ » .

(٣) فى ج و د و هـ « لايُنْكَى به القومُ » .

(٤) الزيادة من ج و هـ .

فمضى نافعٌ وأصحابُه من الحَرُورِيَّة قبلَ الاختلافِ إلى مكة ، ليَمْنَعُوا الحَرَمَ مِن جيش مُسْلِمِ بن عُقْبَةَ ، فلما صاروا إلى ابن الزبير عَرَّفوه أنفسهم ، فأظهر لهم أنه على رأيهم ، حتى أتاهم مسلم بن عُقْبة وأهلُ الشام ، فدافَعُوهم إلى أن يأتىَ رأىُ يزيدَ بنِ معاوية ، ولم يبايعوا ابنَ الزبيرِ ، ثم تناظروا فيما بينهم ، فقالوا : نَدْخُل إلى هذا الرجل فننظرُ ما عندَه ، فإن قَدَّمَ أبا بكر وعمرَ ، وبَرِئَ مِن عثمانَ وعليٍّ ، وكَفَّرَ أباهُ وطلحةَ ـ : بايَعْناه ، وإن تكنِ الأُخْرَى ظهرَ لنا ما عندَه ، فتشاغلنا بما يُجْدِى علينا ، فدخلوا على ابنِ الزبير ، وهو مُتَبَذِّلٌ ، وأصحابُه متفرقون عنه ، فقالوا : إنّا جئناك لتُخْبِرنا رأيَك ، فإن كنتَ على الصوابِ بايعناك ، وإن كنتَ على غيره[1] دَعَوْناكَ إلى الحقِّ ، ما تقولُ فى الشَّيخين ؟ قال : خيراً ، قالوا : فما تقولُ فى عثمان ، الذى أَحْمَى الحِمَى ، وآوى الطَّريدَ[2] ، وأظهر لأهلِ مصرَ شيئاً وكَتَبَ بخلافِه ، وأَوْطَأَ آلَ أبى مُعَيْطٍ رقابَ الناسِ وآثَرَهُمْ بِفَىْءِ المسلمين ؟ وفى الذى بعده[3]

---

(١) فى ج و س و د و هـ « على خلافه » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « قال الخليلُ : أَوَى الإنسان إلى منزله أُوِيًّا ، وآوَيْتُ فلاناً إيواءً . وتقولُ : أَوَيْتُ إلى منزلى ، وآوَانِى فلانٌ إلى منزله . والمَأْوَى : كلُّ شىءٍ تَأْوِى إليه ليلاً أو نهارًا . قال الكسائىُّ : يقالُ : آويتُ الرجلَ إيواءً وَأَوَيْتُهُ ، وَأَوَيْتُ إلى أهلى وَأَوَيْتُ أهلى ، وَأَوَيْتُ الحَىَّ أَشَدَّ الإوِىِّ ، بكسر الألفِ » .

(٣) يعنون علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه .

الذى حكّم فى دينِ اللهِ الرجالَ ، وأقام على ذلك غيرَ تائبٍ ولا نادمٍ ؟ وفى أبيكَ وصاحِبه[١] ، وقد بايَعا عليًّا وهو إمامٌ عادلٌ مَرْضِىٌّ ، لم يَظْهَرْ منه كفرٌ ، ثم نَكَثا ، بعَرَضٍ من أعراضِ الدنيا ، وأخرجا عائشةَ تُقاتِلُ ، وقد أمرها الله وصواحِبَها أن يَقِرْنَ[٢] فى بُيُوتِهِنَّ ، وكان لك فى ذلك ما يَدْعُوكَ إلى التوبة ، فإن أنت قلتَ كما نقولُ فلك الزُّلفةُ عندَ اللهِ والنَّصْرُ على أيدينا ، ونسألُ اللهَ لكَ التوفيقَ ، وإن أبَيْتَ إلاَّ نَصْرَ رأيِك الأولِ ، وتصويبَ أبيك وصاحِبِه ، والتحقيقَ بعثمانَ ، والتوَلِّىَ فى السنينَ السِّتِّ التى أحلَّتْ دمَه ، ونقَضتْ عَهْدَه[٣] ، وأفْسَدَتْ إمامتَه ـ : خَذَلكَ اللهُ وانْتَصَرَ منك بأيدِينا !!

فقال ابنُ الزبير : إنَّ اللهَ أمر ـ وله العِزَّةُ والقُدْرَةُ ـ فى مخاطبةِ أكْفَرِ الكافرين وأعْتَى العُتاةِ بأرْأفَ[٤] من هذا القول ، فقالَ لموسى ولأخيه[٥] ـ صلى الله عليهما ـ فى فرعونَ : ﴿ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[٦] وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لا تُؤْذُوا الأَحياءَ بِسَبِّ

---

(١) يعنون الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ، رضى الله عنهما .

(٢) فى ج « يَقَرْنَ » . و « قَرَّ » من بابى « فَرَّ » و « مَلَّ » وهذا إشارة منهم إلى قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ سورة الأحزاب آية ٣٣ وهى قراءة نافع وعاصم وأبى جعفر « قرن » بفتح القاف ، وقرأها باقى الأربعة عشر بكسر القاف .

(٣) كلمة « عهده » فى موضعها بياض فى أكثر النسخ ، وهى ثابتة فى بعضها ، وعليها نسخة المرصفى ، وكتب مصحح بعض طبعات مصر بدلها « أحكامه » وما هنا أصح وأجود .

(٤) فى ج و س و هـ « بِأَرْفَهَ » .

(٥) فى ج و س و د « وأخيه » .

(٦) سورة طه آية ٤٤

الموْتَى »(١) فَنَهَي عن سَبِّ أبي جهلٍ من أجل عِكْرِمَةَ ابنِهِ، وأبو جهلٍ عدوُّ الله وعدوُّ الرسولِ، والمقيمُ(٢) على الشِّرْكِ، والجادُّ فى المحاربة، وَالْمُتَبَغِّضُ(٣) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلَ الهجرةِ، والمحاربُ له بعدَها، وكَفَى بالشركِ ذنباً، وقد كان يُغْنِيكم عن هذا القولِ الذى سَمَّيْتُمْ فيه طلحةَ وأَبِى أن

(١) فى ج و هـ « بسب الأموات » . والحديث رواه أحمد والنسائى من حديث المغيرة بن شعبة بلفظ : « لاتَسُبُّوا الأمواتَ فَتُؤْذُوا الأحياءَ » وروى ابن سعد فى الطبقات (ج ٤ ق ١ ص١٦) : « أَنَّ رَجُلاً من المهاجرين لَقِيَ العباسَ بنَ عبدِ المطلب فقال : يا أبا الفضلِ ! أرأيتَ عبدَ المطلب بنَ هاشمٍ والغَيْطَلَةَ كاهنةَ بنى سَهْمٍ جَمَعَهُمَا اللهُ جميعاً فى النَّارِ ؟! فصفح عنه ، ثم لقيه الثانيةَ فقال له مثل ذلك ، فصفح عنه ، ثم لقيه الثالثةَ فقال له مثل ذلك ، فرفع العباسُ يده فوَجَأَ أنفَه فكسره ، فانطلق الرجلُ كما هو إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه قال : ماهذا ؟ قال : العباسُ ، فأرسلَ إليه فجاءه ، فقال : ما أردتَ إلى رجلٍ من المهاجرين ؟ فقال: يارسولَ الله ! واللهِ لقد علمتُ أنَّ عبدَ المطلب فى النارِ ، ولكنه لقينى فقال ياأبا الفضل أرأيْتَ عبدَ المطلب بن هاشم والغيطلةَ كاهنة بنى سهم جمعهما الله جميعًا فى النّار ، فصفحتُ عنه مرارًا ، ثم والله ما ملكتُ نفسى ، وما إياه أَرادَ ، ولكنه أَرادنى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مابالُ أَحدِكم يُؤْذِى أَخاه فى الأمر وإن كان حقًّا ؟ ! » .

(٢) فى ج و د و هـ « عَدُوّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعدوّ الله ، المقيمُ » الخ .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « فى نسخةٍ : الْمُتَنَقِّصُ » .

تقولوا: أتبرَّأ[١] من الظالمين ؟ فإن كانا منهم دخلا فى غُمار الناس[٢] ، وإن لم يكونا منهم لم تُحْفِظُونى[٣] بِسَبِّ أبى وصاحبه، وأنتم تعلمون أنَّ الله جلَّ وعزَّ قال للمؤمن فى أبوَيْه : ﴿وإنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فلا تُطِعْهُمَا ، وصاحِبْهُمَا فى الدُّنْيا مَعْرُوفًا﴾[٤] وقال جَلَّ ثناؤُهُ : ﴿وقُولُوا للنَّاسِ حُسْنًا﴾[٥] وهذا الذى دَعَوْتم إليه أمرٌ له ما بعدَه ، وليس يُقْنِعُكُمْ إلاَّ التوقيتُ والتَّصْريحُ ، ولعَمْرِى إن ذلك لأَحْرَى بِقَطْعِ الحُجَجِ ، وأوضحُ لِمِنْهاجِ الحقِّ ، وأَوْلَى بأن يعرفَ كلٌّ صاحبَه من عدوِّه ، فرُوحُوا إلىَّ مِنْ عَشِيَّتِكم هذه أَكْشِفْ لكم ما أَنَا عليه إن شاء الله . فلما كان العَشِىُّ رَاحُوا إليه ، فخرج إليهم وقد لَبِسَ سِلاَحَهُ ، فلما رَأَى ذلك نَجْدَةُ قَالَ : هذا خروجُ مُنَابِذٍ لكم ، فجلس على رَفْعٍ[٦] من الأرضِ ، فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ، وصلَّى على نبيه [محمدٍ[٧]] صلى الله عليه وسلم ، ثم ذَكَرَ أبا بكرٍ وعمرَ أحسنَ ذِكرٍ ، ثم ذَكَرَ عثمانَ فى السِّنِينَ الأوائلِ من خلافتِه ، ثم وَصَلَهُنَّ بالسِّنِينَ التى أَنكَرُوا سِيرتَه فيها ، فجعلها كالماضيةِ ، وخَبَّرَ أنه آوَى الحَكَمَ

---

(١) فى ج و س « تَبَرَّأْ » . وفى د « تَبَرَّأْ أنا » .

(٢) « غمار الناس » بضم الغين وفتحها : جماعتهم .

(٣) أى : لم تغضبونى .

(٤) سورة لقمان آية ١٥

(٥) سورة البقرة آية ٨٣

(٦) فى ا « رُبْوَة » وعليها « صح » . و « الربوة » المكان المرتفع ، بضم الراء وهو الأكثر ، والفتح لغة بنى تميم ، والكسر لغة أخرى ، كما فى المعيار .

(٧) الزيادة من ج و س .

بنَ أبي العاصِ بإذنِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وذَكَرا الحِمى وما كان فيه من الصَّلاحِ ، وأنَّ القومَ استَعْتَبُوهُ من أمور ، وكان له أن يفعلها أوَّلاً مُصيباً ، ثم أعْتَبَهُمْ بعدُ مُحْسِناً ، وأنَّ أهلَ مصرَ لمَّا أتوه بكِتابٍ ذَكَرُوا أنه منه بعدَ أنْ ضَمِنَ لهم العُتْبَى ، ثم كُتِبَ لهم ذلك الكتابُ بِقَتْلِهِمْ ، فَدَفَعُوا الكتابَ إليه ، فحلف أنه لم يَكْتُبْهُ ولم يأْمُرْ به ، وقد أُمِرَ بقبولِ اليَمينِ ممَّن ليس له مثلُ سابِقَتِهِ ، معَ ما اجْتَمَعَ له من صِهْرِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ومكانِه من الإمامةِ ، وأن بَيْعةَ الرِّضْوانِ تحتَ الشَّجرةِ إنما كانت بسببه ، وعثمانُ الرجلُ الذى لَزِمَتْه يمينٌ لو حَلَفَ عليها لَحَلَفَ على حَقٍّ فافتداها بمائةِ ألفٍ ولم يَحْلِفْ ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ »[١] فعثمانُ أميرُ المؤمنين كَصَاحِبَيْهِ ، وأنا وليُّ وَلِيِّهِ ، وَعَدُوُّ عَدُوِّهِ ، وأبي وصاحِبُه صاحِبا رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، ورسولُ اللهِ يقولُ[٢] عن الله تعالى يومَ أُحُدٍ لمَّا قُطِعَتْ إصْبَعُ طلحةَ : « سَبَقَتْه إلى الجنةِ »[٣] وقال : « أَوْجَبَ طلحةُ »[٤] . وكان الصِّدِّيقُ إذا ذَكَرَ يومَ أُحُدٍ قال : ذاك[٥] يومٌ كلُّه أو جُلُّه لطلحةَ ، والزبيرُ حَوارِيُّ رسولِ اللهِ وَصِفْوَتُه[٦] ، وقد ذَكَرَ أنهما فى الجنةِ ،

---

(١) لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ .

(٢) فى ج و هـ « وهو يقول » .

(٣) الحديث لم أجده بهذا اللفظ أيضاً .

(٤) الحديث رواه الترمذى فى السنن فى كتاب المناقب (٢ : ٣٠٢ طبعة بولاق ، ٤ : ٣٣٢ من شرح المباركفورى) وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح غريب » .

(٥) فى ج و س و د و هـ « ذلك » .

(٦) فى جميع الأصول بكسر الصاد ، و « الصفوة » مثلثة الصاد .

وقال جلَّ وعزَّ : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[١] وما أَخْبَرَنَا بعدُ أنه سَخِطَ عليهم ، فإِن يكنْ ماسَعَوْا فيه حقًّا فأَهْلُ ذلك هُمْ ، وإن يكنْ زَلَّةً[٢] فَفِي عَفْوِ الله تَمْحِيصُها ، وفيما وَفَّقَهم له من السابقة مع نَبيِّهم صلى الله عليه ، ومهما ذَكَرْتُمُوهُما به فقد بَدَأْتُم بأُمِّكُمْ عائشةَ رضي الله عنها ، فإِن أَبَى آبٍ أن تكونَ له أُمًّا نَبَذَ اسمَ الإِيمانِ عنه[٣] ، قال اللهُ جلَّ ذكرهُ وقولُهُ الحقُّ : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[٤] فنظر بعضُهم إلى بعضٍ ثم انصرفوا عنه .

⁂

وكان سببُ وضعِ الحربِ [أوزارَها][٥] بينَ ابنِ الزبير وبين أهلِ الشأم ـ بعدَ أنْ كان[٦] حُصَيْنُ بن نُمَيْرٍ قد حَصَرَ ابنَ الزبير ـ أنه أتاهم موتُ يَزيدَ بن معاويةَ فتوادعَ الناسُ ، و[قد][٧] كان أهلُ الشأم ضَجِرُوا من المُقامِ على ابن الزبير ، وحَنِقَتِ الخوارجُ[٨] في قتالهم ، ففي ذلك يقول رجلٌ من قُضاعَةَ :

---

(١) سورة الفتح آية ١٨

(٢) في ا « وإنْ تكنْ زَلَّةً » .

(٣) في س « نَفَى عنه اسمَ الإِيمانِ » .

(٤) سورة الأحزاب آية ٦

(٥) الزيادة من هـ .

(٦) في ج و د و هـ « بعد إذ كان » .

(٧) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٨) في ج و س و د « وَخَفَّتِ الخوارج » . وبحاشية ا ما نصه : « الحَنَقُ : =

يا صاحبيَّ ارْتَحِلاَ ثم امْلُسَا   لا تَحْبِسَا لَدَى الحُصَيْنِ مَحْبِسا
إنَّ لَدَى الأركانِ ناساً بُؤَّسا

[قال الأخفشُ: حِفْظِى «بَأْساً أَبْؤُساً»][1]:

وبارقاتٍ يَخْتَلِسْنَ الأَنْفُسَا   إذا الفتى حَكَّم يومًا كَلَّسَا

قوله: «ثم امْلُسَا» يريد: تَخَلَّصَا تَخَلُّصاً سهلاً. «وَكَلَّس» أى حَمَلَ وَجَدَّ.

ولما سَمَّح ابنُ الزبير للخوارج فى القولِ وأَظهر أنه منهم قال [له][2] رجل يقال له قَيْسُ بن هَمَّامٍ[3] من رَهْط الفَرَزْدَقِ:

يَابْنَ الزبير أَتَهْوَى عُصْبَةً قَتَلُوا   ظلماً أباك ولمَّا تُنْزَعِ الشِّكَكُ
ضَحَّوْا بعثمانَ يومَ النحرِ ضاحيةً   ما أَعْظَمَ الحرمةَ العُظْمَى التى انْتَهَكُوا

فقال ابنُ الزبير: لو شايعتْنِى التُّرْكُ وَالدَّيْلَمُ على قتال أهل الشأم لشايعتُها.

«الشِّكَك» جمعُ «شِكَّةٍ» وهى السلاحُ، قال الشاعرُ:

ومُدَجَّجاً يَسْعَى بِشِكَّتِهِ   مُحْمَرَّةً عيناهُ كالكَلْبِ

= الحِقْدُ، حَنِقَ يَحْنَقُ حَنَقًا، فأَحْنَقْتُ الرجلَ إِحْنَاقًا: إذا أَحْقَدْتَه، والرجلُ حَنِقٌ وَحَنِيقٌ».

(١) الزيادة من ا.

(٢) الزيادة من ج.

(٣) فى ج و س و د و هـ «فلان بن همام».

*

فتفرقتِ الخوارجُ عن ابن الزبير لما تولَّى عثمانَ ، فصارت طائفةٌ إلى البصرة ، وطائفةٌ إلى اليمامةِ ، وكان رَجاءٌ النُّمَيْرِىُّ[1] هو الذى كان جمعهم للمدافعة عن الحَرَم ، فكان فيمن صار إلى البصرة نافعُ بن الأزرق الحنفىُّ ؛ وبَنُو الماحُوزِ[2] السليطِيُّونَ ، ورَئيسُهم حَسَّانُ بن بَحْزَجٍ[3] ، فلماصاروا إلى البصرة نظروا فى أمورهم فأمَّروا عليهم نافعاً .

ويُرْوى : أن أبا الجَلْدِ اليَشْكُرِىَّ قال لنافعٍ يومًا : يا نافعُ ! إنَّ لجهنم سبعةَ أبوابٍ ، وإن أشدَّها حرًّا لَلْبابُ الذى أُعِدَّ للخوارج ، فإن قدَرْتَ أن لاَّ تكون منهم فافعلْ ، فأجمع القومُ عَلَى الخروج ، فمضى بهم نافعٌ إلى الأَهْواز فى سنةأربع وستين ، فأقاموا بها ، لايَهيجون أحداً ، ويُناظِرُهم الناسُ .

*

وكان سببُ خروجهم إلى الأَهواز أنه لَمَّاماتَ يزيدُ بايَعَ أهلُ البصرة عُبَيْدَ الله بنَ زيادٍ ، وكان فى السجن يومئذٍ أربعُ مائةِ رجلٍ من الخوارج ، وضَعُفَ أمرُ ابنِ زيادٍ ، فَكُلِّمَ فيهم ، فأطلقهم ، فأفسدوا البَيْعةَ عليه ، وفَشَوْا فى الناس ، يَدْعُونَ إلى محاربة السلطانِ ، ويُظْهِرُون ماهم عليه ، حتى اضْطَرَبَ عَلَى عُبيد الله أمرُه ، فتحوَّل عن دار الإمارة إلى الأَزْد ، ونَشأَتِ الحربُ بسببه

---

(١) فى ج و د و هـ « رجاءٌ النَّصْرِىُّ » .

(٢) قال المرصفى : « هم الزبير وعثمان وعلىّ وعبد الله وعبيد الله بنوبشير بن يزيد المعروف بالماحوز ، وهم من بنى الحرث بن سليط بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وكلهم أمراء الأزارقة » .

(٣) فى ج « بَحْدَجٍ » وفى د « بَخْدَجٍ » وفى هـ « بَخْذَجٍ » .

بين الأزدِ وربيعة وبين بنى تميم ، فاعتزلهم الخوارجُ إلاّ نفراً منهم من بنى تميم، معهم عَبْسُ بن طَلْقٍ الصَّرِيمِيُّ أخو كَهْمسٍ ، فانهم أعانوا قومَهم، فكان عبسُ الطِّعانِ فى سعدٍ ، والرِّبَابُ فى القَلْبِ بحِذاءِ الأزدِ ، وكان حارثةُ بن بَدْرٍ اليربوعيُّ فى حَنْظلةَ بحذاء بَكْرِ بن وائلٍ ، وفى ذلك يقول حارثةُ بن بدرٍ للأَحْنفِ ، وهو صَخْرُ بن قيسٍ :

سيَكفيكَ عبسٌ أخو كَهْمسٍ ... مُواقفَةَ الازدِ بالِمرْبَدِ

وتَكفيكَ عَمْرٌو على رِسْلِها ... لُكَيْزَ بن أَفْصَى وما عَدَّدُوا

« لُكَيْزٌ » هو عبدُ القَيْسِ .

وَتَكفيكَ بَكْراً إذا أقبلتْ ... بضربٍ يَشيبُ له الأَمْرَد

فلما قُتل مسعودُ بن عَمْرٍو المَعْنِيُّ وتَكافَّ الناسُ أقام نافعُ بنُ الأزْرق بموضعِه بالأهوازِ ، ولم يَمُدَّ إلى البصرة ، وطردوا عُمَّالَ السلطانِ عنها ، وجَبَوُا الْفَيْءَ .

ولم يزالوا على رأيٍ واحدٍ ، يَتَوَلَّوْنَ أهلَ النهر ومِرْداساً ومن خرج معه ، حتى جاء مَوْلًى لبنى هاشمٍ إلى نافعٍ ، فقال له : إن أطفالَ المشركين فى النارِ ، وإن مَن خالفَنا مشركٌ ، فدماءُ هؤلاء الأطفالِ لنا حلالٌ ، قال له نافعٌ : كفرتَ وأَدْلَلْتَ بنفسك[1]، قال له : إن لم آتِكَ بهذا من كتاب الله فاقتُلْنى ﴿ قالَ نُوحٌ رَبِّ لاَتَذَرْ على الأَرضِ من الكافرين دَيَّاراً . إنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ ولا يَلِدُوا إلاَّ فاجِراً كَفَّاراً ﴾[2] فهذا أمرُ الكافرين وأمرُ

---

(١) فى س و هـ « وأَخْلَلْتَ بنفسِكَ » .

(٢) سورة نوح آية ٢٦و٢٧

أطفالهم ، فشهِدَ نافعٌ أنهم جميعاً فى النار ، ورأى قتلهم ، وأن الدارُ دارُ كُفرٍ إلّا مَنْ أظهر إيمانَهُ ، ولا يَحِلُّ أكل ذبائحهم[(١)] ، ولا تناكُحهُمْ ، ولا تَوارُثُهُمْ ، ومتى جاءَ منهم جاءٍ فعلينا أن نَمْتحِنَهُ ، وهم كَكُفَّارِ العرب ، لا نَقبلُ منهم إلّا الإسلامَ أو السيفَ ، والقَعَدُ بمنزلتِهم ، والتَّقِيَّةُ لا تَحِلُّ ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ إذا فَرِيقٌ منهم يَخْشَوْنَ الناسَ كخشيةِ اللهِ أو أشدَّ خَشْيَةً ﴾[(٢)] وقال عزّ وَجلَّ فيمن كان على خلافِهم : ﴿ يُجاهِدُونَ فى سبيل اللهِ ولا يَخافُونَ لَوْمةَ لائمٍ ﴾[(٣)]. فنَفَرَ جماعةٌ من الخوارج عنه ، منهم نَجْدَةُ بن عامرٍ ، واحتجَّ عليه بقول الله عز وجلَّ : ﴿ إلّا أن تتَّقُوا منهم تُقاةً ﴾[(٤)] وبقوله عز وجل : ﴿ وقال رجلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إيمانَهُ[(٥)] ﴾ فالقَعَدُ مِنّا ، والجهادُ إذا أمكنَ أفضلُ ، لقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وفَضَّلَ اللهُ المجاهِدِينَ على القاعِدِينَ أجْراً عظيماً ﴾[(٦)] . ثم مضى نَجْدَةُ بأصحابه إلى اليمامة وتفرَّقوا فى البُلدانِ .

فلما تَتايَعَ[(٧)] نافعٌ فى رأيه وخالفَ أصحابَهُ ، وكان أبو طالوتَ سالمُ

(١) فى ج و س و د و هـ « ولا تَحِلُّ ذبائحُهُمْ » .
(٢) سورة النساء آية ٧٧
(٣) سورة المائدة آية ٥٤ وفى ج و س و د « يقاتلون » بدل « يجاهدون » وهو خطأ مخالف للتلاوة .
(٤) سورة آل عمران آية ٢٨
(٥) سورة غافر آية ٢٨
(٦) سورة النساء آية ٩٥
(٧) « تتايع » بالياء المثناة التحتية . قال فى اللسان : « التتايع فى الشىء وعلى الشىء : التهافت فيه والمتابعة عليه : الإسراع إليه . يقال : تتايعوا فى الشرّ : إذا تهافتوا وسارعوا إليه » . ثم نقل عن الأزهرىّ قال : « ولم نسمع التتايع فى الخير ، وإنما سمعناه فى الشرّ » ، والتتايع : =

بن مَطَربا[illegible]رِم فى جماعةٍ قد بايعوه ، فلما انخزل نَجْدة خَلَعوا أبا طالوتَ ، وصاروا إلى نجدةَ فبايَعُوهُ ، ولَقِيَ نجدةُ وأصحابُهُ قومًا من الخوارج بالعَرِمَةِ ، « والعَرِمَةُ » كالسِّكْرِ[1] ، وجمعُها « عَرِمٌ » وفى القرآن المَجِيدِ : ﴿فأَرْسَلْنا عليهم سَيْلَ العَرِمِ﴾[2] ، وقال النابغةُ الجَعْدِيُّ :

مِنْ سَبَأَ الحاضِرِينَ مَأْرِبَ إِذْ ... يَبْنُونَ مِن دُونِ سَيْلِهِ العَرِمَا

فقال لهم أصحابُ نَجْدَةَ : إن نافعاً قد كَفَرَ[3] القَعَدَ ورأى الاستعراضَ[4] ، وقَتْلَ الأطفالِ[5] ، فانصرفوا مع نجدةَ ، فلما صار باليمامة كَتَبَ إلى نافع :

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعدُ : فان عَهْدِى بك وأنتَ لليتيم كالأبِ الرحيمِ ، وللضعيفِ كالأَخِ البَرِّ ، لا تأخذُك فى اللهِ لومةُ لائمٍ ، ولا تَرَى

= التهافت فى الشرّ واللجاج ، ولا يكون التتايع إلا فى الشرّ » . وفى ج و س و د و هـ « تتابع » بالباء الموحدة ، وعليها طبعات مصر .

(١) هنا بحاشية ا ما نصه : « السِّكْرُ : ما سَكَرْتَ به الماءَ فمنعْتَه عن جَرْيِهِ ، وأصلُه من قولهم: سَكَرَتِ الريحُ : إذا سَكَنَتْ . وقال الخليلُ :السَّكْرُ سَدُّكَ بَثْقَ الماءِ ، والسِّكْرُ اسمٌ لذلك السِّدادِ الذى تجعلُه سَدًّا للبَثْقِ . قال ابنُ دُرَيدٍ : العَرِمَةُ : سَدٌّ يُعْتَرَض به الوادِى لِيَحْبِسَ الماءَ ، والجمعُ عَرِمٌ . وقال أبو حاتمٍ : العَرِمُ واحدٌ لا جمعَ له من لفظه » .

وهنا أيضاً بحاشية هـ ما نصه : « قال أبو الحسن : غيرُه يقول العَرَمَةُ بالفتح ، والصوابُ العَرِمَةُ بالكسر » .

(٢) سورة سبأ آية ١٦

(٣) فى ج و س و د و هـ « أَكْفَرَ » .

(٤) « الاستعراض » قال المرصفى : « يريد اعتراضه الناس يقتلهم ، لا يبالى أمسلما قتل أم كافراً » .

(٥) فى ا « وقَتَلَ الأطفالَ » .

مَعونة ظالمٍ ، كذلك كنتَ أنتَ وأصحابُك ، أَمَا تذكُر(١) : لولا أنِّى أعلم أنّ للإمام العادلِ مثلَ أجرِ جميع رعيَّتِه ما توليتُ أمرَ رجلين من المسلمين ؟ فلما شَرَيْتَ نَفسَك فى طاعة ربك ابتغاءَ رضوانه ، وأصبتَ من الحقِّ فَصَّهُ ، وركبتَ مُرَّهُ ، تَجرَّدَ لك الشيطانُ ، ولم يكن أَحَدٌ أثقلَ عليه وَطْأَةً منك وَمن أصحابك ، فاستمالكَ واستهواكَ واستغواكَ وأغواكَ ، فَغَوَيْتَ ، فأكفرتَ(٢) الذين عَذَرهم اللهُ فى كتابه من قَعَدِ المسلمين وضَعَفَتِهِمْ ، فقال جل ثناؤُهُ ، وقولُهُ الحقُّ ووعْدُهُ الصِّدْقُ : ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعفاءِ ولا عَلَى المَرْضَىٰ ولا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنفِقُونَ حَرَجٌ إذا نَصَحُوا لِلَّهِ ورَسُولِهِ﴾(٣) ثم سَمَّاهم أحسنَ الأسماءِ فقال : ﴿ما عَلَى المُحْسِنِينَ من سَبِيلٍ﴾(٤) ثم اسْتَحْلَلْتَ قتلَ الأطفالِ ، وقد نَهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم ، وقال اللهُ عز ذكره : ﴿ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(٥) وقال فى القَعَدِ خيراً ، وَفَضَّلَ اللهُ مَنْ جاهَدَ عليهم ، ولا يَدْفَعُ مَنْزِلَةُ أكثرِ النَّاسِ عملاً منزلةَ مَنْ هو دُونَه ، أَوَمَا سمعتَ قولَه عز وجل : ﴿لا يَسْتَوِى القَاعِدُونَ من المُؤْمِنِينَ غَيْرُ اولِى الضَّرَرِ﴾(٦) فجعلهم اللهُ من المؤمنين ، وفَضَّلَ عليهم المجاهدينَ بأعمالهم ، ورأيتَ أَلَّا تُؤَدِّىَ الأمانة

---

(١) فى ج و س و د و هـ « أَوَمَا تذكرُ » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « فكَفَّرْتَ » .

(٣) سورة التوبة آية ٩١

(٤) سورة التوبة آية ٩١

(٥) سورة الأنعام آية ١٦٤ وسورة الإسراء آية ١٥ وسورة فاطر آية ١٨ وسورة الزمر آية ٧

(٦) سورة النساء آية ٩٥ وقرأ نافع وابن عامر والكسائى « غير » بنصب الراء ، وباقى السبعة برفعها .

إلى مَنْ خسست ، واللهُ يأمرُ أن تُؤَدَّى الأَمانات إلى أهلها ، فاتَّقِ اللهَ وانظرْ لنفسك ، واتَّقِ يوماً ﴿لا يَجْزِى والدٌ عن وَلَدِه ولا مَوْلُودٌ هو جَازٍ عن وَالِدِهِ شَيْئاً﴾(١) فإن الله عزَّ ذكرُه بالمِرْصَاد ، وحُكْمُهُ العَدْلُ ، وقوله الفصلُ ، والسلامُ .

☆

فكتبَ إليهِ نافعٌ :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ ، فقد أَتانى كتابُكَ تعِظُني فيه وتُذَكِّرُني ، وتَنْصَحُ لى وتَزْجُرُنِي ، وتَصِفُ ما كنتُ عليه من الحقِّ ، وما كنتُ أُوثِرُه من الصواب ، وأنا أَسْئَلُ اللهَ جلَّ وعزَّ أن يجعلنى من الذين يستمعون القولَ فيتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، وعِبْتَ علىَّ ما دِنْتُ بهِ من إِكفارِ القَعَدِ وقتْلِ الأَطفالِ واستحلال الأمانةِ ، فسأُفسِّرُ لك لِمَ ذلك إن شاء الله : أمَّا هؤلاءِ القَعَدُ فليسوا كمَنْ ذَكَرْتَ ممن كان بعَهْدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم كانوا بمكَّة مَقْهُورِينَ محصورين ، لا يَجِدُون إلى الهَرَبِ سبيلاً ، ولا إلى الاتِّصال بالمسلمين طريقاً ، وهؤلاء قد فَقِهُوا فى الدِّين ، وقَرَؤُا القرآنَ ، والطريقُ لهم نَهْجٌ واضحٌ ، وقد عرفتَ ما قال اللهُ عز وجل فيمن كان مِثْلَهم ، إذ قالوا : ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فى الأَرْضِ﴾(٢) فقيلَ لهم :

(١) سورة لقمان آية ٣٣ والتلاوة « واخشوا يوما لايجزى » .

(٢) سورة النساء آية ٩٧

﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾[١] وقال: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾[٢] وقال: ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾[٣] فَخَبَّرَ بتعذيرهم، وأنهم كَذَبُوا اللَّهَ ورسولَهُ، وقال: ﴿ سَيُصِيبُ الذين كَفَرُوا منهم عذابٌ أَلِيمٌ ﴾[٤] فانظُرْ إلى أسمائهم وسِمَاتِهِمْ، وأمّا أَمْرُ الأَطفالِ فإنَّ نبيَّ اللهِ نوحاً عليه السلامُ كان أعلمَ باللهِ ـ يا نَجْدَةُ ـ مِنِّي ومنكَ، فقال: ﴿ رَبِّ لا تَذَرْ على الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً، إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عبادكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً ﴾[٥] فسمَّاهم بالكُفْرِ وهم أطفالٌ، وقبلَ أَنْ يُولَدُوا، فكيفَ كان ذلك فى قوم نوحٍ ولا نكونُ نقولُه فى قومِنا؟! واللهُ يقولُ: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خيرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ، أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فى الزُّبُرِ ﴾[٦] وهؤلاء كمُشْرِكِي العربِ، لا نَقْبَلُ منهم جزيةً،[٧] وليس بيننا وبينهم إلاَّ السيفُ أو الاسلامُ. وأما استحلالُ أماناتِ مَنْ خالفَنَا فإنَّ اللهَ عز وجل أَحَلَّ لنا أموالَهم، كما أحلَّ لنا دِماءَهم، فدماؤُهم حلالٌ طِلْقٌ،[٨] وأموالُهم فَيْءٌ للمسلمين، فاتَّقِ اللهَ

(١) سورة النساء آية ٩٧

(٢) سورة التوبة آية ٨١

(٣) سورة التوبة آية ٩٠

(٤) سورة التوبة آية ٩٠

(٥) سورة نوح آية ٢٦ و٢٧

(٦) سورة القمر آية ٤٣

(٧) فى س و د «لا تُقْبَلُ منهم جزيةٌ».

(٨) «الطلق» بكسر الطاء وسكون اللام: الحلال. فهو توكيد، يراد به أنه حلال طيب.

وراجِعْ نفسك ، فإنه لا عُذْرَ لك إلَّا بالتوبة ، ولن يَسَعَكَ خِذْلانُنَا ، والقعودُ عنَّا ، وتَرْكُ مَا نَهَجْنَاه لك(١) من طريقَتِنا ومَقالَتِنا ، والسلامُ على مَنْ أَقَرَّ بالحقِّ وعَمِلَ به .

⁂

وكَتَبَ نافعٌ إلى عبد الله بن الزُّبير يدعوه إلى أمره :

أمَّا بعدُ ، فإنى أُحَذِّرُكَ مِن اللهِ ﴿ يومَ تَجِدُ كلُّ نفسٍ مَّا عَمِلَتْ مِن خَيْرٍ مُحْضَراً ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ(٢) ﴾ فاتَّقِ اللهَ رَبَّكَ ، ولا تَتَوَلَّ الظالمين ، فإن الله يقولُ : ﴿ لاَ يَتَّخِذِ المؤمنونَ الكافرينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المؤمنِينَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ(٣) ﴾ وقد حَضَرْتَ عثمانَ يوم قُتِلَ ، فلَعَمْرِى لئِنْ كان قُتِلَ مظلومًا لقد كَفَرَ قاتِلوه وخاذِلوه ، ولئن كان قاتِلوه مُهْتَدِينَ ـ وإنهم لمُهْتَدُونَ ـ لقد كَفَرَ مَنْ يتولَّاه وينصرُه ويَعْضُدُهُ ، ولقد علمتَ أن أباكَ وطلحةَ وعليًّا كانوا أشدَّ النَّاسِ عليه ، وكانوا فى أمره مِنْ بَيْنِ قاتلٍ وخاذلٍ ، وأنت تتولَّى أباكَ وطلحةَ وعثمانَ ، وكيف(٤) وَلَايَةُ قاتلٍ مُتَعَمِّدٍ

---

(١) هنا بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : النَّهْجُ : الطريقُ الواضحُ ، والجمعُ نُهُوجٌ ، وهو المَنْهَجُ ، والجمعُ مَنَاهِجُ » .

(٢) سورة آل عمران آية ٣٠

(٣) سورة آل عمران آية ٢٨

(٤) فى ج و س و د و هـ « فكيف » .

ومقتولٍ فى دينٍ واحدٍ ؟! ولقد مَلَكَ علىٌّ بعده فنفى السُّبُلَ ، وأقام الحدودَ ، وأَجْرى الأحكامَ مجاريهَا ، وأعطى الأمورَ حقائقها ، فيما عليه وله ، فبايعه أبوك وطلحةُ ، ثُمَّ خلعاهُ ظالمَيْنِ له ، وإنَّ القولَ فيك وفيهما لَكما قال ابنُ عباس : إنْ يكنْ علىٌّ فى وقتِ معصيتِكم ومُحارَبتِكم له كان مؤمنا أَمَا لقد كفرتم بقتالِ المؤمنين[١] وأئمةِ العدلِ ، ولئن كان كافراً كما زعمتم وفى الحُكْمِ جائراً لقد بُؤْتُمْ بغضبٍ من الله لفِرارِكم من الزَّحْفِ ، ولقد كنتَ له عدوًّا ، ولِسيرته عائباً ، فكيف تولَّيْتَهُ بعدَ موتِه ؟! فاتَّقِ اللّٰهَ فإنه يقولُ : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ[٢] ﴾ .

⁂

وكتب نافعٌ إلى مَنْ بالبَصْرة من المُحَكِّمةِ :

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعدُ ، فإن الله اصطَفَى لكُمُ الدينَ فلا تموتُنَّ إلاَّ وأنتم مسلمونَ[٣] ، واللهِ إنكم لتعلمونَ أن الشريعةَ واحدةٌ ، والدينَ واحدٌ ، ففيم المُقَامُ بين أظهُرِ الكفّارِ ، تَرَوْنَ الظلم ليلاً ونهاراً ، وقد نَدَبكم الله إلى الجهادِ فقال : ﴿ وقَاتِلُوا المشركينَ كافّةً[٤] ﴾ ولم يجعل لكم فى التَّخلُّفِ عذراً

(١) ج و س و د و هـ « لقتال المؤمنين » .
(٢) سورة المائدة آية ٥١
(٣) فى سورة البقرة آية ١٣٢ « وَوَصَّى بِهَا إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » .
(٤) سورة التوبة آية ٣٦ وفى ج و د و هـ « قاتلوا » بدون ذكر واو العطف .

فى حالٍ من الحالِ[١] ، فقال : ﴿ انفِرُوا خِفافًا وثِقالًا[٢] ﴾ . وإنما عَذَرَ الضُّعفاءَ والمَرْضَى والذينَ لا يَجِدون ما يُنفقونَ ومَنْ كانت إقامتُه لعِلَّةٍ ، ثم فضَّل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال : ﴿ لا يَسْتَوِى القاعِدُونَ مِنَ المؤمنينَ غَيْرُ[٣] أُولِى الضَّرَرِ والمجاهِدُونَ فِى سبيلِ اللهِ[٤] ﴾ . فلا تغترُّوا ولا تطمئنُّوا إلى الدنيا ، فإنها غرَّارةٌ مكَّارةٌ ، لذَّتُها نافِدَةٌ ، ونِعْمَتُها بائدةٌ ، حُفَّتْ بالشَّهواتِ اغترارًا ، وأظْهَرَتْ حَبْرَةً[٥] ، وأضمرتْ عَبْرَةً ، فليس آكِلٌ منها أُكْلةً تسرُّه ، ولا شاربٌ شُرْبةً تُؤْنِقُه[٦] — : إلَّا دَنَا بها درجةً إلى أجلِه ، وتَبَاعَدَ بها مسافةً من أَمَلِهِ ، وإنما جعلها اللهُ دارًا لمن تَزَوَّدَ منها إلى النعيم المقيم ، والعيشِ السليمِ ، فلن يَرْضَى بها حازمٌ دارًا[٧] ، ولا حليمٌ بها قرارًا ، فاتقوا الله ﴿ وَتَزَوَّدُوا فإنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى[٨] ﴾ والسلامُ على من اتَّبع الهدَى .

فورَدَ كتابُه عليهم ، وفى القوم يومئذٍ أبو بَيْهَسٍ هيْصَمُ بن جابرٍ الضُّبَعِيُّ ، وعبدُ الله بن إباضٍ المُرِّىُّ ، من بنى مُرَّةَ بن عُبَيدٍ ، فأقبلَ أبو بَيْهَسٍ

---

(١) فى س « من الأحول » .
(٢) سورة التوبة آية ٤١
(٣) قرأ نافع وابن عامر والكسائى « غير » بنصب الراء ، وباقى السبعة برفعها . وضبطت فى أصول الكتاب هنا بالإعرابين . —
(٤) سورة النساء آية ٩٥
(٥) « حبرة » بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة ، وهى النعمة وسعة العيش . وفى بعض النسخ المطبوعة بمصر « حيرة » بالتحتية ، وهو تصحيف .
(٦) « تؤنقه » أى تعجبه .
(٧) فى ج « أجار » .
(٨) سورة البقرة آية ١٩٧

على ابن إباضٍ فقال : إن نافعا غَلَا فَكَفَرَ ، وإنك قَصَّرْتَ فكفرتَ ! تزعُمُ أَنَّ مَن خالفَنا ليس بمشركٍ ، وإنما هم كُفَّارُ النِّعَمِ ؛ لتمسُّكِهم بالكتاب ، وإقرارِهم بالرَّسولِ ، وتزعُمُ أنَّ مَنَاكِحَهُمْ ومَوارِيثَهم[1] والإقامةَ فيهم حِلٌّ طِلْقٌ[2] ؟ وأنا أقولُ : إن أعداءَنا كأعداءِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تَحِلُّ لنا الإقامةُ فيهم ، كما فَعَل المسلمون فى إقامتهم بمكة ، وأحكامُ المشركين تجْرِى فيها[3] ، وأَزْعُمُ أنَّ مَنَاكِحَهم ومَوارِيثَهم تجوزُ لأنهم منافقونَ يُظهِرون الإسلامَ ، وأنّ حكمَهم عندَ الله حكمُ المشركين !!

⁂

فصاروا فى هذا الوقتِ على ثلاثة أقاويلَ : قولِ نافعٍ فى البَرَاءةِ والاستعراضِ واستحلالِ الأمانةِ وقتلِ الأطفالِ . وقولِ أبى بَيْهَسٍ الذى ذكرناه . وقولِ عبد الله بن إباضٍ . وهو أقربُ الأقاويلِ إلى السُّنَّةِ من أقاويلِ الضُّلَّالِ . والصُّفْرِيَّةُ والنَّجْدِيَّةُ فى ذلك الوقتِ يقولون بقولِ ابن إباضٍ . وقد قال ابنُ إباضٍ ما ذكرنا من مقالتِه .

وأنا أقول[4] : أَنَّ[5] عَدُوَّنا كعدوِّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنِّى لا أُحرِّمُ مناكحتَهم ومَوَارِيثَهم ، لأن معهم التوحيدَ والإقرارَ

---

(١) فى س و هـ « مُنَاكَحتَهم ومُوَارثتَهم » .

(٢) « طلق » بكسر الطاء وسكون اللام ، أى : حلال .

(٣) فى ج و هـ « تجرى فيهم » .

(٤) الذى يقول هذا أبو العباس المبرد رحمه الله .

(٥) « إن » بكسر الهمزة فى ج و ا وبفتحها فى باقى النسخ ، والفتح أرجح أو أصح .

بالكتاب والرسولِ عليه السلام ، فأرى معهم دعوةَ المسلمين تجمعُهم ، وأراهُمْ كفّارًا للنِّعَمِ . وقالتِ الصُّفْرِيَّةُ أَلْيَنَ من هذا القول فى أمْرِ القَعَدِ ، حتى صار عامّتُهُمْ قَعَدًا . واختلفُوا فيهم ، وقد ذكرنا ذلك . فقال قوم : سُمُّوا « صُفْرِيَّةً » لأنهم أصحابُ ابن صَفّارٍ ، وقال قومٌ : إنما سُمُّوا بِصُفْرَةٍ عَلَتْهُمْ ، وتصديقُ ذلك قولُ ابنِ عاصمٍ اللَّيثيِّ ، وكان يرى رأىَ الخوارجِ ، فتركه وصار مُرْجِئًا :

فارقتُ نَجْدَةَ والذين تَزَرَّقُوا ... وَابْنَ الزُّبَيْرِ وَشِيعَةَ الكَذّابِ[1]

وَالصُّفْرَ الَاذَانِ الذين تَخَيَّرُوا ... دِينًا بلا ثِقَةٍ ولا بكتابِ

خَفَّفَ الهمزةَ من « الآذانِ » ولولا ذلك لانكسرَ الشِّعْرُ .

وقالَ أبو بَيْهَسٍ : الدارُ دارُ كفرٍ ، والاستعراضُ فيها جائزٌ ، وإن أُصِيبَ من الأطفال فلا حَرَجٌ . إلى هٰهنا انتهتِ المقالةُ .

☆

وتفرّقتِ الخوارجُ على الأَضْرُبِ الأربعةِ التى ذكرنا ، وأقام نافعٌ بالأهواز يعترضُ الناسَ ويقتُلُ الأطفالَ ، فإذا أُجِيبَ إلى المقالةِ جبا الخراجَ ، وفَشَا عُمّالُهُ فى السَّوادِ ، فارتاعَ لذلك أهلُ البصرة ، فاجتمعوا إلى الأَحْنَفِ بن قَيْسٍ ، فشكَوْا ذلك إليه ، وقالوا : ليس بيننا و بينَ العدوّ إلّا ليلتانِ ، وسيرتُهُمْ ما ترى ، فقال الأحنفُ : إنّ فعلَهم فى مصرِكم - إن ظَفِرُوا به[2] -

(١) بحاشية ﻫ « يعنى المختار » . وهو المختار بن أبى عبيد الثقفى .

(٢) فى ج و د و ﻫ « إن ظفروا بكم » .

كَفَلْتِهِمْ فى سَوادِكم ، فَجِدُّوا فى جهادِ عدوِّكم ، فاجتمع إ[illegible] الافِ [رجل(١)] ، فأتَى عبدَ اللهِ بنَ الحَرْثِ بن نَوفَلِ بن الحرْثِ بن عبد المُطَّلِبِ ، وهو بَبَّةُ(٢) ، فسألَه أن يُؤَمِّرَ عليهم ، فاختارلهم ابنَ عُبَيْسٍ(٣) بن كُرَيْزٍ ، وكان دَيِّنًا شجاعًا ، فأمَّره عليهم وشَيَّعهُ ، فلما نَفَذَ من جِسْرِ البصرةِ أقبلَ على الناس فقال : إنى ما خرجتُ لامْتِيارِ(٤) ، ذَهَبٍ ولا فضةٍ ، وإنى لأحاربُ قومًا إن ظفرتُ بهم فما وراءهم إلَّا سيوفُهم ورماحُهم ، فمن كان شأنُه الجهادَ فَلْيَنْهَضْ ، ومَنْ أَحَبَّ الحياةَ فليرجِعْ ، فرجَع نَفَرٌ يسيرٌ ، ومضى الباقون معه(٥) . فلما صاروا بدُولابَ(٦) خرج إليهم نافعٌ . فاقتتلوا قتالًا شديدًا ، حتى

---

(١) الزيادة من س .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ شاذانَ : البَبَّةُ : كَثْرَةُ اللحمِ وتراكبُه . وبه لُقِّبَ عبد الله بن الحرْثِ بن نوفلٍ بَبَّةَ ، لكثرة لحمه فى صغره ، وله تقول أُمُّه هِنْدٌ بنتُ أبى سفيانَ ، وهى تُنَقِّزُه :

لأُنْكِحَنَّ بَبَّهْ جاريةً كالقُبَّهْ
مُكْرَمَةً مُحَبَّهْ تَجُبُّ أهلَ الكَعْبَهْ

تَجُبُّهم : تغلبُهم ، أى : تَغلبُ نساءَ قريش بحُسْنها ، يقال : جَبَّتْ فلانةُ النساءَ تَجُبُّهُنَّ جَبًّا : إذا غلبتْهنَّ » . ومعنى « تُنَقِّزُه » تُوثِّبُه ، كأنها تُرَقِّصُه .

(٣) قال المرصفى إن اسمه « مسلم بن عبيس » .

(٤) « امتيار » بالراء ، من الميرة ، وهى جلب الطعام . وفى بعض طبعات مصر بنقط الراء ، وهو تصحيف .

(٥) فى س و د « ومضى الناس معه » .

(٦) ضبطت فى كل أصول الكامل بضم الدال . وضبطها ياقوت بالفتح ، وقال : « وأكثر المحدثين يروونه بالضم ، وقد روى بالفتح » . وقال السمعانى فى الأنساب : « والصحيح فتح الدال ولكن الناس يضمونها » . ودولاب هذه قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ .

تكسَّرت الرماح، وعُقِرَتِ الخيلُ ، وكَثُرَتِ الجِراحُ[١] ، والقتلُ[٢] ، وتضاربوا بالسيوف والعَمَدِ ، فقُتِلَ فى المَعْرَكة ابنُ عُبَيْسٍ ونافعُ بنُ الأزرق ، وكان ابْنُ عُبيْسٍ [قد[٣]] تقدَّمَ إلى أصحابه فقال : إِنْ أُصِبْتُ فأميرُكُم الرَّبِيعُ بن عمرٍو الأَجْذَمُ الغُدَانىُّ ، فلما أُصِيبَ ابْنُ عُبَيْسٍ أَخذَ الربيعُ الرايةَ ، وكان نافعٌ قد استخلفَ عُبَيْدَ الله بن بَشِيرِ بن المَاحُوزِ السَّلِيطِىَّ ، فكان الرئيسانِ من بنى يربوع : رئيسُ المسلمين من بنى غُدَانَةَ بن يربوعٍ ، ورئيسُ الخوارج من بنى سَلِيطِ بن يربوعٍ ، فاقتتلوا قتالاً شديدًا ، وادَّعى قتلَ نافعٍ سَلاَمَةُ الباهلىُّ ، وقال : لَمَّا قَتَلْتُهُ وكنتُ على بِرْذَوْنٍ وَرْدٍ[٤] إذا بِرَجُلٍ على فرسٍ وأنا واقفٌ فى خُمُسِ قَيْسٍ يُنَادِى : يا صاحبَ الوَرْدِ ! هَلُمَّ إلى المبارزة ، فوقفتُ فى خُمُسِ بنى تميمٍ فاذا به[٥] يَعْرِضُها علىَّ ، وجعلتُ أَتنقَّلُ[٦] من خُمُسٍ إلى خُمُسٍ ، وليس يُزَايِلُنِى ، فَصِرْتُ إِلَى رَحْلِى ، ثُمَّ رَجَعْتُ فرآنى فدعانى إلى المبارزةِ ، فلما أَكْثَرَ خَرَجْتُ إِلَيْهِ فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ ، فضربتُه فصرعته ، فَنَزَلْتُ لِسَلَبِهِ وَأَخْذِ رَأْسِهِ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ قد رَأَتْنِى حين قتلتُ نَافِعًا ، فخرجتْ لِتَثْأَرَ بِهِ ، فلم يَزَلِ الرَّبِيعُ الأَجْذَمُ يقاتلهم نَيِّفًا وعشرين يَوْمًا[٧] ، حتى قالَ يَوْمًا : أنا مَقْتُولٌ لامَحَالَةَ ، قَالُوا :

---

(١) فى ج « الجراحات » .
(٢) فى س و ﻫ « والقتلى » .
(٣) الزيادة من ج و س و د و ﻫ .
(٤) الفرس الورد : ما كان بين الكميت والأشقر . قال ابن سيده : « الورد لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة فى كل شىء »
(٥) د و ﻫ « فإذا هو » .
(٦) فى ج و س و د و ﻫ و ف « أنتقل » .
(٧) فى ج و ف « ليلة » .

وكيف ؟ قالَ : لِأَنى رَأَيْتُ(١) البارحةَ كَأَنَّ يَدِى التى أُصِيبَتْ بِكابُلَ انحطَّتْ من السماءِ فَاسْتَشْلَتْنِى ، فلما كان الغدُ قاتَلَ إلى الليل ، ثم غاداهُمْ فَقُتِلَ ، فتدافعَ أهلُ البصرة الرايةَ حتى خافوا العَطَبَ ، إِذْ لم يكن لهم رئيسٌ ، ثم أَجمعوا على الحَجَّاج بن بابٍ الحِمْيَرِىِّ ، فأباها ، فقيل له : أَلا تَرَى أن رؤساءَ العرب بالحَضْرة ، وقد اختاروك من بينهم ؟! فقال : مَشْؤُومَةٌ ، ما يأخذُها أحدٌ إلا قتِلَ ، ثم أَخذها ، فلم يزل يقاتلُ الخوارجَ بدُولابَ(٢) ، والخوارجُ أعدُّ بالآلاتِ والدُّروع والجَواشِنِ(٣) ، فالْتَقَى الحجاجُ بن بابٍ وعِمْرانُ بن الحُرثِ الرَّاسِبيُّ ، وذلك بعد أن اقتتلوا زُهاءَ شهرٍ ، فاختلفا ضربتين ، فسقطا ميتين ، فقالت أمُّ عِمرانَ ترثيه :

اَللّٰهُ أَيَّدَ عِمْرَانًا وطَهَّرَهُ ... وكان عِمرانُ يدعُو اللهَ فى السَّحَرِ
يَدعوه سِرًّا وإعْلانًا لِيَرْزُقَهُ ... شَهادةً بيدَىْ مِلْحادةٍ غُـــدُرِ(٤)
وَلَّى صِحابتُهُ عن حَرِّ مَلْحَمَةٍ ... وشَدَّ عمرانُ كالضِّرْغامةِ الهَصِرِ

قولُ الرَّبيع « اُسْتَشْلَتْنِى » أى(٥) : أخذَتْنى إليها واستنقذتنى . يقال « اُسْتَشْلاهُ واشْتَلاه » وفى الحديث « أَنَّ السارقَ إذا قُطِعَ سبقتْهُ يدُه إلى

---

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « إنى رأيت » .
(٢) الراجح فتح الدال ، كما قلنا فيما مضى (ص ١٠٤٢) .
(٣) أعدّ : أقوى عدة . والجواشن : جمع جوشن ، وهو الدرع .
(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : أَلْحَدَ الرجلُ إلْحاداً : إذا مالَ ، فهو مُلْحِدٌ : إذا ما مَالَ عَنِ القَصْدِ » .
(٥) فى ج و س و د و هـ و ف « يريد » بدل « أى » .

النار ، فإن تاب اسْتَشْلاَهَا[١] » . [و[٢]] قال رُؤْبَةُ :

* إِنَّ سليمانَ اشْتَلاَنَا ابنَ عَلِي[٣] * وقولُ الناسِ « أَشْلَيْتُ كَلْبِي » أي أغريتُهُ بالصيد ، خَطَأٌ ، إنما يقال « آسَدتُه » . و « أَشْلَيْتُهُ » دعوتُهُ .

وقولُها « بيَدَىْ مِلْحَادَةٍ » « مِفْعَالٌ » من الإِلْحادِ ، كما تقول : رجل مِعطاءٌ يافتى ، ومِحْسانٌ ، ومِكْرامٌ ، وأُدْخِلَتِ الهاءَ للمبالغة ، كما تُدْخَلُ[٤] في رَاوِيةٍ وعَلاَّمَةٍ ونَسَّابةٍ .

« وغُدَرُ » « فُعَلٌ » من الغَدْرِ ، ولِفُعَلٍ بابٌ نذكره في عقبِ هذه القصة ، إذا فرغنا من خبرِ هذه الوقعةِ .

و « الضِّرْغامَةُ » من أسماءِ الأسدِ .

و « الَهصِرُ » الذى يَهْصِرُ كُلَّ شيءٍ ، أي يَثْنِيهِ ، قال امرؤُ القيسِ :

فلمَّا تنازَعْنَا الحديثَ وأَسْمَحَتْ   هَصَرْتُ بغُصْنٍ ذى شَمارِيخَ مَيَّالِ

⁂

ولذِكرِنَا الصُّفْرِيةَ والأَزارقةَ والبَيْهَسِيَّةَ والإباضِيَّةَ تفسيرٌ ، لِمَ نُسِبَ إلى ابن الأزرق بالأزارقة ، وإلى أبي بَيْهَسٍ بالكُنْيةِ المضافِ إليها ، ونُسِبَ إلى صُفْرٍ[٥] ولم يُنْسَبْ إلى واحِدِهم ، ونُسِبَ إلى ابن إباضٍ فَجُعِلَ النسبُ

---

(١) قال في اللسان : « أي استنقذها واستخرجها ، ومعنى سبقها أنه بالسرقة استوجب النار ، فكانت من جملة ما يدخل النار ، فإذا قطعت سبقته إليها ، لأنها قد فارقته ، فإذا تاب استنقذ بنيته حتى يده » .

(٢) الزيادة من ج و ف .

(٣) البيت في اللسان (ج ١٩ ص ١٧٣) غير منسوب .

(٤) في ج و ف « كما تقول » .

(٥) في ج و د و هـ و ف « إلى الصُّفْر » .

إلى أبيه ؟ وهذا نذكره بعد باب « فُعَلٍ » [إن شاء الله[١]] .

☆

[قال أبو العباس[١]] : ومما قيلَ من الشعر فى يوم دُولابَ قولُ قَطَرِىّ :

لَعَمْرُكَ إنّى فى الحياةِ لَزَاهِدٌ … وفى العَيْشِ ما لم أَلْقَ أُمَّ حَكِيمِ
مِن الخَفِراتِ البِيضِ لم يُرَ مِثْلُها … شِفاءٌ لِذِى بَثٍّ ولا لِسَقِيمِ
لَعَمْرُكَ إنى يومَ أَلْطِمُ وَجْهَها … على نائباتِ الدَّهرِ جِدُّ لَئِيمِ
ولو شَهِدَتْنِى يومَ دُولابَ أبصرَتْ … طِعانَ فَتًى فى الحربِ غيرَ ذَمِيمِ[٢]
غداةَ طفَتْ عَلْماءِ بَكْرُ بنُ وائِلٍ … وعُجْنا صُدورَ الخيلِ نحوَ تَمِيمِ
وكان لِعَبْدِ القَيْسِ أولُ جَدِّها[٣] … وأَحْلافِها مِن يَحْصَبٍ وسَلِيمِ[٤]
وظَلَّتْ شُيوخُ الأَزْدِ فى حَوْمةِ الوَغَى … تَعُومُ وظَلْنا فى الجِلادِ نَعُومُ[٥]
فلم أَرَ يومًا كان أكثرَ مُقْعَصًا … يَمُجُّ دمًا مِن فائِظٍ وكَلِيمِ[٦]
وضارِبَةٍ خَدًّا كريمًا على فَتًى … أغرَّ نَجِيبِ الأُمَّهاتِ كَرِيمِ

---

(١) الزيادة فى الموضعين من س .

(٢) « دولاب » ضبطت أيضاً فى كل أصول الكامل بضم الدال ، ولكن البيت ذكره السمعانى فى الأنساب (فى الورقة ٢٢٣) من رواية الأصمعى شاهداً لفتح الدال ، وهو الصحيح ، كما بينا آنفا .

(٣) فى ج و د و ف « بعبد القيس » .

(٤) « يحصب » بتثليث الصاد ، كما ضبط فى الأصول . وهو يحصب بن مالك بن زيد بن الغوث ، من ولد الهميسع بن حمير بن سبأ . و « سليم » يريد به « سليم » بالتصغير ، وكبره للوزن . وهو ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر . قاله المرصفى .

(٥) بالرفع على الإقواء .

(٦) « مقعصاً » أى مطعونا . من قولهم « أقعصه برمحه » إذا طعنه فمات مكانه . و « الفائظ » من قولهم : فاظ الرجل ، أى مات ، وفاظت نفسه أيضاً .

أُصِيبَ بدُولابٍ ولم تكُ مَوْطِنًا ... له أرضُ دُولاَبٍ ودَيْرُ حَمِيمِ[1]

فلو شَهِدَتْنَا يومَ ذاكَ وخَيْلُنَا ... تُبِيحُ من الكُفّارِ كلَّ حَرِيمِ

رأتْ فِتْيَةً باعُوا الإلٰهَ نُفوسَهم ... بجَنَّاتِ عَدْنٍ عندَه ونَعِيمِ

قوله «ولو شَهِدَتْنَا يومَ دُولاَبَ» فلم يَنْصَرِفْ[2] «دُولابُ» فإنما ذاك لأنه أرادَ البَلْدَةَ ، و «دُولابُ» أعجميٌّ مُعْرَبٌ . وكلُّ ما كان من الأسماءِ[3] الأعجميةِ نكرةً بغيرِ الألفِ واللّامِ[4] فإذا دَخَلَتْه الألفُ واللامُ فقد صار مُعَرَّبًا ، وصار على قياسِ الأسماء العربيةِ ، لا يمنعُه من الصرفِ إلَّا ما يمنعُ العربيَّ ، فدولابُ «فُوعالٌ» مثلُ طُومارٍ وسُولافٍ . وكلُّ شيءٍ لا يَخُصُّ واحداً من الجنس من غيرِه فهو نكرةٌ ، نحوُ رجلٍ ، لأن هذا الاسم يَلْحَقُ كلَّ ما كان على بِنْيَتِهِ ، وكذلك حَمَلٌ[5] وجَبَلٌ وما أشبه ذلك . فإن وقع الاسمُ فى كلام العجمِ معرفةً فلا سبيلَ إلى إدخالِ الألف واللام عليه ، لأنه معرفةٌ ، فلا معنى لتعريفٍ آخرَ فيه ، فذلك غيرُ منصرفٍ[6] ، نحو «فِرْعَوْنَ» [و «هَامَانَ[7]»] «وقَارُونَ» وكذلك «إِسْحٰقُ» و «وإِبْرٰهِيمُ» «ويَعْقُوبُ» .

---

(١) «ديرحميم» موضع بالأهواز .

(٢) فى ج و س و د و ه و ف «فَلَمْ يَصْرِفْ» .

(٣) فى طبعات مصر «أسماء» بدون حرف التعريف ، وهو خطأ ومخالف لأصول الكتاب .

(٤) فى ج و د و ه «بغير ألف ولام» .

(٥) بالحاء المهملة . وفى ج و د و ه و ف «جمل» بالجيم .

(٦) فى ف «غير مصروف» .

(٧) الزيادة من س و ف .

وقوله « غَدَاةَ طَفَتْ عَلْمَاءِ بَكْرُ بْنُ وائلٍ » وهو يريد على الماء ، فإن العربَ إذا الْتقتْ فى مثل هذا الموضع لاَمَانِ استجازُوا حذفَ إحداهما استثقالاً للتضعيف ، لأن ما بَقِىَ دليلٌ على ما حُذِفَ ، يقولون « عَلْمَاءِ بَنُو فلانٍ » كما قال الفرزدقُ :

وما سُبِقَ القَيْسِيُّ مِنْ ضُعْفِ حِيلَةٍ ... ولكنْ طفَتْ عَلْمَاءِ قُلْفَةُ خالدِ[١]

وكذلك كلُّ اسمٍ من أسماءِ القبائل تظهرُ فيه لامُ المعرفةِ فإنهم يُجيزون معه حذفَ النونِ التى فى قولك « بَنُو » لِقُرْبِ مَخرَجِ النون من اللاَّمِ ، وذلك قولُك فلانٌ من « بَلْحٰرِثِ » و « بَلْعَنْبَرِ » و « بَلْهُجَيْمِ »

وقال آخرُ من الخوارج :

يَرَى مَنْ جاءَ يَنْظُرُ مِن دُجَيْلٍ ... شُيوخَ الأَزْدِ طافِيَةً لِحَاهَا[٢]

وقال رجلٌ منهم :

شَمِتَ ابنُ بَدْرٍ والحوادثُ جَمَّةٌ ... والحائرُونَ بنافِعِ بن الأَزْرَقِ[٣]

والموتُ حَتْمٌ لا مَحالةَ واقِعٌ ... مَنْ لايُصَبِّحْهُ نَهاراً يَطْرُقِ

فلَئِنْ أميرَ المؤمنينَ أصابَهُ ... رَيْبُ المَنونِ فَمَن يُصِبْهُ يَغْلَقِ[٤]

نَصَبَ بعدَ « إنْ » لأنَّ حرفَ[٥] الجزاء للفعلِ ، فإنما أرادَ : فلَئِنْ أصابَ

---

(١) « القلفة » بضم القاف وسكون اللام ، وبفتحهما معاً : هى جلدة الذكر التى تقطع عند الختان .

(٢) « دجيل » بالتصغير : نهر بالأهواز .

(٣) « والحائرون » بالحاء المهملة . وفى ج و ف ونسخة بحاشية ا « والجائرون » بالجيم ، يعنى الظالمين .

(٤) « يغلق » من قولهم « غلق الرهن : إذا بقى فى يد المرتهن لايقدر راهنه على تخليصه ، يريد أنه لايجد من يخلصه .

(٥) فى ج و د « حروف » .

أميرَ المؤمنين ، فلما حذف هذا الفعلَ وأضمرَ ذَكَرَ « أصابه » ليَدُلَّ عليه ، ومثلُه قولُ النَّمِرِ بن تَوْلَبٍ(١) :

لا تجْزَعِى إنْ مُنْفِسًا أَهْلكتُه ... وإذا هَلَكتُ فعندَ ذلكِ فاجْزَعِى

وقال ذو الرُّمَّة :

إِذا ابنَ أَبِى مُوسَى بِلالاً بَلَغْتِهِ ... فقامَ بفأسٍ بينَ وِصْلَيْكِ جَازِرُ(٢)

لأنَّ « إذَا » لا يليها إلّا الفعلُ ، وهى به أولَى(٣) .

هذا باب « فُعَلٍ »

اِعلم أن كلّ اسمٍ على مثالِ « فُعَلٍ » فهو مصروفٌ فى المعرفة والنكرة، إذا كان اسماً أصليًّا أو نعتاً ، فالأسماءُ نحوُ : صُرَدٍ ونُغَرٍ وجُعَلٍ ، وكذلك إن كان جَمْعاً ، نحو: ظُلَمٍ وغُرَفٍ . وإنْ سَمَّيْتَ بشىءٍ من هذا رجلاً انصرفَ فى المعرفة والنكرةِ . وأما النَّعْتُ فنحوُ رجلٍ حُطَمٍ(٤) ، كما قال :

☆ قد لَفَّهَا اللَّيلُ بسَوَّاقٍ حُطَمْ ☆

---

(١) هكذا ضبط فى أصول الكامل بفتح النون وكسر الميم ، وكذلك فى أكثر الكتب المعتنى بتصحيحها ، أو فيها كلها . وعليه مشى صاحب القاموس ، وحكى أنه يقال فيه أيضاً بسكون الميم مع فتح النون وكسرها . ولكن ضبطه ابن دريد فى الاشتقاق (ص ١١٣) بفتح النون وسكون الميم ، وقال : « قال أبو حاتم : يقال النمر بن تولب بفتح النون وتسكين الميم ، ولا يقال النمِر » . وعندى أن هذا أدق وأوثق .

(٢) « الوصل » بكسر الواو وبضمها واحد « الأوصال » وهى المفاصل .

(٣) فى ج و س و د و هـ و ف « لأن إذَا أن يَلِيهَا الفعلُ أَوْلَى » .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : رجلٌ حُطَمٌ ، فُعَلٌ من الحَطْمِ ، حَطَمْتُ الشىءَ أَحْطِمُهُ حَطْماً : إذا كَسَرْتَه ، وسُمِّيَتْ جَهَنَّمُ حُطَمَةً ، وهى فُعَلَةٌ من الكَسْرِ » .

وكذلك مالٌ لُبَدٌ[١] ، وهو الكثيرُ ، من قوله جلَّ جلالُه : ﴿ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا[٢] ﴾ .

فإن كان الاسمُ على « فُعَل » مَعْدُولاً عن « فَاعِلٍ » لم ينصرفْ إذا كان اسمَ رجلٍ فى المعرفة ، وينصرفُ[٣] فى النكرةِ ، وذلك نحوُ : عُمَرَ وقُثَمَ ، لأنه معدولٌ عن عامرٍ ، وهو الاسمُ الجارى على الفعل ، فهذا ممَّا معرفتُه قبل نكرتِه ، فإذا أُرِيدَ به مَذهبُ المعرفة جاز أن تَبنيَه فى النداءِ من كل فِعْلٍ [فُعَلَ[٤]] ، لأن المنادَى مُشارٌ إليه ، وذلك قولُك : يا فُسَقُ ، ويا خُبَثُ ، تريدُ : يا فاسقُ ويا خبيثُ .

وإنما قالت « بِيَدَىْ مِلْحَادَةٍ غُدَرِ » فى غير النداء للضرورةِ ، فنقلَتْهُ معرفةً من النداءِ ، ثم جعلَتْه نكرةً لخروجه عن الإشارةِ ، فنعتَتْ به « مِلْحَادَةً » كما قال الحُطَيْئةُ :

أُجَوِّلُ ما أُجَوِّلُ ثم آوى ... إلى بيتٍ قَعِيدَتُه لَكَاعِ[٥]

وهذا لا يقعُ إلّا فى النداءِ ، ولكنْ للشاعرِ نقلُه نكرةً ونقلُه معرفةً ، على حدِّ ما كان له فى النداء . فيُلْحَقُ قولُها « غُدَرٌ » بقوله رجلٌ حُطَمٌ ، ومالٌ لُبَدٌ ، وما أشبهه[٦] . و « فَعَالِ » فى المؤنثِ بمنزلة « فُعَلَ » فى المذكَّرِ ،

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقال أَسَدٌ ذو لِبَدٍ : إذا تكاثفَ وَبَرُه على مَنْكِبَيْهِ ، ولُبَدُ اسمُ آخرِ نُسُورِ لُقمانَ بن عادٍ » .

(٢) سورة البلد آية ٦

(٣) فى ج و س و ف « وانصرف » .

(٤) الزيادة من ج و د و هـ و ف .

(٥) فى س و ف « أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفَ » وهو الرواية المشهورة

(٦) فى ج و س و د و هـ و ف « وما أشبه ذلك » .

ولو سميتَ رجلاً « حُطَماً » لصَرَفْتَهُ(١) ، من قولِك : هذا سائِقٌ حُطَمٌ ، لأنه قد وقع نكرةً غيرَ معدولٍ ، فهو فى النعوت بمنزلة « صُرَدٍ » فى الأسماء .

هذا باب النَّسَبِ إلى المُضافِ

اِعلمْ أنك إذا نَسَبْتَ إلى عَلَمٍ مضافٍ(٢) فالوجهُ أن تَنْسُبَ إلى الاُسم الأول ، وذلك قولُك فى عَبْدِ الْقَيْسِ « عَبْدِيٌّ » وكذلك فى عبد الله بن دَارِمٍ . فإن كان الاُسمُ الثانى أشْهَرَ من الأول جاز النَّسَبُ إليه ، لئلا يقَعَ فى النَّسب التباسٌ من اُسمٍ باسمٍ ، وذلك قولُك فى النَّسبِ إلى عَبْدِ مَنافٍ « مَنافِيٌّ » وإلى أبى بَكْرِ بن كلابٍ « بَكْرِيٌّ » . وقد يجوزُ ، وهو قليلٌ ، أن تَبْنِيَ له من الاُسمين اُسماً على مثال الأربعة لِيَنْتَظِمَ النَّسَبُ ، وذلك قولُك فى النسب إلى عبدِ الدار بن قُصَيٍّ « عَبْدَرِيٌّ » وفى النسب إلى عبد القَيْس « عَبقَسِيٌّ » .

فإن كان المضافُ غيرَ عَلَمٍ فالنَّسبُ إلى الثانى على كل حالٍ ، وذلك قولُك فى النسب إلى ابن الزُّبير « زُبَيْرِيٌّ » لأن ابنَ الزبير إنما صارَ معرفةً بالزُّبير ، وكذلك النَّسبُ إلى ابنِ رَأْلانَ « رَأْلانِيٌّ » . فلذلك قالوا فى النَّسبِ إلى ابن الأَزْرَقِ « أزْرَقِيٌّ » وإلى أبى بَيْهَسٍ « بَيْهَسِيٌّ » .

فأما قولُهم « صُفْرِيٌّ » فإنما أرادوا الصُّفْرَ الألوانِ ، فنَسَبُوا إلى الجماعةِ ، وحَقُّ الجماعةِ إذا نُسِبَ إليها أن يقَعَ النسبُ إلى واحِدِها ، كقولك « مُهَلَّبِيٌّ » و « مِسْمَعِيٌّ » ولكن جعلوا « صُفْراً » اُسماً للجماعة ، ثم نسبوا إليه ، ولم

---

(١) فى النسخ المذكورة « ولو سمينا رجلا حطما لصرفناه » .

(٢) فى ج و د و هـ « إلى مضاف علم » .

يقولوا « أَصْفَرِيٌّ » فيُنْسَبُ إلى واحدِهَا ؛ وإنما كان ذلك لأنهم جعلوا[١] الصُّفْرَ اسماً للجماعةِ ، كما تُسَمَّى القَبيلةُ بالاسمِ الواحدِ ، ألاَ تَرَى أن النسب إلى الأَنْصارِ « أَنْصارِيٌّ » لأنه كان عَلماً للقبيلةِ ، وكذلك « مَدَائِنِيٌّ[٢] » . وتقولُ فى النسبِ إلى الأَبْناء من بنى سَعْدٍ[٣] «أَبْناوِيٌّ[٤]» لأنه اسمٌ للجماعة .

فأما قولُهم « الأَزارِقَةُ » فهذا بابٌ من النَّسَبِ آخرُ ، وهو أن يُسَمَّى كلُّ واحدٍ منهم باسمِ الأبِ ، إذا كانوا[٥] إليه يَنْسُبُونَ ، ونظيرُه « المَهالِبَةُ » و « المَسامِعَةُ» و «المَناذِرَةُ» . ويقولون : جاءنى النُّمَيْرُونَ والأَشعَرُونَ ، جَعَلَ كلَّ واحدٍ منهم نُمَيْرًا وأَشْعَرَ ، فهذا يَتَّصِلُ فى القبائل ، على ما ذكرتُ لك.

وقد تُنْسَبُ الجماعةُ إلى الواحدِ على رأيٍ أو دِينٍ ، فيكونُ له مثلُ نَسَبِ الوِلادَةِ ؛ كما قالوا[٦] « أَزْرَقِيٌّ » لمن كان على رأىِ ابنِ الأَزْرَقِ ، كما

---

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « لأنه جعل » .

(٢) نقل المرصفى عن سيبويه قال : « وسألت الخليل عن قولهم مدائنى ، فقال : صار البناء عندهم اسما للبلد ، ومن ثم قالت بنو سعد فى الأبناء أبناوى ، كأنهم جعلوه اسم الحى ، والحى كالبلد، وهو واحد يقع على الجميع » .

(٣) نقل المرصفى عن ياقوت فى المقتضب : « أن سعد بن زيد مناة بن تميم ولد كعبا وعمراً والحرث وعُوافة وجُشم وعبشمس ومالكا وعوفا ، ويقال لهم جميعاً الأبناء غير كعب وعمرو» .

(٤) فى اللسان : « ويقال لأولاد فارس الأبناء وهم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذى يزن لما جاء يستنجدهم على الحبشة ، فنصروه وملكوا اليمن وتديروها وتزوجوا فى العرب ، فقيل لأولادهم الأبناء ، وغلب عليهم هذا الاسم لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم » . وحكى فى اللسان خلافا فى النسب إلى هؤلاء الأبناء ، فبعضهم يقول « أبناوى» أيضاً ، وبعضهم يقول « بنوى » يردونه إلى الواحد .

(٥) فى ا « إذ كانوا » وما هنا صواب أيضاً ، فقد تكون « إذا » متجردة للظرفية المحضة غير متضمنة معنى الشرط . وقد جاءت كذلك فى كلام الشافعى ، وهو حجة . انظر الرسالة بشرحنا فى الفقرة رقم ١١١٥

(٦) فى ج و س و د و هـ و ف « كما قلت » .

تقول تَميميٌّ وقيسيٌّ لمن وَلَده تَميمٌ وقَيسٌ ، ومن قرأ ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ ﴾(١) فإنما يريدُ إلْياسَ عليه السلامُ ومَنْ كان على دينه ، كما قال :

☆ قَدْنِيَ من نَصْرِ الخُبَيْبَيْنَ قَدِ ☆

يريدُ أَبَا خُبَيْبٍ ومن معه .

وقد يجتمعُ الرجل مع الرجل فى التثنية إذا كان مَجازُهما واحداً فى أكثر الأمر على لفظ أحدِهما ، فمن ذلك قولهم « العُمَرانِ » لأبى بكرٍ وعمرَ رضى الله عنهما ، ومن ذلك قولهم « الخُبَيْبانِ » لعبد الله ومُصْعَبٍ ، وقد مضى تفسيرُه .

هذا القولُ فى الخوارج

قال : والأزارقةُ لاتُكَفِّرُ أحداً من أهل مَقالتِها فى دار الهِجْرَةِ إلّا القاتِلَ رجلاً مسلماً ، فإنهم يقولون : المسلمُ حجةُ الله ، والقاتِلُ قَصَدَ لِقَطْعِ الحجةِ .

ويُرْوَى أن نافعاً مَرَّ بمالكِ بنِ مِسْمَعٍ فى الحرب التى كانت بين الأَزْد وربيعةَ وبنى تَميمٍ ، ونافعٌ مُتَقَلِّدٌ سيفاً ، فقام إليه مالكٌ فضربَ بيدِه إلى حِمَالة سيفِه وقال : ألاَ تَنصرُنا فى حربنا هذه ؟! فقال : لايَحِلُّ لِى ، قال : فما بالُ مُؤْمِنِى بنى تميمٍ يَنصرون كُفّارَهم(٢) فى هذه الحرب ؟! فأَمْسكَ عنه ،

(١) سورة الصافات آية ١٣٠ وقد قرئ بوجهين : « آل ياسين » بمد الهمزة المفتوحة وكسر اللام ، فأضافوا « آل » إلى « ياسين » وهى قراءة نافع وأبى عامر ويعقوب . وقرأ باقى الأربعة عشر « إلياسين » جمع « إلياس » باعتبار أصحابه ، كما وجهه المبرد وغيره . وانظر كتاب القراءات الأربعة عشر (ص ٣٧٠ — ٣٧١) وإعراب القرآن للعكبرى (٢ : ١١١) .

(٢) فى ج و د و هـ و ف « كفاركم » .

وخَرج بعدَ ذلك بأيامٍ إلى الأهوازِ، فلمَّا قُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِمَّنْ بخَازَرَ[1] من الخوارج في أيامِ ابنِ المَاحُوزِ كَرِهَ بَبَّةُ القتالَ ، وأقام حارثةُ بن بَدْرٍ الغُدَانِيُّ بإزاء الخوارِج ، يناوِشُهم على غيرِ وِلايةٍ ، وكان يقولُ : ماعُذْرُنا عندَ إخواننا من أهل البصرة إنْ وَصَلَ إليهم الخوارجُ[2] ونحن دونَهم ؟ فكتب أهلُ البصرة إلى ابن الزُّبير يُخْبِرونه بقُعُودِ بَبَّةَ ، ويسألُونَه أن يُوَلِّيَ والياً ، فكتبَ إلى أنَسِ بن مالكٍ أن يُصلِّيَ بالناسِ ، فصلَّى بهم أربعين يومًا ، وكَتَبَ إلى عُمَرَ بن عُبَيْدِ الله بن معمَرٍ فولَّاه البصرةَ ، فلقيَه الكتابُ وهو يريد الحجَّ ، وهو في بعضِ الطريقِ ، فرجَعَ فأقام بالبصرة ، ووَلَّى أخاه عثمانَ محاربةَ الأَزارقَةِ ، فخرج إليهم في اثنى عشَرَ ألفاً ، ولقيه حارثةُ فيمن كان معه ، وعبيدُ الله بن المَاحُوزِ في الخَوارِج بِسُوقِ الأَهْوازِ، فلمَّا عبَرُوا إليهم دُجَيْلاً نهضَ إليهم الخوارجُ ، وذلك قُبَيْلَ الظُّهْرِ[3] ، فقال عثمانُ بن عُبيد الله لحارثةَ بن بَدْرٍ : أمَا الخوارجُ إلاَّ ماأَرى ؟ فقال له حارثةُ [بنُ بدرٍ[4]] : حَسْبُكَ بهؤلاءِ ، فقال : لاجَرَمَ واللهِ لا أتغدَّى حتى أُناجِزَهُمْ ! فقال له حارثةُ [بنُ بدرٍ[4]] : إنَّ هؤلاءِ لايُقاتَلُونَ بالتَّعسُّفِ ، فأَبْقِ على نفسِكَ وجُنْدِكَ ، فقال : أَبَيْتُمْ [يا[4]] أهلَ العراقِ إلاَّ جُبْناً ! وأنتَ ياحارثةُ ! ماعِلْمكَ بالحربِ ؟ أنتَ واللهِ بغيرِ هذا أَعْلَمُ ! يُعرِّضُ له بالشرابِ ! فغضِب حارثةُ

(١) « خازر » بالخاء المعجمة وبعد الألف زاء ثم راء ، وهو نهر بين إربل والموصل. وقد ضبطت الزاء في أصول الكتاب بالكسر والفتح معاً . واقتصر صاحب القاموس على الكسر ، وكذلك ياقوت في البلدان ثم قال : « وقد حكى عن الأزهري أنه رواه بفتح الزاى ، ولم أجده أما كذلك بخطه » .

(٢) في ج و س و د و هـ و ف « إن وصل الخوارج إليهم » .

(٣) في ج و ف « قبل الظهر » .

(٤) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

فاعتزلَ ، وحاربَهم[١] عثمانُ يومَه إلى أنْ غابتِ الشمسُ ، فأَجْلَتِ الحرب عنه قتيلاً، وانهزَم الناسُ ، وأخذَ حارثةُ الرايةَ ، وصاحَ بالناسِ : أناحارثةُ بن بدرٍ ، فثاب إليه قومُهُ ، فعبَرَ بهم دُجَيْلاً ، وبلَغَ قَتْلُ عثمانَ البصرةَ ، وخاف الناسُ الخوارجَ خوفاً شديداً ، وعزَلَ ابن الزُّبير عُمرَ بنَ عبيد الله ، ووَلّى الحٰرِثَ بنَ عبدِ الله بن أبى رَبيعةَ ، المعروفَ بالقُبَاعِ[٢] ، أحدَ بنى مَخْزومٍ ، وهو أخو عُمَرَ بن عبد الله بن أبى ربيعةَ المخزومِىِّ الشاعرِ ، فقَدِمَ البصرةَ ، فكَتَبَ إليه حارثةُ بن بدرٍ يسألُه الوِلايةَ والمَدَدَ ، فأراد أن يُوَلِّيَهُ[٣] ، فقال له رجلٌ من بَكْرِ بن وائلٍ : إن حارثةَ ليسَ بِذاكَ[٤] ، إنما هو صاحبُ شَرابٍ[٥] ، وفيه يقولُ رجلٌ من قومه :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ حارثةَ بن بَدْرٍ ... يُصَلِّى وهو أكْفَرُ من حِمارِ
أَلم تَرَ أنَّ لِلْفتيان حظًّا ... وحَظُّكَ فى البَغايا والقِمارِ[٦]

فكتب إليه القُبَاعُ : تُكْفَى[٧] حَرْبَهم إن شاء الله . فأقامَ حارثةُ يدافعُهُم ، فقال

(١) فى ج و د « غاربهم » .

(٢) هنا بحاشية ا ما نصه « المُهَلَّبِىُّ : القُبَاعُ : مكيالٌ واسع ، وبه لُقِّبَ الحٰرِثُ بن عبد الله القُبَاعَ ، وكان ابنُ الزُّبير ولاَّهُ البصرةَ ، فنظَر إلى مِكْيالِهم الذى يقالُ له القَنْقَلُ فقال : إنه لَقُبَاعٌ ، فلُقِّبَ القُبَاعَ » .

(٣) فى ج و س و د و هـ و ف « فأراد توليته » .

(٤) فى ج و د و هـ و ف « لذلك » وفى س « كذلك » . وفى طبعات مصر « بذلك » وهو مخالف لجميع النسخ .

(٥) فى س و د و هـ و ف « إنما هو رجلٌ شَرَّابٌ » .

(٦) فى هـ وحاشيته ا « والعُقَارِ » . وزعم المرصفى أن هذا هو الصواب ! ولكن الرويتان ثابتتان كما ترى . والعقار من أسماء الخمر .

(٧) فى ج و د و ف « تكفينى » .

شاعرٌ من بنى تميمٍ يَذْكر عثمانَ بن عُبيد الله بن مَعْمَرٍ ومُسْلِمَ بن عُبَيْسٍ وحارثَةَ بن بدرٍ :

مَضَى ابنُ عُبَيْسٍ صابرًا غيرَ عاجزٍ ... وأَعْقَبَنا هذا الحجازىُّ عثمانُ
فأَرْعَدَ مِنْ قَبْلِ اللقاءِ ابنُ مَعْمَرٍ ... وأَبْرَقَ والبَرْقُ اليمانِىُّ خَوَّانُ
فَضَحْتَ قُرَيْشًا غَثَّها وسَمِينَهَا ... وقِيلَ بنو تَيْمِ بنُ مُرَّةَ عُزْلَانُ
فلولا ابنُ بدرٍ للعِرَاقَيْنِ لم يَقُمْ ... بما قامَ فيه للعِرَاقَيْنِ إنسانُ
إذا قيل مَنْ حَامِى الحقيقةِ أَوْمَأَتْ ... إليه مَعَدٌّ بالأنوفِ وقَحْطَانُ

⁂

قوله « فَأَرْعَدَ » زعمَ الأصمعىُّ أنه خطأ ، وأن الكُمَيْتَ أخطأَ فى قوله :

أَرْعِدْ وَأَبْرِقْ يايَزِيــدُ فما وَعِيدُكَ لِى بضائرْ[1]

وزعم أن هذا البيتَ الذى يُرْوَى لمُهَلْهِلٍ مصنوعٌ مُحْدَثٌ ، وهو قولُه :

أَنْبَضُوا مَعْجِسَ القِسِىِّ وأَبْرَقْــنا كما تُرْعِدُ الفُحولُ الفُحولَا[2]

وأنه لا يُقالُ إلاّ « رَعَدَ وبَرَقَ » إذا أَوْعَدَ وتَهَدَّدَ ! وهو « يَرْعُدُ ويَبْرُقُ » وكذا يُقالُ « رعَدَتِ السماءُ وبَرَقَتْ » و « أَرْعَدْنا نحن وأَبْرَقْنا » إذا دَخَلْنا فى الرَّعْدِ والبَرْقِ ، قال الشاعرُ :

☆ فَقُلْ لأَبِى قابوسَ ماشِئْتَ فارْعُدِ ☆

(١) فى ج و س و ف « أبرق وأرعد » .

(٢) فى ج و د و هـ و ف « كما توعد » من الوعيد . وقوله « أنبضوا » قال المرصفى : « كذا رواه أبو العباس ، وهو بعيد عن الصواب ، وذلك أن الإنباض جذب الوتر ليرنّ ، ومعجس القوس مقبضها أوموضع السهم منها ، وكلاهما لايكون فيه إنباض . والرواية انتضوا ، يريد : أخذوا معاجس القسىّ فى أيديهم ، والانتضاء أخذ الشىء واستخراجه ! ! » . وكل ماقاله خطأ . أما الرواية فانه لم يذكر مصدرها ولاموضعها . وأما الانتضاء فانه استخراج=

ورَوَى غيرُ الأصمعىِّ « أرْعَدَ وأَبْرَقَ » على ضُعْفٍ(١) .

وقوله « والبَرْقُ اليَمَانِىُّ خَوَّانُ » يريدُ : والبرقُ اليمانىُّ يخونُ .

وأجودُ النَّسَبِ إلى اليَمَنِ « يَمَنِيٌّ » ويجوزُ « يَمَانٍ » بتخفيف الياء ، وهو حَسَنٌ ، وهو فى أكثرِ الكلامِ(٢) ، تكونُ الأَلِفُ عِوَضاً من إحدى الياءين ، ويجوزُ « يَمَانِيٌّ » فاعلم ، تكونُ الأَلِفُ زائدةً وتُشَدَّدُ الياءُ ، قال العبّاسُ بن عبد المُطَّلِبِ :

ضَرَبْناهُمُ ضَرْبَ الاحَامِسِ غُدْوَةً بكلِّ يَمَانِيٍّ إذا هُزَّ صَمَّمَا(٣)

⁂

ثم إنّ حارثةَ لمَّا تفرّق الناسُ عنه أقام بنهر تِيرَى ، فَعَبَرَتْ إليه الخوارجُ ، فهربَ وأصحابَه يَرْكُضُ ، حتى أَتَى دُجَيْلاً ، فجلس فى سفينةٍ ، واتّبعه جماعةٌ من أصحابِه ، فكانوا معه ، وأتاه رجلٌ من بنى تميمٍ وعليه سلاحُه ، والخوارجُ وراءه

= الشىء ، يقال : « انتضى فى يده أسهما ، أى أخذ واستخرجها من كنانته » كما هو نص اللسان ، فالقوس لاينتضى ، وإنما ينتضى السيف والسهم . وموضع السهم من القوس هو الوتر ، وهو الذى ينبض ويجذب ليرن ، وهوالذى يجذب ومعه السهم ثم يترك فينطلق السهم إلى غرضه . ويظهر لى أن المرصفى رحمه الله لم ير قوساً قط .

(١) بل هو صحيح ثابت قوىّ ، وانظر اللسان .

(٢) فى س « وأكثر الكلام » . وفى ج و د و هـ و ف « وهو أكثر فى الكلام » .

(٣) فى د « الأحاميس » . والأحمس : الشديد الصلب فى الدين والقتال . والحمس من قريش وغيرهم ، سموا حمساً لأنهم تحمسوا فى دينهم ، أى تشددوا ، وكانوا سكان الحرم ، وكانوا لايخرجون أيام الموسم إلى عرفات إنما يقفون بالمزدلفة ، ويقولون : نحن أهل الله ولا نخرج من الحرم . وقد أبطل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو سيد قريش ، فوقف فى عرفات ، وانظر فتح البارى (ج ٣ ص ٤١١ ـ ٤١٣ طبعة بولاق) .

وقد توَسَّطَ حارثةُ ، فصاحَ به : ياحارِثَ[١] ! ليس مثلى ضُيِّعَ ، فقال للملاَّح : قَرِّبْ . فقَرَّبَ إلى جُرُفٍ ، ولا فُرْضَةَ هناكَ[٢] ، فَطَفَرَ[٣] بسلاحه فى السفينة ، فساخَتْ بالقوم جميعاً . وأقام ابنُ الماحُوزِ يَجْبِى كُوَرَ الأهوازِ ثلاثةَ أشهرٍ ، ثم وَجَّهَ الزُّبَيرَ بن علىٍّ نحوَ البصرة ، فضجَّ الناسُ إلى الأَحْنفِ ، فأَتَى القُباعَ فقال : أصلَحَ اللهُ الأميرَ ، إن هذا العدوَّ قد غَلَبنا على سَوادِنا وفَيْئنا ، فلم يَبْقَ إلّا أن يَحْصُرَنا فى بلدنا حتى نموتَ هَزْلاً ، قال : فسَمُّوا رَجلاً ، فقال الأحنفُ : الرأىُ لا يُخيل[٤] ، ما أرى لها إلا المُهلَّبَ بن أبى صُفْرةَ ، فقال: أوَ هذا رأىُ جميعِ أهلِ البصرة ؟ اجتمِعوا إلىَّ فى غدٍ ، وجاء الزبيرُ حتى نزل الفُراتَ ، وعقَدَ الجِسْرَ لِيَعْبُرَ إلى ناحيةِ البصرةِ، فخرج أكثرُ أهلِ البصرةِ إليه ، وقد اجتمع للخوارج أهلُ الأهوازِ وكُوَرِها ، رغبةً ورَهْبَةً ، فأتاه البصريون فى السُّفُنِ وعلى الدوابِّ ورَجَّالةً ، فاسْوَدَّتْ بهم الأرضُ ، فقال الزبيرُ لمَّا رآهم : أَبَى قومُنا إلّا كُفْراً ، فقطعوا[٥] الجسرَ وأَقام الخوارجُ بالفراتِ بإزائهم ، واجتمعَ الناسُ عند القُباعِ ، وخافوا الخوارجَ خوفاً شديدًا ، وكانوا

---

(١) فى ا « يا حارثُ » . وفى ج و س و د و ف « يا حارثةُ » .

(٢) الفرضة : ثلمة فى النهر يستقى منها .

(٣) طفر : وثب فى ارتفاع .

(٤) المرصفى : « من أخال الشىء : اشتبه وأشكل . يقول : الرأى الذى يُهتدى به هو الواضح لالبس فيه » . وبحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : كل شىء اشتبه عليك فهو مُخِيلٌ ، وقد أخالَ يُخيلُ . قال الشاعرُ :

الْحَقُّ أَبْلَجُ لايُخِيلُ سبيلُه ... والصدقُ يعرفُه ذَوُو الألبابِ» .

(٥) فى ج و ف «فقطع» .

ثلاثَ فِرَقٍ ، فسَمَّى قومٌ المهلَّبَ ، وسَمَّى قومٌ مالكَ بنَ مِسْمَعٍ ، وسَمَّى قومٌ زِيادَ بن عمرِو بن الأشرفِ العَتَكِىَّ ، فصرفهم ، ثم اختَبرَ ما عندَ مالكٍ [بنِ مسمعٍ](١) وزيادٍ ، فوجدَهما مُتثاقِلَيْنِ عن ذاك(٢) ، وعاد إليه مَنْ أشار بهما وقالوا : قد رَجَعْنا عن رأينا ، ما نَرَى لها إلّا المُهلَّبَ ، فوَجَّهَ الحرثُ إليه فأتاه ، فقال له : يا أبا سعيدٍ ! قد تَرَى ما رَهِقَنا(٣) من هذا العدوّ ، وقد اجتمع أهلُ مِصْرِكَ عليك ، وقال الأحنفُ : يا أبا سعيد ! إنَّا واللهِ ما آثرناكَ بها ولٰكنّا لم نَرَ مَنْ يقومُ [لها](٤) مَقامَك ، فقال له الحرثُ ـ وأَوْمَأَ إلى الأحنفِ ـ : إن هذا الشيخَ لم يُسَمِّكَ إلّا إيثاراً للدِّين ، وكلُّ مَنْ فى مِصْرِكَ مادٌّ عَيْنَهُ إليك ، راجٍ أن يَكشفَ اللهُ عز وجل هذه الغُمَّةَ بك ، فقال المهلَّبُ : لا حولَ ولاقوةَ إلّا باللهِ ، إنِّى عندَ نفسى لَدُونَ(٥) ماوَصَفْتُمْ ، ولستُ آبِياً مادَعَوْتُم(٦) إليه على شُروطٍ أشترطُها(٧) ، قال الأحنفُ : قُلْ ، قال : عَلَى أنْ أنتَخبَ مَنْ أحببتُ ، قال : ذاكَ(٨) لكَ ، قال : ولِىَ إِمْرَةُ كُلِّ بلد أَغْلِبُ عليه ، قال : وذاكَ

---

(١) الزيادة من د و هـ .

(٢) فى د و هـ و ف « عن ذلك » .

(٣) بحاشية ا مانصه : «رَهِقَنا ، أى غَشِيَنا ، يقال : رَهِقْتُ الرجلَ ، إذا غَشِيتَهُ بمكروهٍ ، رَهَقاً » .

(٤) الزيادة من ج .

(٥) فى ج « دون » .

(٦) فى ج و د و هـ و ف « مما دعوتم » .

(٧) فى ج و دا « أَشرِطها » .

(٨) فى س و د و هـ و ف « ذلك » .

لَكَ ، قال : وَلِى فَىْءُ كُلِّ بلدٍ أظْفَرُ به[١] ، قال الأحنفُ : ليس ذاكَ[٢] لَكَ ولا لنَا ، إنما هو فَىْءُ المسلمين[٣] ، فإن سلبتَهم إياه كنتَ عليهم كعدوِّهم ، ولكن لكَ أن تُعطِىَ أصحابَكَ من فَىْءِ كُلِّ بَلدٍ تَغْلِبُ عليه ماشئتَ ، وتُنْفِقَ [منه ما شئتَ][٤] على محاربةِ عدوِّكَ ، فما فَضَل عنكم كان للمسلمين ، فقال المهلبُ : فَمَنْ لى بذلك ؟ قال الأحنفُ : نحن وأميرُكَ وجماعةُ أهلِ مصرِكَ ، قال : قد قَبِلْتُ ، فكَتَبوا بذلك كتابًا ووُضِعَ على يَدَىِ الصَّلْتِ بن حُرَيْثِ بن جابرٍ الحنفِىِّ ، وانتَخَبَ المُهَلَّبُ من جميع الأخماسِ ، فبلغت نُخْبَتُهُ اثنى عشر ألفًا ، ونَظَروا ما فى بيت المال ، فلم يكن إلّا مِائَتَىْ ألفِ درهم ، فعجزَت ، فبعثَ المهلبُ إلى التُّجارِ [فقال][٥] : إنّ تجارتَكم مُذْ حَوْلٍ قد كَسَدَتْ[٦] عليكم بانقطاعِ موادِّ الأهوازِ وفارسَ عنكم ، فهَلُمَّ فبايعونى واخْرُجُوا معى أُوَفِّكُمْ إن شاء الله حقوقَكم ، فتاجَرُوه ، فأخذ من المال ما يُصْلِحُ به عسكرَه ، واتخذ لأصحابه الخِفَاتِينَ والرَّانَاتِ المَحْشُوَّةَ بالصُّوف ، ثم نَهَضَ وأكثرُ أصحابه رَجَّالَةٌ ، حتى إذا صار بحذاء القوم أمر بسفُنٍ فأُحْضِرتْ

(١) بحاشية ا : « قال ابنُ شاذانَ : الفَىْءُ : غنائم المشركين ، والفعلُ منه أفاءَ اللهُ علينا فَيْئَهُمْ إفاءةً » . ورسمت الكلمة فى بعض الأصول « فىّ » بتسهيل الهمزة ، وهو جائز .

(٢) فى ج و س و د و ھ و ف « ذلك » .

(٣) فى ج و د و ف « فىٌّ للمسلمين » .

(٤) الزيادة من ج و ف .

(٥) الزياده من ج و س و د و ھ و ف .

(٦) فى النسخ الخمسة المذكورة « قد فسدت » » .

وأُصْلِحتْ ، فما ارتفعَ النهارُ حتى فُرِغَ منها ، ثم أَمَرَ الناسَ بالعُبور إلى الفُراتِ ، وأَمَّرَ عليهم ابنَهُ المُغيرةَ ، فخرج الناسُ ، فلما قاربوا الشاطئَ خاضتْ إليهم الخوارجُ ، فحاربهم المغيرةُ ونَضَحَهم بالسهام حتى تَنَحَّوْا ، فصار هو وأصحابُه على الشاطئ ، فحاربُوهم فكشفُوهم وشغَلُوهم ، حتى عَقَدَ المهلبُ الجِسْرَ ، وعَبَرَ والخوارجُ منهزمون ، فنَهَى الناسَ عن اتِّباعهم . ففى ذلك يقول شاعرٌ من الأَزْدِ :

إنَّ العِراقَ وأهلَهُ لم يَخْبُرُوا مثلَ المُهلَّبِ فى الحروب فَسَلَّمُوا(١)
أَمْضَى وَأَيْمَنَ فى اللِّقاءِ نَقِيبَةً وَأَقَلَّ تهليلاً إذا ما أَحْجَمُوا

« التهليلُ » التكذيبُ والانهزام .

وأَبْلَى مع المغيرة يومئذٍ عَطِيَّةُ بن عَمْرٍو(٢) العَنْبَرِىُّ ، وكان من فُرْسان بنى تميمٍ وشجعانهم(٣) ، فقال عطيةُ :

يُدْعَى رجالٌ للعطاء وإنما يُدْعَى عَطِيَّةُ للطِّعانِ الأَجْرَدِ

وقال الشاعرُ :

وما فارسٌ إلّا عطيةُ فوقَه إذا الحربُ أَبْدَتْ عن نَواجِذِها الفَما(٤)

---

(١) فى ج « لَن يخبرُوا » .

(٢) « عمرو » بفتح العين ، كما فى الأصول كلها . وفى طبعات مصر « عمر » وهو خطأ .

(٣) فى ج « وشُجَعَائِهم » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « قال يعقوبُ بن السِّكِّيتِ : الحربُ أُنثَى ، وتصغيرُها حُرَيْبٌ بغير هاء ، لأنهم إنما قالوا حربٌ من المُحارَبةِ ، ثم صُيِّرَتِ اسماً للوَقْعةِ ، فكانت مذكَّرًا سُمِّيَ به مؤنَّثٌ ، فصُغِّرَ على أصله ، ولو صغَّرْتَه بالهاء فقلتَ حُرَيْبَةٌ وتَوَهَّمْتَ أنه لم يكن اسماً إلاّ لِما سُمِّيَ به كنتَ مُصيباً » .

به هَزَمَ اللهُ الازَارِقَ بعدَ ما أَباحُوا من المِصْرَيْنِ حِلاًّ ومُحْرَمَا

*

فأقام المهلَّبُ أربعين يومًا يَجْبِي الخراجَ بِكُوَرِ دِجْلَة ، والخوارجُ بنهر تِيرَى ، والزبيرُ بن عليّ منفردٌ بعسكره عن عسكر ابنِ الماحُوزِ ، فقضَى المهلَّبُ التُّجارَ وأعْطَي أصحابَه ، فأسرع إليه الناسُ رغبةً فى مجاهدة الخوارج ، ولما فى الغنائم وللتجارات ، فكان فيمن أتاه محمدُ بن واسعٍ الأَزدىُّ وعبدُالله بن رِيَاحٍ ومُعاويةُ بن قُرَّةَ المُزَنِىُّ ، وكان يقولُ - يعنى معاويةَ - : لو جاء الدَّيْلَمُ مِن هٰهنا والحَرُورِيَّة مِن هٰهنا لحاربتُ الحرورية ، وأبو عِمْرانَ الجَوْنِىُّ ، وكان يقول: كانَ كَعْبٌ يقولُ : قتيلُ الحرورية يَفْضُلُ قتيلَ غيرهم بِعَشَرة أنْوارٍ[١] ، ثم نَهَضَ المهلبُ إليهم إلى نهر تِيرَى ، فتَنَحَّوْا عنه إلى الأهواز ، وأقام المهلبُ يَجْبِي ما حَوالَيْهِ من الكُوَرِ ، وقد دَسَّ الجَواسِيسَ إلى عسكر الخوارِج ، فأَتَوْه بأخبارهم ومَنْ فى عسكرِهم ، فإذا حُشْوةٌ[٢] ما بين قصَّارٍ[٣] وصبَّاغٍ وداعِرٍ[٤] وحدَّادٍ ، فخطَبَ المهلبُ الناسَ ؛ فذَكَرَ مَنْ هُناكَ ، وقال[٥]

(١) يعنى أن من قتله الحرورية ضوعف ثوابه بمضاعفة أنواره يوم القيامة .

(٢) « حشوة » بكسر الحاء وضمها . وبحاشية ا مانصه : « قال المُهَلَّبِىُّ : حِشْوةُ الناس : رُذَالُهم . يقال . فلان من حشوةِ الناسِ ، ومن حشوة بنى فلان » .

(٣) فى س و د و هـ و ف « قصَّاب » . والقصار : الذى يدق الثياب . والقصاب : الذى يبيع اللحم .

(٤) بحاشية ا مانصه « ابنُ شاذانَ : الدَّعَرُ الفسادُ ، دَعِرَ العُودُ يَدْعَرُ دَعَراً : إذا نَخِرَ . وبه سُمِّيَ الدُّعَّارُ من الناس ، ورجل دَاعِرٌ » .

(٥) فى ج و س و د و هـ و ف « ثم قال » .

للناس : أَمِثْلُ هؤلاءِ يَغلبونَكم على فَيْئِكم ؟ ! فلم يَزَلْ مقيمًا حتى فَهِمَهُمْ وأَحْكَمَ أَمْرَهُ وقوّى أصحابَه ، وكثرتِ الفُرْسانُ فى عسكره ، وتَتامَّ إليه زُهاءِ عشرينَ ألفًا ، ثم مَضَى يَؤُمُّ سُوقَ الأهوازِ ، فاستَخْلَفَ أخاه المُبارَكَ بنَ أبى صُفْرَةَ على نهر تِيرَى ، وفى مُقَدِّمَتِهِ المغيرةُ بن المهلَّب ، حتى قارَبَهُمُ المغيرةُ ، فناوَشُوه ، فانكشفَ عنه بعضُ أصحابِه ، وثبتَ المغيرةُ بَقِيَّةَ يومِهِ وليلتِهِ ، يُوقِدُ النيرانَ ، ثم غاداهم القتالَ ، فإذا القومُ قد أوقدوا النِّيرانَ فى ثِقْلةِ[1] متاعِهم ، وارْتَحَلُوا عن سوق الأهواز ، فدخلها المغيرةُ ، وقد جاءت أوائلُ [الخَيْلِ][2] خيلِ المهلَّب ، فأقام بِسُوق الأهواز ، وكتب بذلك إلى الحارث بن عبد الله بن أبى رَبيعة كتابًا يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ : فإنا منذُ خرجنا نَؤُمُّ هذا العدوَّ فى نِعَمٍ من اللهِ متصلةٍ علينا ، ونِقْمةٍ من الله متتابعةٍ عليهم ، نُقْدِمُ ويُحْجِمونَ[3] ، ونَحُلُّ ويَرتحلونَ ، إلى أن حَلَلْنَا سُوقَ[4] الأهوازِ ، والحمدُ لله ربِّ العالمين ، الذى من عنده النصرُ ، وهو العزيزُ الحكيمُ .

---

(١) بحاشية ا مانصه : « المُهَلَّبِيُّ : الثِّقْلَةُ والثَّقْلَةُ وَالثَّقَلُ [والثِّقَلُ] : أثقالُ القوم ومَتاعُهم وما حَمَلُوه على دوابِّهم ، والجمعُ أثقالٌ » .

(٢) الزيادة من ج و د و هـ .

(٣) فى ج « ويجحمون » بتقديم الجيم على الحاء ، وهو صحيح أيضا . وبحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : قال أبو زيد والأصمعىُّ : أَحْجَمَ الرجلُ عن الأمر إحْجامًا ، وأَجْحَمَ إجْحامًا : إذا تأخَّرَ عنه ، بمعنًى واحدٍ » .

(٤) فى ج و د و هـ و ف « بسوق » .

فكتب إليه الحرثُ : هَنِيئاً لك أخا الأَزْدِ الشَّرفُ فى الدنيا ، والذُّخرُ فى الآخرةِ ، إن شاء الله .

فقال المهلبُ لأصحابه : ما أَجْفَى أَهلَ الحجاز ! أَمَا تَرَوْنَهُ يَعْرِفُ[1] اسمى واسمَ أبى وكنيتى ؟!

وكان المهلَّبُ : يَبُثُّ الأحراسَ فى الأَمْنِ ، كما يَبُثُّهم[2] فى الخوفِ ، ويُذْكِى العيُونَ فى الأمصار[3] ، كما يُذْكِيها فى الصَّحَارَى ، ويأمرُ أصحابه بالتَّحرُّزِ ، ويُخوِّفهم البيَاتَ ، وإن بَعُدَ منهم العدوُّ ، ويقولُ : احْذَرُوا أن تُكادُوا كما تَـكِيدون ، ولا تقولوا اهزَمْنا وغَلَبْنا ، فإنَّ القومَ خائفون وجِلُونَ ، والضرورةُ تَفتَحُ بابَ الحِيلةِ ، ثم قامَ فيهم خطيباً فقال :

يأَيُّها الناس ! إنكم قد عَرفتُم مذهبَ هؤلاء الخوارِج ، وأنهم إنْ قَدرُوا عليكم فَتَنوكُمْ فى دينِكم ، وسَفَكوا[4] دماءكم ، فقاتِلُوهم على ما قَاتَلَ عليه أولهم علىُّ بن أبى طالبٍ صلوات الله عليه ، فقد لَقِيَهُمْ قبلَكم الصَّابرُ المحتسبُ مُسلِمُ بن عُبَيْسٍ ، والعَجِلُ المُفرِّطُ عثمانُ بنُ عُبيدِ الله ، والمَعْصِىُّ المخالَفُ حارثةُ

---

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « عَرَفَ » .

(٢) فى ج و د « يُبيِّتُ » « يُبيِّتهُمْ » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقال : بَثَّ الخيلَ يبثُّها بَثًّا : إذا فرَّقها . وكلُّ شىء فرَّقتَه فقد بثَثْتَه . ويقال : أَذْكَيْتُ الحربَ والنارَ وغيرَهما : إذا أوقدْتَهما » .

(٤) فى س و د و هـ « أو سفكوا » .

بن بَدْرٍ ، فقتِلوا جميعاً وَقتَلُوا ، فالقَوْهُمْ بِجِدٍّ وَحَدٍّ ، فإنما هُمْ مَهَنَتُكُمْ وعبيدُكم ، وعارٌ عليكم ونقصٌ فى أحسابكم وأديانكم أن يغلبَكم هؤلاء على فَيْئِكم ، وَيَطَؤُوا حَرِيمَكُم .

ثُمَّ سار يُرِيدُهُمْ ، وَهُمْ بِمَنَاذِرَ الصُّغْرَى ، فَوَجَّهَ عبيدُ الله بن بَشِيرِ بن المَاحُوزِ رئيسُ الخوارجِ رجلاً يقال له واقِدٌ ، مَوْلًى لآلِ أبى صُفْرَةَ من سَبْيِ الجاهلية ، فى خمسين رجلاً ، فيهم صالِحُ بن مِخْراقٍ ، إلى نهر تِيرَى ، وبها المُبارِكُ بن أبى صُفْرَةَ ، فقتلوه وصلبوه ، فَنَمى الخبرُ إلى المهلَّب ، فَوَجَّهَ ابْنَهُ المغيرةَ ، فدخل نهرَ تِيرَى وقدخرج وَاقِدٌ منها ، فاستنزله ودفَنَه ، وَسَكَّنَ الناسَ ، وَاسْتَخْلَفَ بها ، ورجع إلى أبيه وقد حَلَّ بِسُولافَ ، والخوارجُ بها ، فَوَاقعهُمْ ، وَجَعَلَ على بنى تَمِيمٍ الحَرِيشَ بن هِلالٍ ، فخرج رجلٌ من أصحاب المُهَلَّبِ ، يقال له عبدُ الرحمن الإِسْكافُ ، فَجَعَلَ يَحُضُّ الناسَ وهو على فرسٍ له صفراءَ ، فَجَعَلَ يأتى الميمنَةَ والمَيْسَرَةَ والقَلْبَ ، فَيَحُضُّ الناسَ وَيُهَوِّنُ أمرَ الخوارجِ ، ويَخْتالُ بين الصَّفَّين ، فقال رجلٌ من الخوارج لأصحابه : يامعشر المهاجرين ! هل لكم فى فَتْكَةٍ فيها أَرْيَحِيَّةٌ ؟ فحملَ جماعةٌ منهم على الإسكافِ ، فقاتلهم وحدَه فارساً ، ثم كَبَا به فرسُهُ[1] ، فقاتلهم راجلاً ، قائماً وبارِكاً ، ثم كَثُرَتْ بِهِ الجِرَاحَاتُ ، فذَبَّبَ بسيفِه[2] ،

---

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقالُ : كَبَا الرجُلُ والفرسُ وغيرُهما : إذا عَثَرَ . ومن كلامهم : لكلِّ صارِمٍ نَبْوَةٌ ، ولكلِّ جوادٍ كَبْوَةٌ » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « الأصمعىُّ : يقال . ذَبَّبَ يُذَبِّبُ تَذْبِيباً فهو مُذَبِّبٌ : إذا=

وَجَعَلَ يَحْثُو الترابَ فى وجوههم ، والمهلَّبُ غيرُ حاضرٍ ، ثم قُتِلَ رحمه الله ، وَحَضَرَ المهلَّب فَأُخْبِرَ[١] ، فقال للحَرِيشِ وَعَطِيَّةَ العَنْبَرِيِّ : أَأَسْلَمْتُمَا سيدَ أهل العسكرِ ، لم تُعيناه ولم تَسْتَنْقِذَاهُ ، حسدًا له ، لأنه رجل من الموالى ؟! وَوَبَّخَهُمَا ، وَحَمَلَ رجلٌ من الخوارج على رجلٍ من أصحابه فقتَله ، فحمل عليه المهلَّبُ فطعنه وقتَله ، ومالَ الخوارجُ بأجمعهم على العسكرِ ، فانهزمَ الناسُ ، وقتَلوا سبعين رجلاً ، وثبتَ المهلَّبُ ، وَأبلَى المغيرةُ يومئذٍ وعُرِفَ مكانُهُ . ويقال : حاصَ المهلبُ يومئذٍ حَيْصَةً[٢] . وتقولُ الأزْدُ : بل كان يَرُدُّ المُنْهَزِمَةَ ويَحْمِي أدبارَهم ، فقال رجلٌ من بَنِى مِنْقَرِ بن عُبَيْدِ بن الْحرثِ بن كَعْبِ بن سَعْدِ بن زيد مَنَاةَ بن تميمٍ :

بِسُولافٍ أَضَعْتَ دِماءَ قَوْمِى   وطِرْتَ على مُوَاشِكَةٍ دَرُورِ

قولُه « مُوَاشِكَةٍ » يريدُ سريعةً . ويقال : نحنُ على وشْكِ رَحيلٍ . ويقال : ذَمِيلٌ مُوَاشِكٌ[٣] ، إذا كان سريعاً . قال ذُو الرُّمَّةِ :

إذا مَا رَمَيْنَا رَمْيَةً فى مَفَازَةٍ   عَرَاقِيبَهَا بِالشَّيْظَمِيِّ المُوَاشِكِ[٤]

= أسْرَعَ فى السَّيْرِ . وذُبَابُ السَّيفِ : حَدُّهُ » . وتفسير الأصمعى ليس هذا موضعه ، إنمــا الذبُّ الدفع والمنع . و « ذَبَّبَ » : أكثرَ الذبَّ .

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « وَأُعْلِمَ » .

(٢) فى د « جاص » « جيصة » . وبحاشية ا مانصه : « الْمُهَلَّبِيُّ : الحَيْصُ : الحَيْدُ . حاصَ يَحِيصُ حَيْصًا : حادَ . و كذلك جَاضَ بالجيم والضاد : مِثْلُه » .

(٣) « الذميل » ضرب من سير الابل .

(٤) بحاشية ا مانصه : « الْمُهَلَّبِيُّ : الشَّيْظَمِيُّ : حَادٍ طويلٌ . والمُوَاشِكُ : المستعجِلُ وهو مُفَاعِلٌ من الوَشْكِ » .

و « دَرُورٌ » فَعُولٌ مِنْ دَرَّ الشَّىْءُ : إِذَا تَتَابَعَ .

وقال رجلٌ من بنى تميمٍ آخَرُ :

تَبِعْنَا الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ طَوْعًا — يُزَجِّى كُلُّ أَرْبَعَةٍ حِمَارَا

فيانَدَمِى على تَرْكِى عَطَائِى — مُعَايَنَةً وَأَطْلُبُهُ ضِمَارَا[1]

إِذَا الرَّحْمٰنُ يَسَّرَ لِى قُفُولًا — فَحَرَّقَ فى قُرَى سُولَافَ نَارَا

قوله : « الأعورَ الكذّابَ » يعنى المُهلَّبَ ، ويقال عارتْ عينُه بسهمٍ كان أصابها . وقال « الكذّابَ » لأن[2] المهلّبَ كان فقيهاً ، وكان يعلمُ ماجاء عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من قوله : « كلُّ كَذِبٍ يُكْتَبُ كَذِباً إلّاثلاثةً : الكذِبُ فى الصُّلحِ بين الرجلين[3] ، وكذبُ الرجلِ لامرأته يَعِدُها ، وكذِبُ الرجلِ فى الحربِ يَتَوعَّدُ وَيتَهدَّدُ[4] » ، وجاء عنه صلى الله عليه وسلم :

(١) بحاشية ا مانصه : « قال المُهَلَّبىُّ : الضِّمَارُ : خِلافُ العِيَانِ . ابنُ شاذانَ : الضِّمَارُ : النَّسِيئةُ ، ومنه حديثُ عُمَرَ بن عبد العزيز : فإنه كان مالاً ضِمَاراً . أى غائباً عن أهله . وكلُّ غائبٍ ضِمارٌ . والضِّمَارُ : مالا يُدْرَى أيكونُ أم لا . ومنه قولُهم : أضْمَرْتُ الشىءَ : أخْفَيْتُه » .

(٢) فى ج « بأن » .

(٣) فى ج و ف « بين المسلمِينَ » وفى د « بين الرجلين المُسْلِمَيْنِ » .

(٤) أقرب لفظ وجدته لهذا اللفظ رواية أحمد فى المسند (ج ٦ ص ٤٥٤) « عن أسماء بنت يزيد أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول : يأيها الذين آمنوا مايحملكم على أن تتايعوا فى الكذب كما يتتايع الفراش فى النار ؟ كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا ثلاث خصال : رجل كذب على امرأته ليرضيها ، أو رجل كذب فى خديعة حرب ، أو رجل كذب بين امرأين مسلمين ليصلح بينهما » . ثم رواه أيضاً بنحوه (ص ٤٥٩ و٤٦٠ ــ ٤٦١) ورواه الترمذى فى السنن وحسنه (ج ١ ص ٣٥٢ طبعة بولاق و ج ٣ ص ١٢٧ من شرح المباركفورى) . وفى معناه حديث آخر بنحوه عن أم كلثوم بنت =

« إنما أنتَ رجلٌ ، فَخَذِّلْ عَنَّا ، فإنما الحربُ خَدْعَةٌ[١] ». وقال عليه السلام في حرب الخَنْدق لسعد بن عُبادَةَ وسعد بن مُعاذٍ ، وهما سَيِّدَا الحَيَّيْنِ الخَزْرجِ والأَوْسِ : « إيتيا بَني قُرَيْظَةَ ، فإن كانوا على العهد فأَعْلِنَا بذلك ، وإن كانوا قد نَقَضُوا ما بيننا فَالْحَنَا لي لَحْنًا أَعْرِفُه ، ولا تَفُتَّا في أَعْضَادِ المسلمين[٢] ، فرجعَا بغَدْرِ القومِ فقالا : يارسول الله عَضَلٌ والقَارَةُ ، قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين : أَبْشِرُوا فإن الأَمْرَ ماتُحِبُّونَ » . [قال الأخفشُ : سألتُ المُبَرِّدَ عن قولهما « عَضَلٌ والقَارَةُ » فقال : هذانِ حَيَّانِ كانا في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرادا أنهم في الانحراف عنه والغدرِ به كهاتين القبيلتين] .

قال أبو العباس : فكان المهلَّبُ ربما صَنَعَ الحديثَ لِيَشُدَّ به من أمرِ المسلمين ويُضَعِّفَ من أمرِ الخوارج[٣] ، فكان حَيٌّ من الأَزْدِ يقال لهم

= عقبة ، رواه الترمذى فى الباب ، ورواه أيضاً أحمد مطولا ومختصرا (ج ٦ ص ٤٠٣) ونسبه المباركفورى (٣ : ١٢٨) للبخارى ومسلم وأبى داود والنسائى .

(١) بفتح الخاء وسكون الدال ، كما ضبط فى الأصول ، وفى بعض طبعات مصر بفتح الدال مع فتح الخاء ، وهو خطأ . قال فى النهاية : « يروى بفتح الخاء وضمها مع سكون الدال ، وبضمها مع فتح الدال . فالأول معناه أن الحرب ينقضى أمرها بخدعة واحدة من الخداع ، أى أن المقاتل إذا خدع مرة واحدة لم تكن لها إقالة ، وهى أفصح الروايات وأصحها . ومعنى الثانى هو الاسم من الخداع . ومعنى الثالث أن الحرب تخدع الرجال وتمنيهم ولا تفى لهم ، كما يقال فلان رجل لعبة وضحكة ، أى كثير اللعب والضحك » . والحديث ذكره ابن هشام فى السيرة فى غزوة الخندق أنه قاله لنعيم بن مسعود الأشجعى ولفظ « الحرب خدعة » فى الصحيحين وغيرهما . وانظر فتح البارى (ج ٦ ص ١١٠) .

(٢) فى حاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : قال أبو عُمَرَ : يقال كَلَّمَ فلانٌ فلانًا بشىءٍ فَفَتَّ فى ساعِدِهِ ، أى أَضْعَفَهُ وَأَوْهَنَهُ » .

(٣) المهلب بن أبى صفرة تابعىٌّ ثقة ، وليس يصح أن ينسب إليه الكذب على رسول الله =

النَّدَبُ[١] إذا رَأَوُا المهلَّبَ رائحًا إليهم قالوا : قد راحَ المهلبُ ليكذِبَ ! وفيه يقولُ رجلٌ منهم :

أنتَ الفتَى كلُّ الفتَى ... لو كُنْتَ تَصْدُقُ ماتقُولُ

☆☆☆

فبات المهلَّبُ فى ألفَيْنِ ، فلمـا أصبح رجَع بعضُ المنهزمةِ فصارَ فى أربعة آلافٍ،فخطب أصحابَه فقال: واللهِ ما بكم من قِلَّةٍ، وما ذَهَبَ عنكم إلَّا أهلُ الجُبْنِ والضَّعْفِ والصَّمَعِ والطَّبَعِ[٢] ، فإن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فقد مَسَّ القومَ قَرْحٌ مثلُهُ[٣] فسيرُوا إلى عدوِّكم على بركةِ الله . فقام إليه الحَرِيشُ بنُ هلالٍ فقال : أَنْشُدُكَ اللهَ[٤] ـ أيها الأميرُ ـ أن تقاتلهم إلَّا أن يُقاتلُوكَ ، فإن بالقوم جِراحًا وقد أثخنَتْهُمْ هذه الجَوْلَةُ ، فقَبِلَ منه ، ومَضَى المهلَّبُ فى عشَرةٍ ، فأشْرَفَ

= صلى الله عليه وسلم . قال ابن عبد البر فى الاستيعاب : « هو ثقة ليس به بأس ، وأما من عابه بالكذب فلا وجه له ، لأن صاحب الحرب يحتاج إلى المعاريض والحيل ، فمن لم يعرفها عدها كذبا » . وهو ظاهر فى أن معاريضه إنما كانت فى الحرب ، وأنه لم يكن ليفترى على رسول الله مالم يقل .

(١) بحاشية ا مانصه : « قال ابن دُريدٍ : النَّدَبُ قَبيلةٌ من العرب » .

(٢) « الطبع » بفتح الباء ، أصله الصدأ يكثر على السيف ونحوه ، ثم استعير للأوزار والآثام .

(٣) إشارة إلى الآية ١٤٠ من سورة آل عمران . وبحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : القَرْحُ: الجراحُ، وهو القُرْحُ أيضاً . ورجل قَرِيحٌ ومَقْرُوحٌ ، من قوم قَرَاحَى وقَرْحَى » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقال نَشَدْتُكَ اللهَ فأنا أَنْشُدُكَ اللهَ ، أى ذَكَّرْتُكَ اللهَ » .

على عسكر الخوارج ، فلم يرَ منهم أحدًا يتحرّكُ ، فقال له الحَرِيشُ : ارْتَحِلْ عن هذا الموضعِ [(١)] ، فارتَحَلَ ، فعبَرَ دُجَيْلاً ، وصار إلى عاقُولٍ [(٢)] لا يُؤْتَى إلّا مِن وجهٍ واحدٍ ، فأقام به ، واستراحَ الناسُ ثلاثًا ، وقال ابنُ قَيْسٍ الرُّقَيَّاتِ :

ألَا طَرَقَتْ من آلِ بِيبَةَ طارِقَهْ ... على أنها مَعشُوقَةُ الدَّلِّ عاشِقَهْ [(٣)]
تَبِيتُ وأرضُ السُّوسِ بَيْنِي وبينَها ... وسُولافُ رُسْتاقٌ حَمَتْهُ الأزارِقَهْ
إذا نحن شِئْنَا صادَفَتْنَا عِصابَةٌ ... حَرُورِيَّةٌ أَضْحَتْ من الدِّينِ مارِقَهْ
أجازَتْ إلينا العَسْكَرَيْنِ كِلَيْهِمَا ... فباتَتْ لنا دُونَ اللِّحافِ مُعانِقَهْ

---

(١) فى ح و س و د و ه و ف ونسخة بحاشية ا « المنزل » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « المُهَلَّبِيُّ : يقال وَقعْنَا فى أرضٍ عاقُول : لا يُهْتَدَى لها . قال ابنُ شاذانَ : قال الخليلُ بن أحمد : العاقولُ من النهر والوادى : ما اعْوَجَّ منه ، ومن الأمورِ : ما التبَسَ» .

(٣) « بيبة » بكسر الباء الأولى ، كما ضبطت فى كل الأصول ، وبحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : اشتقاقُ بِيبَةَ من البِيبِ ، والبِيبُ مَسِيلُ الماءِ من مُفرَّغِ الدَّلْوِ إلى الحوض » . وضبطه المرصفى بفتح الباء الأولى ، وقال : « هو بيبة بن سفيان بن مجاشع » . وكذلك ضبط بالقلم فى اللسان والقاموس . وفى الاشتقاق لابن دريد (ص ١٤٧) مانصه : « الحرث بن بَيْبَةَ . وَالبَيْبَةُ المِثْعَبُ الذى ينصبّ منه الماء إذا أُفرغ من الدلو فى الحوض . وهو البَيْبُ والبَيْبَةُ » وضبطت كلها فى الاشتقاق بالقلم بفتح الباء الأولى . وكذلك ضبط « البيب » بالقلم بفتحها فى الجمهرة (ج ٣ ص ١٩٨) وأما القاموس واللسان فانهما ضبطا « البيب » و « البيبة » بكسرها ، وضبطا اسم الرجل ، بالفتح . والظاهر عندى أن مافى أصول الكامل أصح ، وأنه فى اسم الرجل بالكسر أيضا . وقد مضت الأبيات الثلاثة الأولى فى (ص ٩١٦) وضبط فيها بفتح الباء . وفى حاشية طبعة أوربة أن بعض النسخ بكسرها .

وقد ذكرنا « الضِّمارُ » ومعناه الغائبُ ، وأصلُهُ من قولك « أضْمَرْتُ الشيءَ » أي أخفيتهُ عنك ، ويقال : مالٌ عَيْنٌ، للحاضِرِ، ومالٌ ضِمارٌ، للغائب، قال الأعشى :

ومَن لَّاتَضيعُ له ذِمَّةٌ فيَجْعَلها بعد عَيْنٍ ضِمارَا

وقال أيضاً :

تَرَانَا إذا أَضْمَرَتْكَ البِلا دُ نُجْفَى وتُقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمْ[1]

والفعلُ من هذا « أَضْمَرَ يُضْمِرُ » والمفعولُ به « مُضْمَرٌ » والفاعل « مُضْمِرٌ » و « الضِمارُ » اسمٌ للفعل فى معنى الإِضمار . وأسماءُ الأفعالِ تَشْرَكُ[2] المصادِرَ فى معانِيها ، تقول : أعطيتُه عَطاء ، فيَشْرَكُ العَطاءُ الإعْطاءَ فى معناه ، ويُسمَّى به المفعولُ : وتقول : كلَّمتُه تكليماً وكِلَّامًا ، فى معناه ، والمصدرُ يُنْعَتُ به الفاعلُ فى قولك : رجلٌ عدلٌ ، ورجلٌ كرَمٌ، ورجلٌ نَوْمٌ، ويومٌ غَمٌّ وَغَيْمٌ ، ويَنعتُ به المفعولُ فى قولك : رجلٌ رِضًى، وهذا درهمٌ ضَرْبُ الأميرِ ، وجاءَنِى الخلْقُ ، تَعنِى[3] المخلوقين .

وقال رجلٌ من الخوارج فى ذلك اليومِ :

وكَأَيْنْ تَرَكْنا يومَ سُولَافَ منهمُ أُسارَى وقتْلَى فى الجحيم مَصِيرُها

قوله « وكَأَيْنْ » معناه : كَمْ ، وأصلُه كافُ التشبيه دخلتْ على « أيٍّ »

(١) فى ج و هـ و ف « أرَانَا » . وفى ف بيت آخر :

أَتانَا فلا رِمْتَ مِن عِندِنَا فإنَّا بِخَيْرٍ إذا لم تَرِمْ

(٢) فى ج و ف « تشارك » .

(٣) فى س و هـ و ف « يعنى » .

فصارتا بمنزلةِ كم ، ونظيرُ ذلك : له كذا وكذا درهماً ، إنما هى « ذا » دخلتْ عليها الكافُ ، والمعنى : له كهذا العددِ من الدراهم . فإذا قال : له كذا كذا درهماً ، فهو كناية عن أحدَ عشرَ درهماً إلى تسعةَ عشرَ ، لأنه ضمَّ العددَيْن ، فإذا قال : كذا وكذا ، فهو كنايةٌ عن أحدٍ وعشرين [درهما][1] إلى ماجازَ فيه العطفُ بعدَه . ولكن كَثُرَتْ « كأيِّ » فَخُفِّفَتْ ، والتثقيلُ الأصلُ ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ[2] ﴾ ﴿ وَكَأَيِّن مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ[3] مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ[4] ﴾ وقد قُرِئَ بالتَّخْفِيفِ[5] ، كما قال الشاعرُ :

وَكَاءٍ رَدَدْنَا عنكمُ مِن مُدَجَّجٍ ... يَجِيءُ أَمامَ الأَلْفِ يَرْدِي مُقَنَّعا[6]

وقال آخرُ :

وكَاءٍ تَرَى يومَ الغُمَيْصَاءِ مِن فَتًى ... أُصِيبَ ولم يُجْرَحْ وقد كان جارِحَا

قال أبو العباس : وهذا أكثرُ على ألسنتهم ، لطلب التخفيف ؛ وذلك الأصلُ ، وبعضُ العرب يَقْلِبُ فيقول : « كَيْءٍ[7] يافتى » فيؤخِّرُ الهمزةَ لكثرة الاستعمال ، قال الشاعرُ :

---

(١) الزيادة من ج و س و د و ه .

(٢) سورة الحج آية ٤٨

(٣) فى ا و د « قُتِلَ » وهى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو ويعقوب ، ووافقهم ابن محيصن واليزيدى . وقرأ باقى الأربعة عشر « قاتل » كما فى الاتحاف (ص ١٨٠) .

(٤) سورة آل عمران آية ١٤٦

(٥) أى بألف ممدودة بعد الكاف وبعدها همزة مكسورة منونة ، وهى قراءة ابن كثير وأبى جعفر .

(٦) « يردى » : يعدو . وأصل ذلك فى الخيل ، يقال رَدَى الفرسُ كرَمَى رَدْياً ورَدَيَاناً : إذا عدا فرجم الأرض بحوافره . والمقنع : المغطى بالسلاح . قاله المرصفى .

(٧) رسمت فى ج و س « كَيْءٍ » .

وَكَيْءٍ فى بنى دُودَانَ منهمُ   غداةَ الرَّوْعِ معروفًا كَمِىٌّ

⁂

[قال أبو العباسِ][١] : فأقام المهلبُ فى ذلك العاقُولِ[٢] ثلاثةَ أيامٍ ، ثم ارتحلَ والخوارجُ بِسِلَّى وَسِلَّيْرَى[٣] [قال الأخفش « سَلَّى » و « سَلَّيْرَى » بفتح السين فيهما ، موضعانِ بِالأهوازِ ، « وسِلَّى » بكسر السين موضعٌ بالبادية ، وهكذا يُنْشَدُ هذا البيتُ :

كأنَّ غديرهم بجَنُوبِ سِلَّى   نعامٌ قاقَ فى بـلدٍ قِفارِ]

فنزلَ قريبًا منهم ، فقال ابنُ المَاحُوزِ لأصحابه : ماتنتظرون بعدُوِّكم وقد هزمتموهم بالأمسِ وكسرتم حدَّهم ؟ فقال له وافدٌ مولَى أبى صُفْرَةَ : يا أميرَ المؤمنين ! إنما تفرَّقَ عنهم أهلُ الضعفِ والجُبْنِ ، وبَقِىَ أهلُ النَّجْدةِ والقُوَّةِ ، فإن أصبتَهم[٤] لم يكن ظفرًا هنيئًا ، لأنى أراهم لايُصابُون[٥] حتى يُصِيبوا ، فإنْ غَلَبُوا ذَهَبَ الدِّينُ ، فقالَ أصحابُه: نافقَ وافدٌ ! فقال ابنُ المَاحُوزِ: لا تَعْجَلُوا على أخيكم ، فإنه إنما قال هذا نظرًا لكم . ثم توَجَّهَ الزبيرُ[٦]

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .
(٢) فى ف « فى دير العاقول » .
(٣) فى هـ « بِسَلَّى وَسَلَّبْرَى » بفتح السينين وبالباء الموحدة فى الثانية بدل الياء التحتية . وفى ج « بِسَلَّى وَسِلَّبْرَى » بفتح السين فى الأولى ، وبكسر السين وكسر اللام المشددة وبالباء الموحدة فى الثانية ، وكذلك فى معجم البلدان إلا أنه بكسر السين فى الأولى أيضا .
(٤) فى ج و ف « أَصَبْتُمْ » .
(٥) فى ج و ف « لا أراهم يصابون » .
(٦) فى ج و س و د و هـ و ف « ثُمَّ وَجَّهَ الزُّبيرَ » .

بن عليّ إلى عسكر المهلَّبِ لينْظرَ ما حالهم ، فأتاهم في مِائَتَيْنِ ؛ فحَزَرَهمْ ورجع ، وأمرَ المهلَّبُ أصحابَه بالتّحارُسِ ، حتى إذا أصبح ركِبَ إليهم على تَعْبِيَةٍ صحيحةٍ ، فالتقَوْا بِسِلَّىٰ وَسِلَّبْرَى[1] فتصافُّوا ، فخرج من الخوارج مائةُ فارسٍ ، فركزوا رِماحَهم بين الصَّفَّيْنِ واتَّكئوا عليها ، وأخرج إليهم المهلَّبُ عِدادَهم ، ففعلوا مثلَ مافعلوا ، لايَرِيمُونَ إلاّ لِصلاةٍ[2] حتى أمْسَوْا ، فرجع كلُّ قومٍ إلى مُعَسْكَرِهِمْ ، ففعلوا هذا ثلاثةَ أيامٍ .

ثم إن الخوارجَ تَطاردُوا لهم في اليوم الثالثِ ، فحَمَلَ عليهم هؤلاء الفرسانُ يجولون ساعةً ، ثم إن رجلاً من الخوارج حَمَلَ على رجلٍ فطعنَهُ ، فحَمَلَ عليه المهلَّبُ فطعنه ، فحَمَلَ الخوارجُ بأجمعهم ، كما صنعُوا يوم سُولافَ ، فضَعْضَعوا الناسَ ، وفُقِدَ المهلَّبُ ، وثبتَ المغيرةُ في جمعٍ أكثرُهم أهلُ عُمانَ ، ثم نَجَمَ[3] المهلَّبُ في مائةِ فارسٍ ، وقد انغمسَتْ كَفَّاهُ في الدَّمِ ، وعلى رأسه قَلَنْسُوَةٌ مُرَبَّعَةٌ فوقَ المِغْفَرِ[4] مَحْشُوَّةٌ قَزًّا ، وقد تَمَزَّقتْ ، وإنَّ حَشْوَها لَيتَطَايرُ ، وهو يَلْهَثُ ، وذلك في وقتِ الظُّهْرِ ، فلم يَزَلْ

---

(١) في ج و د و هـ « بِسَلَّىٰ » . وفي ج « وَسَلَّبْرَى » .

(٢) في ا « إلا بصلاة » وبحاشيتها ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقال رَامَ يَرِيمُ رَيْمًا ، وما رِمْتُ عن المكان ، أي مابَرِحْتُ » .

(٣) « نجم » أي ظهر .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : المِغْفَرُ : الكبةُ من الزَّرَدِ . وقال المُهَلَّبِيُّ : المِغْفَرُ : الوِقَايَةُ لِلرَّأْسِ ، وهي حَلَقٌ يتقنَّعُ بها المُتَسلِّحُ ، وكذلك الغِفارَةُ . وَمِغْفَرُ البَيْضَةِ : ما فوقها مِن حَلَقِ الحَدِيدِ » .

يحاربُهم إلى الليلِ ، حتى كَثُرَ القتلُ فى الفريقين . فلما كان الغَدُ غاداهم ، وقد كَانَ وَجَّهَ بالأمسِ رجلاً من طاحِيةَ بن سُودِ بن مالك بن فَهْم بن الأزدِ[١] ، يَرُدُّ المنهزمينَ ، فمرَّ به عامرُ بن مسْمَعٍ فردَّه ، فقال : إن الأميرَ أذِنَ لى ، فبعَث إلى المهلَّبِ فأعلَمَه ، فقال : دَعْهُ ، فلا حاجةَ لى فى مثلِه من أهلِ الجُبْنِ والضَّعْفِ . وقد تفرَّقَ أكثرُ الناسِ ، فغاداهم المهلَّبُ فى ثلاثةِ آلاف ، وقال لأصحابه : ما بكُمْ مِن قِلةٍ ، أَيَعْجِزُ أحَدُكُمْ[٢] أن يَرْمِىَ برمحه ثم يتقدَّمَ فيأخُذَه ؟ ففعلَ ذلك رجلٌ من كِنْدَةَ يقال له عَيّاشٌ وقال المهلَّبُ لأصحابه : أعِدُّوا مَخالِىَ فيها حجارةٌ وارْمُوا بها فى وقتِ الغَفْلَةِ ، فإنها تَصُدُّ[٣] الفارسَ وتَصْرَعُ الراجلَ ، ففعلوا ، ثم أمر منادياً يُنادى فى أصحابِه ، يأمُرُهُمْ بالجِدِّ والصَّبْرِ ، ويُطْمِعُهُمْ فى العَدُوِّ ، ففعلَ ، حتى مرَّ ببَنِى العَدَوِيَّةِ ، من بنى مالك بن حَنْظَلَةَ ، فضرَبُوهُ ، فدعا المهلَّبُ بسيِّدهم ، وهو معاويةُ بن عَمْرٍو ، فجَعلَ يَرْكُلُهُ[٤] برِجْلِه ، وهذا معروفٌ فى الأَزْدِ ، فقال

---

(١) فى بعض النسخ « من الأزد » .

(٢) فى ج « أيُعْجِزُ أحَدَكم » .

(٣) فى هـ و ف « تَصُكُّ » .

(٤) بحاشية ا ما نصه : «المُهَلَّبِيُّ : الرَّكْلُ : ضَرْبُكَ الفرَسَ برِجْلِكَ لِيعْدُوَ ، ويقال لذلك الموضعِ الذى تُصِيبُهُ رِجْلُ الفارس المَرْكَلُ . ابنُ شاذانَ : الرَّكْلُ : الرَّفْسُ بالرِّجْلِ ، وَرَكَلَهُ يَرْكُلُهُ رَكْلاً ، والرَّكْلَةُ الرَّفْسَةُ . قال : وقال الخليلُ : الرَّكْلُ : الضربُ برجل واحدةٍ » .

[له][١] أصلَحَ اللهُ الأميرَ ، أعْفِنِى[٢] مِنْ أُمِّ كَيْسَانَ ، والرُّكْبَةُ[٣] تُسَمِّيها الأَزْدُ « أمّ كَيْسَانَ » . ثم حَمَلَ المهلَّبُ وحَمَلُوا ، فاقتتلوا قتالاً شديدًا ، فَجُهِدَ الخوارجُ ، فنادى مُنَادِيهم : أَلاَ إِنَّ المهلَّبَ قد قُتِلَ ، فركِبَ المهلَّبُ بِرْذَوْنًا قصيرًا أشْهَبَ ، وأقبلَ يَرْكُضُ بين الصَّفَّيْنِ ، وإنَّ إحْدَى يديه لَفِى القَباءِ وما يَشْعُرُ بها ، وهو يَصِيحُ : أَنَا المهلَّبُ ، فسَكَنَ الناسُ بعدَ أن كانوا قد ارتاعُوا وظَنُّوا أنَّ أميرَهم قد قُتِلَ ، وكَلَّ الناسُ مع العَصْرِ ، فصاحَ المهلَّبُ بابْنِه المُغيرةِ : تقَدَّمْ ، ففعَلَ ، وصاحَ بِذَكْوَانَ مَوْلاَهُ : قَدِّمْ رَايَتَكَ ، ففعَلَ ، فقال له رجلٌ من وَلَدِهِ : إنك تُغَرِّرُ بنفسِك ، فَذَمَرَهُ[٤] ، ثم صاحَ[٥] : يابنى تَميم ! أَآمُرُكُمْ فتَعْصُونَنى ؟! فتقَدَّمَ وتقدَّمَ الناسُ ،

(١) الزيادة من ج و س و د و ف .

(٢) فى ج و ف « عن » بدل « مِن » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « قال ابنُ شاذَانَ : هكذا قال المبرِّدُ الرُّكْبَةُ ، والصوابُ الرَّكْلَةُ ، وهي الرَّفْسَةُ » . وقد أصاب المبرد وأخطأ ابن شاذان ، ففى اللسان : « ورَكَبَ الرجلَ يركُبُه رَكْباً ، مثالُ كتب يكتُب كَتْباً : ضَرَبَ رُكْبَتَهُ ، وقيل : هو إذا ضَرَبَهُ بِرُكْبَتِهِ ... وفى حديث ابن سيرينَ : أَمَا تعرِفُ الأزدَ ورُكَبَهَا ، اتَّقِ الأزْدَ لايأخُذُوكَ فيَرْكُبُوكَ . أى يضربوك بِرُكَبِهِم . وكان هذا معروفا فى الأزد . وفى الحديث : أن المهلّبَ بن أبى صُفْرَةَ دعا بمعاويةَ بن أبى عمرٍو فجعلَ يَرْكُبُهُ بِرِجْلِهِ ، فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ، أَعْفِنِى من أم كَيْسَانَ ، وهى كُنيةُ الرُّكْبَةِ بلغةِ الأزدِ » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذَانَ : ذَمَرْتُ الرَّجُلَ أَذْمُرُهُ ذَمْرًا : إذا حضَضْتَهُ وتَذَامَرَ القومُ : إذا حَضَّضَ بعضُهم بعضاً » .

(٥) فى ج و د و هـ و ف « وصاح » .

واجْتَلَدُوا أشدَّ جِلادٍ ، حتى إذا كان مع المَسَاء(١) قتِلَ ابنُ المَاحُوز ، وانصرفَ الخوارجُ ، ولم يَشْعُرِ المهلَّبُ بقتلِه ، فقال لأصحابه : ابْغونِى رجلاً جَلْدًا يطُوفُ فى القَتْلَى ، فأشاروا عليه برجلٍ من جَرْمٍ ، وقالوا : إِنَّا لم نَرَ رجلاً قطُّ أشدَّ منه ، فطَوَّفَ ومعه النِّيرانُ ، فجَعَلَ إذا مَرَّ بجريحٍ من الخوارجِ قال : كافرٌ وربِّ الكعبةِ ، فأَجْهَزَ عليه ، وإذا مَرَّ بجريحٍ من المسلمين أَمَرَ بِسَقْيِهِ وَحَمْلِهِ .

وأقام المهلَّبُ فى عسكره يأمرُهم بالاحتراسِ ، حتى إذا كان نصفُ الليل(٢) وَجَّهَ رجلاً من الْيَحْمَدِ [قال الأخفشُ : الْيَحْمَدُ من الأزدِ ، والحَلِيلُ مِنْ بَطْنٍ منهم يقال لهمُ الفَرَاهِيدُ ، والفُرْهُودُ فى الأصلِ الحَمَلُ ، فإن نَسَبْتَ إلى الحَيِّ قلتَ « فَرَاهِيدِىٌّ » ، وإن نسبتَ إلى الحُمْلاَنِ قلتَ « فُرْهُودِىٌّ » لا غيرُ] فى عَشَرةٍ فصاروا إلى عسكرِ الخوارجِ ، فإذا(٣) القومُ قد تَحَمَّلُوا إلى أَرَّجَانَ ، فرجَعَ إلى المهلَّب فأعْلَمَهُ ، فقال : أنا لَهُمُ السَّاعةَ أَشدُّ خوفًا ، فاحْذَرُوا البيَاتَ .

⁂

قال أبو العباس : ويُرْوَى عن شُعْبَةَ بن الحَجَّاج أنَّ المهلَّبَ قال لأصحابه يومًا : إن هؤلاءِ الخوارجَ قد يَئِسُوا من ناحيتِكم إلاّ من جهة البيَاتِ ، فإن كان ذلك فاجْعَلُوا شعارَكُمْ حَمٓ لا يُنْصَرُونَ ، فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يأمُرُ بها(٤) . ويُرْوَى : أنه كان شعارَ أصحابِ علىِّ بن أبى طالبٍ صلواتُ الله عليه .

---

(١) فى ج « عند المساء » .
(٢) فى ج و س و د و هـ و ف « فى نصف الليل » .
(٣) فى ج و س و د و هـ و ف « وإذا »
(٤) ورد ذلك فى حديث رواه أبوداود والترمذى والحاكم وغيرهم من طريق المهلب بن أبى صفرة =

فلمّا أصبحَ المهلَّب غدَا عَلَى القَتْلَى ، فأصاب[1] ابنَ المَاحُوزِ فيهم ،
ففى ذلك يقول رجلٌ من الخوارج :

بِسِلَّىٰ وَسِلَّبْرَىٰ مَصارِعُ فِتْيَةٍ ... كِرامٍ وَجَرْحَى لم تُوَسَّدْ خُدُودُها

وقال آخرُ :

بِسِلَّىٰ وَسِلَّبْرَىٰ مصارِعُ فتيةٍ ... كِرامٍ وَعَقْرَى من كُمَيْتٍ ومن وَرْدِ[2]

وقال رجلٌ من موالى المهلَّب : لقد صرعتُ يومئذٍ بحَجَرٍ واحدٍ ثلاثةً ، رميتُ به رجلاً فأصبتُ أَصْلَ أُذُنِهِ فصَرَعْتُهُ ، ثم أخذتُ الحجرَ فضربتُ به آخَرَ على هامَتِه فصرعتُه ، ثم صرعتُ به ثالثاً .

وقال رجلٌ من الخوارج :

أَتانَا بأحْجارٍ ليقتلَنا بِهَا ... وهل تُقْتَلُ الأَبْطالُ وَيْحَكَ بالحَجَرْ

وقال رجـلٌ من أصحابِ المهلَّبِ فى يومِ سِلَّىٰ وَسِلَّبْرَى[3] وقَتْلِ ابنِ المَاحُوزِ :

وَيومَ سِلَّىٰ وَسِلَّبْرَى أحاط بهم ... مِنَّا صَواعِقُ ما تُبْقِي وَلا تَذَرُ[4]

= عن بعض الصحابة ، وفى حديث رواه النسائى والحاكم عن البراء بن عازب ، وفى أحاديث أخر ، انظرها فى الدر المنثور للسيوطى (ج ٥ ص ٣٤٥) .

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « فأصابوا » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « بِسَلَّىٰ وسِلَّبْرَى » .

(٣) فى ج و د « سَلَّىٰ وَسِلَّبْرَى » .

(٤) فى ج « ماتبقى وما تذر » . وفى ف « لاتبقى ولا تذر » . وبحاشية ا مانصه : « قال ابنُ شاذَانَ : الصَّعْقُ أن يَسمعَ الإنسانُ الهَدَّةَ الشديدةَ فيَصْعَقُ لذلك =

حتى تَرَكْنا عُبَيْدَ اللهِ مُنْجَدِلًا كما تَجَدَّلَ جِـــذْعٌ مالَ مُنْقَعِرُ

قال أبو العباسِ : تقولُ العربُ « صاعقةٌ وَصَوَاعِقُ » وهو مذهبُ أهل الحجازِ ، وبه نزلَ القرآنُ ، وبنو تَميمٍ يقولون « صاقِعةٌ وَصَوَاقِعُ » .

و« المُنْقَعِرُ » المُنْقَلِـعُ من أصلِه . قال اللهُ أصدقُ القائلينَ : ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ [1] ﴾ .

ويُرْوَى : أن رجلاً من الخوارج يومَ سَلَّى حَمَلَ على رجلٍ من أصحاب المهلَّبِ فطَعَنَه ، فلما خالطَه الرمحُ صاح : ياأُمَّتَاهْ ! فصاح به المهلَّبُ : لا كَثَّرَ اللهُ بمثلِك المسلمينَ ، فضَحِكَ الخارجيُّ وقال :

أُمُّكَ خيرٌ لَكَ مِنِّي صَاحِبًا تَسْقِيكَ مَحْضًا وتَعُلُّ رائبًا

وكان المغيرةُ بنُ المهلَّبِ إذا نَظَرَ إلى الرماحِ قد تشَاجَرَتْ فى وجهه نَـكَسَ [2] على قَرَبُوسِ سَرْجِـــه [3] وحَمَلَ مِن تحتِها فبَرَاها بسيفِه وأَثَّرَ فى أصحابِها ، حتى تخَرَّمَتِ المَيْمَنَةُ من أجْلِهِ . وكان أشدَّ ما تكونُ الحربُ أشدَّ ما يكونُ تبسُّمًا ، فكان المهلبُ يقولُ : ما شهِدَ مَعِى حربًا قطُّ إلاَّ رأيتُ البُشْرَى فى وَجْهِهِ .

= وَيَذْهَبُ عقلُهُ ، والصاعقةُ من هذا اشتقاقُها ، لِشِدَّةِ هَدَّتِهَا ، وإنما قلَبُوا فقالوا صاقِعةٌ » .

(١) سورة القمر آية ٢٠

(٢) بحاشية ا ما نصه : « نَـكَسْتُ الشيءَ أَنْـكُسُهُ نَـكْسًا : إذا قَلَبْتَهُ على رأسِهِ » .

(٣) فى ج و س و د و هـ و ف « على قربوس السرج » .

وقال رجلٌ من الخوارج فى هذا اليوم :

فإن تكُ قتلى يومَ سِلَّى تتابعتْ فكم غادرت أسيافُنا من قُماقِمِ[١]

غـداةَ نكُرُّ المَشْرَفيّةَ فيهمُ بِسُولافَ يومَ المـأزِقِ المُتلاحِـمِ

« المـأزِقُ » هو يومُ تضايُقِ الحربِ . و « المُتلاحِمُ » نعتٌ له .

و« المَشْرَفِيّةُ » السُّيُوفُ ، نُسِبَتْ إلى المَشَارِفِ مِنْ أرضِ الشَّأمِ . وهو الموضعُ الملقَّبُ مُوتَةَ[٢] الذى قُتِلَ به جعفرُ بن أبى طالب وأصحابُه .

[قال الأخفشُ : كان المبرِّدُ لايهمِزُ « مُوتَةَ » . ولم أسمَعْها من علمائنا إلاَّ بالهمزِ] .

☆

قال أبو العباس : فكتب المهلب إلى الحرثِ بن عبد الله بن أبى ربيعة القُبَاعِ :

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعدُ : فإنا لَقِينَا الأزارقةَ المارقةَ ، بجَدٍّ وَجِدٍّ ، فكانتْ فى الناس جَوْلَةٌ ، ثم ثابَ أهلُ الحِفاظِ والصبرِ ، بنِيَّاتٍ صادقةٍ ، وأبدانٍ شدادٍ ، وسيوفٍ حِدادٍ ، فأعقبَ اللهُ خيرَ عاقبةٍ ، وجاوزَ بالنعمةِ مقدارَ الأمَلِ ، فصاروا دَرِيئَةَ[٣] رِماحِنَا ، وضَرائبَ سيوفِنا ،

---

(١) بحاشية ا مانصه : « المهلَّبِيُّ : رجلٌ قُماقِمٌ وقُمْقامٌ ، وهو السَّيِّدُ ، واشتقاقهُ من قولهم بحرٌ قَمْقَامٌ ، للكثيرِ الماءِ » .

(٢) فى ج و س و د و هـ و ف « بموتة » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : الدَّرِيئةُ مهموزٌ : الحَلْقَةُ التى يتعلَّمُ فيها الرَّمْيُ وَالطَّعْنُ . وَالدَّرِيَّةُ بغير همزٍ : التى يَستترُ بها الصائدُ » .

وقَتَلَ اللهُ أميرَهُمُ ابنَ المَاحُوزِ ، وأرجو أن يكونَ آخرُ هذه النعمة كأوَّلِهَا ، والسلام .

فكَتَبَ إليه القُبَاعُ :

قد قرأتُ كتابَكَ يا أخا الأَزْدِ ، فرأيتُك قد وَهَبَ اللهُ لك شرفَ الدنيا وعِزَّها ، وذَخَرَ لك ثوابَ الآخرةِ إن شاء اللهُ وأَجْرَها ، ورأيتُك أوثقَ حُصونِ المسلمين ، وهادَّ أركانِ المشركين ، وأَخَا السياسةِ وذَا الرِّياسةِ ، فاسْتَدِمِ الله بشكره ، يُتْمِمْ عليك نِعَمَهُ ، والسلام .

وكَتَبَ إليه أهلُ البصرة يُهَنِّئُونَهُ ، ولم يكتب إليه الأَحنفُ ، ولكن قال : اقْرَؤُا عليه السلام ، وقولوا له : أَنَا لَكَ على ما فارقتُك عليه . فلم يَزَلْ يقرأُ الكتبَ ويَلْتَمِسُ فى أَضْعافِها كتابَ الأحنف ، فلمَّا لم يَرَهُ قال لأصحابه : أمَا كَتَبَ إلينا ؟ فقال له الرسول : حمَّلنى إليك رسالةً ، وأبلغَهُ ، فقال : هذه أحبُّ إلىَّ من هذه الكتب .

⁂

واجتمعت الخوارجُ بأرَّجَانَ ، فبايَعوا الزُّبيرَ بن علىٍّ ، وهو من بنى سَليطِ بن يَرْبُوعٍ ، مِن رَهْطِ ابنِ المَاحُوزِ ، فرأى فيهم انكسارًا شديدًا وضَعْفاً بيِّنًا ، فقال لهم : اجْتَمِعُوا ، فَحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه وصلَّى على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم أَقْبَلَ عليهم فقال : إنَّ البلاءَ للمؤمنين تَمْحيصٌ[1] وأجرٌ ،

---

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : التَّمْحِيصُ : التطهيرُ من الذُّنوبِ . قال الله عزَّ وَجَلَّ : ولِيُمَحِّصَ اللهُ الذين آمَنُوا » .

وهو على الكافرين عُقوبةٌ وخِزْىٌ ، وَإِنْ يُصَبْ منكم أميرُ المؤمنين فما صار إليه خيرٌ مما خَلَّفَ ، وقد أصبتُم منهم[١] مُسْلِمَ بن عُبَيْسٍ ، ورَبيعاً الأَجْذَمَ ، والحجّاج بنَ بابٍ ، وحارِثَةَ بنَ بدرٍ ، وأَشْجَيْتُمُ المهلَّبَ ، وقتلتم أخاهُ المُعارِكَ ، واللهُ يقولُ لإخوانكم من المؤمنين : ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فقدْ مَسَّ القومَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ، وتلكَ الأَيَّامُ نُداوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[٢] فيومُ سِلَّى كان لكم بلاءً وتمحيصاً ، ويومُ سُولافَ كان لهم[٣] عُقوبةً ونَكالاً ، فلا تُغْلَبُنَّ على الشُّكْرِ فى حِينِهِ ، والصَّبْرِ فى وقتِه ، وثِقُوا بأنكم المستَخْلَفون فى الأرضِ ، والعاقبةُ للمتَّقين .

ثم تَحَمَّلَ لمحاربة المهلَّبِ ، فنفحَهُمُ المهلَّبُ نَفحَةً ، فرجَعوا ، فأَكْمَنَ للمهلَّبِ فى غَمْضٍ من غُمُوض الأرضِ[٤] ، يَقْرُبُ[٥] من عسكره : مائةَ فارس ليَغْتَالُوه ، فسار المهلَّبُ يومًا يطوفُ بعسكره ويتفقَّد سَوَادَه ، فوقَفَ على جبلٍ فقال : إن من التَّدْبير لهذه المارقة أن تكونَ قد أَكْمَنَتْ فى سَفْحِ هذا الجبلِ كَميناً ، فبعثَ عَشَرَةَ فوارس ، فاطَّلَعُوا على المِئَةِ ، فلما عَلِمُوا أنهم قد عَلِمُوا بهم قَطَعوا القَنْطَرَةَ ونَجَوْا ، وكَسَفَتِ الشمسُ ، فصاحوا بهم :

---

(١) فى ج و س و هـ و ف « فيهم » .

(٢) سورة آل عمران آية ١٤٠

(٣) فى ج و ف « كان عليهم » .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « المهلَّبِىّ : الغَمْضُ : المطمَئِنُّ من الأرض ، والجمع أغماضٌ وغموضٌ » .

(٥) فى ج و س و د و هـ و ف « بِقُرْبٍ ».

يا أعداءَ الله ! لو قامتِ القيامةُ لَجَدَدْنا فى جهادكم . ثم يَئِسَ الزُّبيرُ من ناحية المهلَّب ، فضَرَبَ إلى ناحية أَصْبَهَانَ ، ثم كَرَّ راجعًا إلى أَرَّجَانَ . وقد جمع جموعًا ، وكان المهلَّبُ يقولُ : كأنِّى بالزُّبير وقد جمع جموعًا ، فلا تُرْهَبُوهُمْ فَتَخْبُثَ قلوبُكم ، ولا تُغْفِلُوا الاحتراسَ فيَطْمَعُوا فيكم . فجاؤوه من أَرَّجَانَ فألفَوْهُ مُسْتَعِدًّا آخذًا بأفواه الطُّرقِ ، فحاربوه ، فظهر عليهم ظهورًا بيِّنًا .

ففى ذلك يقول رجلٌ من بنى تميمٍ ، أَحْسِبُهُ من بنى رِيَاحِ بن يَرْبُوع :

سَقَى اللهُ المهلَّبَ كلَّ غَيْثٍ ... من الوَسْمِىِّ يَنْتَحِرُ انتحارَا

فما وَهَنَ المهلَّبُ يومَ جاءتْ ... عَوابسُ خَيْلِهم تَبْغِى الغِوارَا

وقال المهلَّبُ يومئذٍ : ماوقعتُ فى أمرٍ ضَيِّقٍ من الحرب إلَّا رأيتُ أمامى رجالاً من بنى الهُجَيْمِ بن عَمْرِو بن تميمٍ يُجالِدُونَ ، وكأَنَّ لحاهُمْ أذنابُ العقَاعِقِ . وكانوا صَبَرُوا معه فى غيرِ مَوطِنٍ .

وقال رجلٌ من بنى تميمٍ ، من بنى عَبْشَمْسِ بن سَعْدٍ :

أَلَا يا مَنْ لِصَبٍّ مُسْتَحِنٍّ ... قَرِيحِ القلبِ قد صحِبَ المَزُونَا(١)

لَهَانَ على المهلَّبِ مالَقِينا ... إذا ما راحَ مسرورًا بَطِينَا

يَجُرُّ السَّابِرِىَّ ونحنُ شُعْثٌ ... كأنَّ جلودَنا كُسِيَتْ طَحِينَا(٢)

« المَزُونُ » عُمانُ ، وهو اسم من أسمائها ، قال الكُمَيْتُ :

فأَمَّا الأَزْدُ أَزْدُ أبى سعيدٍ ... فأَكْرَهُ أن أُسَمِّيَهَا المَزُونَا

---

(١) « مستحن » بالحاء المهملة ، من قولهم استحنه الشوق الى وطنه : استطربه ، قاله المرصفى .
(٢) « السابرىّ » من الثياب : ما كان رقيقاً .

وقال جريرٌ :

وأَطْفأتَ نِيرانَ المَزُونِ وأهلِها ... وقد حاولوها فتنة أَن تُسَعَّرَا

وَحمل يومئذٍ الحَرِيشُ بن هِلالٍ على قيسِ الإكافِ ، وكان قيسٌ من أَنْجَدِ فُرْسانِ الخوارج ، فطعنه فَدَقَّ صلبَهُ ، وقال :

قَيْسُ الإكافِ غَداةَ الرَّوْعِ يَعْلَمُنِى ... ثَبْتَ المَقَامِ إذا لاقيتُ أَقرانِى

☆

وقد كان فَلُّ المهلَّبِ يومَ سِلَّى وَسِلَّبْرَى(١) صاروا إلى البصرةِ ، فذكروا أنَّ المهلَّبَ أُصيبَ ، فَهَمَّ أهلُ البصرة بالنُّقلةِ إلى البادية ، حتى وَرَدَ كتابُه بظَفَرِه ، فأقام الناسُ ، وتَرَاجَع من كان ذَهب منهم ، فعند ذلك يقولُ الأَحنفُ بن قيسٍ : البصرةُ بصرةُ المهلَّبِ . وَقدِمَ رجلٌ من كِنْدَةَ يقال له فلانُ بنُ أَرْقَمَ ، فنَعَى ابنَ عمٍّ له ، وقال : رأيتُ رجلاً من الخوارجِ وقد مَكَّنَ رمحَه من صُلْبِه ، فقدِمَ المَنْعِيُّ ، فقيلَ له ذلك ، فقال : صَدَقَ ابنُ أرقم لما أَحْسَسْتُ برمحه بين كَتِفَىَّ صحتُ [به](٢) البَقِيَّةَ ! فرفعَه عنِّى ، وتلا : ﴿ بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(٣) ﴾ .

ووَجَّهَ المهلَّبُ بعقِبِ هذه الوَقْعَةِ رجلاً من الأَزْدِ برأس عُبَيْدِ الله بن بَشِيرِ بن المَاحُوزِ إلى الحَرثِ بن عبد الله بن أبى ربيعة القُبَاعِ ، فلما صار بِكَرْبُجِ دِينارٍ(٤) لَقِيَهُ حَبِيبٌ وعبدُ الملك وعلىٌّ بنو بَشِيرِ بن الماحوزِ

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « وسلبرى » بالموحدة .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

(٣) سورة هود آية ٨٦

(٤) « كربج دينار » ضبط فى الأصول بضم الباء وفتحها . وهو موضع قريب من الأهواز .

فقالوا له : ما الخبرُ ؟ ولا يَعرِفُهم ، فقال : قَتَلَ اللهُ المارقَ ابنَ الماحُوزِ ، وهذا رأسُه مَعِى ! فوَثَبُوا عليه فقتلوه وصلبوه ودفنُوا الرأسَ ، فلما وَلِىَ الحجّاجُ دخل عليه علىُّ بن بَشِير ، وكان وَسِيماً جَسِيماً ، فقال : مَن هذا ؟ فخُبِّرَ فقَتَله ، ووهبَ ابنَه الأَزْهَرَ وابنَتَهُ لأهل الأَزْدِىِّ المقتولِ ، وكانت زينب بنتُ بَشِير لهم مُواصِلَةً ، فوهبوهما لها .

فلم يَزَلِ المهلَّب يقاتِلُ الخوارجَ فى وِلايَةِ الحْرِثِ القُبَاعِ ، حتى عُزِلَ الحْرِثُ ووُلِّىَ[1] مُصْعَبُ بن الزُّبير ، فكَتَبَ إليه أَنْ أَقْدَمْ علىَّ واستخلِفِ ابنَك المغيرةَ ، ففعل ، فجمعَ الناسَ فقال لهم : إنى قد استخلفتُ عليكم المغيرةَ ، وهو أبو صغيرِكم رِقَّةً ورحمة ، وابنُ كبيرِكم طاعةً وبِرًّا وتبجيلاً ، وأخو مِثْلِه مُواساةً ومُناصحةً ، فَلْتَحْسُنْ له طاعتُكُمْ ، ولْيَلِنْ له جانبُكم ، فوالله ما أردتُ صوابًا قطُّ إلّا سبقنى إليه . ثم مَضَى إلى مُصْعَبٍ ، وكتب مصعبٌ إلى المغيرة بولايته ، وكَتَبَ إليه : إنك لم تَكُنْ كأبيك ، فإنك كافٍ لِمَا وَلَّيْتُكَ ، فشَمِّرْ واتَّزِرْ وجِدَّ واجْتَهِدْ .

⁂

ثم شَخَصَ المُصْعَبُ إلى المَذارِ[2] ، فقَتَلَ أَحْمَرَ بنَ شُمَيْطٍ ، ثم أَتَى الكوفةَ فقَتَلَ المختارَ بن أبى عُبَيْدٍ . وقال للمهلَّبِ : أَشِرْ علىَّ برجلٍ أَجْعَلْه بينى وبين عبد المَلِكِ ؟ فقال [له][3] : أَذْكُرُ لك واحدًا من ثلاثةٍ : محمدَ بن

---

(١) فى ج و د و هـ « وَوَلِىَ » .

(٢) « المذار » بفتح الميم وتخفيف الذال المعجمة : بلد فى ميسان بين واسط والبصرة ، وهى قصبة ميسان ، بينها وبين البصرة أربعة أيام .

(٣) الزيادة من ج و د و هـ و ف .

عُمَيْرِ بن عُطَارِدٍ الدارِمِىَّ ، أو زِيَادَ بن عمرِو بن الأشْرَف العَتَكِىَّ ، أو دَاوُدَ بن قَحْذَمٍ ، فقال : أَوَ تَكْفِينِى ؟ قال : أَكْفِيكَ إن شاء اللهُ ، فولاَّه المَوْصلَ ، فشَخَصَ المهلَّب إليها .

وصار مُصْعَبٌ إلى البصرة ، فسأَل مَنْ يَسْتَكْفِى أمرَ الخوارجِ ويَفِدُ إلى أخيه ، فشاوَرَ الناسَ ، فقال قومٌ : وَلِّ عُبيدَ الله بن أبى بكْرَةَ ، وقال قومٌ : وَلِّ عُمَرَ بن عُبيد الله بن مَعْمر ، وقال قومٌ : ليس لهم إلاَّ المهلَّبُ فارْدُدْهُ إليهم .

وبلَغتِ المَشُورةُ الخوارجَ ، فأداروا الأَمْرَ بينهم ، فقال قطرىُّ بن الفُجَاءةِ المازنىُّ : إنْ جاءكم عُبيدُالله بن أبى بَكْرَةَ أتاكم سَيِّدٌ سَمْحٌ جوادٌ كريمٌ مُصِيعٌ لعسكره[1] ، وإن جاءكم عُمر بن عُبيدالله [بن معْمَرٍ][2] أتاكم شجاعٌ بَطَلٌ فارسٌ جادٌّ ، يقاتلُ لِدِينِهِ ومُلْكِهِ ، وبطبيعةٍ لم أَرَ مثلَها لأحدٍ ، فقد شَهِدتُهُ فى وقائعَ فما نُودِىَ فى القوم لحربٍ إلّا كان أولَ فارسٍ يطلُعُ حتى يَشُدَّ على قِرْنِهِ فيَضْرِبَه ، وإن رُدَّ المهلَّبُ فهو مَنْ قد عرفتموه : إنْ أَخذتم بطَرف ثوبٍ أَخَذَ بطرفه الآخَرِ ، يَمُدُّه إذا أرسلتموه ، ويُرْسِله إذا مددتُموهُ ، لايَبْدَؤُكم إلّا أن تبْدَؤُوه ، إلّا أن يَرَى فُرْصَةً فينتهزَها ، فهو الليث المُبِرُّ[3] ، والثعلبُ الرَّوَّاغُ ، والبلاءُ المقيمُ .

---

(١) « مصيع » بالصاد المهملة ، أى يرهبهم فيطيعونه ، من قولهم « صاعه يصوعه ويصيعه » واوى ويائىّ ، بمعنى خوّفه . وفى نسخة المرصفى بالضاد المعجمة ، وهو خطأ ، وإن وافق نسختى ج و د .

(٢) الزيادة من ج و د .

(٣) « المبرّ » أى الغالب . من قولهم أَبَرَّ عليهم : إذا غلبهم .

فوَلّى عليهم عُمرَ بن عُبَيْدِ الله ، وولاّه فارسَ ، والخوارجُ بأرَّجانَ ، وعليهم الزَّبيرُ بن عليّ السَّلِيطِيُّ ، فَشَخَصَ إليهم فقاتلهم ؛ وألَحَّ عليهم حتى أخرجهم عنها ، فألحقهم بأصْبهَان ، فلمَّا بلغ المهلَّبَ أن مصعباً وَلَّى عُمرَ بن عُبيد الله قال : رماهُمْ بفارس العربِ وفتاها .

فَجمَعُوا له وأعدُّوا واستمدُّوا ؛ ثم أَتَوْا سابُورَ ، فسارَ إليهم حتى نزلَ منهم على أربعةِ فراسِخ ، فقال له مالكُ بن حَسَّانَ الأَزْدِيُّ : إن المهلَّبَ كان يُذْكِي العيونَ ، ويخافُ البياتَ ، ويَرْتَقِبُ الغفلةَ ، وهو على أبْعَدَ مِن هذه المسافةِ منهم ، فقال له عمر اسكتْ خلَعَ الله قلبَك ! أتُراكَ تموتُ قبلَ أجَلِك؟!

فأقامَ هناك ، فلما كان ذاتَ ليلةٍ بَيَّتَهُ الخوارجُ ، فخرج إليهم فحاربهم حتى أصبحَ ، فلم يَظْفَرُوا منه بشيء ، فأقبلَ على مالكِ بن حَسَّانَ فقال : كيف رأيتَ ؟ قال : قد سَلَّمَ الله عزّ وجلّ ، ولم يكونوا يَطمعون مِنَ المهلَّبِ بمثلها ، فقال : أَمَا إنكم لو ناصحتمونِي مُناصحتَكم المُهَلَّبَ لَرَجَوْتُ أن أنْفِيَ هذا العدوَّ، ولكنكم تقولون : قُرَشِيٌّ حجازيٌّ بعيدُ الدارِ، خيرُهُ لغيرنا ، فتقاتلون معي تَعْذِيراً(١) .

⁂

ثم زَحَفَ إلى الخوارجِ من غدِ ذلك اليوم ، فقاتَلَهم قتالا شديداً ، حتى ألجأهُمْ إلى قنطرةٍ ، فتكاثفَ الناسُ عليها حتى سقطت ، فأقام حتى أصلَحها ، ثم عَبَرُوا ، وتقدَّم ابنُه عبيدُ الله بن عمَر ، وأمُّه من بني سَهْمِ بن عَمرو

---

(١) قال المرصفى : « من قولهم قام فلان قيام تعذير فيما استكفيته : إذا لم يبالغ فى القيام به ، بل قصرّ فيه » .

بن هُصَيْصِ بن كَعْبٍ ، فقاتلهم حتى قُتِلَ . فقال قَطَرِيٌّ : لا تقاتلوا عمرَ اليومَ فإنه مَوْتُور. ولم يَعلم عمر بقتل ابنه . حتى أَفْضَى إلى القوم ، وكان مع ابنه النعمانُ بن عَبَّادٍ . فصاح به : يانعمانُ ! أَين ابنى ؟ فقال : احْتَسِبْهُ [أيُّها الأميرُ][1] فقد اسْتُشْهِدَ رحمه الله صابرًا مُقبلاً غيرَ مُدْبِر . فقال : إنَّا لله وَإنَّا إليه راجعون . ثم حمل على الناس حَمْلَةً لم يُرَ مثلُها . وحمل أصحابُه بحَملتِهِ ، فقتلوا فى وجْهِهم ذلك تسعين رجلاً من الخوارج ، وحَمل على قَطَرِيٍّ فضربه على جبينه ففَلَقَهُ . وانهزمت الخوارجُ ، وانتَهَبَها . فلما استقرُّوا قال لهم قَطَرِيٌّ أمَا أشرتُ عليكم بالانصراف ؟ فجعلوه وُجُوههم حتى خَرجوا من فارسَ .

وتلقَّاهم فى ذلك الوقتِ الفِزْرُ بن مِهْزَمٍ[2] العَبْدِيُّ . فسألوه عن خبره ؟ وأرادُوا قتلَه ! فأقبل على قَطَرِيٍّ فقال : إنى مؤمنٌ مهاجرٌ ، فسأله عن أقاويلهم ؟ فأجاب إليها ، فخلَّوْا عنه ، ففى ذلك يقول فى كلمةٍ له :

وشَدُّوا وَثاقِى ثم أَلْجَوْا خُصُومَتِى ... إلى قَطَرِىٍّ ذى الجَبينِ المُفَلَّقِ[3]

وحاجَجتُهُمْ فى دِينِهم وحَجَجْتُهُمْ ... وما دِينُهم غيرُ الهوَى والتَخَلُّقِ

ثم إنهم تراجعُوا وتكانفُوا . [قال الأخفشُ : « تكانفوا » أعانَ بعضُهم بعضًا واجتمعوا وصار بعضُهم فى كَنَفِ بعضٍ] وعادُوا إلى ناحيةِ أَرَّجَانَ ، فسار إليهم عمر ، وكَتَبَ إلى مُصْعَبٍ : أما بعدُ . فإنى قد لَقِيتُ الأَزارقةَ ،

---

(١) الزيادة من ج و س و هـ و ف .

(٢) فى ج و د و هـ « مُهَزِّم » .

(٣) « ألجوا » قال المرصفى : «حذف همزة ألجأ وأسنده إلى الضمير » .

فرزقَ اللهُ عُبيْدَ الله بن عُمر الشهادةَ ، ووَهَبَ له السعادةَ ، ورزقَنا عليهم الظَّفَرَ ، فتفرَّقُوا شِذَرَ مِذَرَ(١) ، وبلغَتْنِي عنهم عَوْدةٌ ، فيمَّمْتُهم ، وبالله أستعينُ وعليه أتوكلُ .

فسار إليهم ومعه عطيةُ بن عَمرٍو ومُجَّاعةُ بن سَعيدٍ ، فالتقَوْا ، فألحَّ عليهم حتى أخرجهم ، وانفردَ [عمر](٢) من أصحابه ، فعَمَدَ له أربعةَ عشرَ رجلاً منهم ، مِن مَذْكوريهم وشُجْعانهم ، وفى يده عَمودٌ ، فجعل لا يضربُ رجلاً منهم ضربةً إلا صرَعَهُ . فركَضَ إليه قَطَرِىٌّ على فرس طِمِرّ(٣) ، وعُمر على مُهْرٍ ، فاستعلاه قَطَرِىٌّ بقوة فرسه حتى كاد يَصْرَعُهُ ، فبَصُرَ به مُجَّاعةُ فأسرع إليه ، فصاحت الخوارجُ بقطرىّ : ياأبا نَعامة ! إنَّ عدوَّ الله قد رَهِقَك ، فانحطَّ قطرىٌّ عن قَرَبوسِهِ(٤) ، فطعنه مُجَّاعةُ ، وعلى قطرىّ درعان فهتَكهما ، وأسرعَ السِّنانُ فى رأس قطرىّ ، فكَشَطَ عنه جلدةً ونجَا .

وارتحلَ القومُ إلى أَصْفَهَانَ(٥) فأقاموا [بها](٦) بُرْهَةً ، ثم رجَعوا إلى الأهواز ، وقد ارتحل عمر بن عُبيد الله إلى إِصْطَخْرَ ، فأمرَ مُجَّاعةَ فَجَبَي

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شَاذَانَ : يقال تفرَّقَ القومُ شِذَرَ مِذَرَ : كلمةٌ تقال عند التفرق » . والكلمتان فى كل الأصول بكسر الشين والميم ، ويجوز فتحهما أيضاً .

(٢) الزيادة من ف .

(٣) فى ج ز س و د و هـ و ف « طِمِرَّةٍ » . والطمرّ : الطويل القوائم الخفيف ، أو هو المستفزّ للوثب والعدو ، والأنثى طمرة .

(٤) فى ج « عن قربوس فرسه » . وفى س و ف « عن قربوس سرجه » .

(٥) فى ج و س و د و ف « أصبهان » .

(٦) الزيادة من ج و ف .

الخراجَ أسبوعًا ، فقال [له] :(١) كم جَبيْتَ ؟ قال : تِسْعِمائَةِ ألفٍ ، فقال : هى لك ، فقال يزيدُ بن الحَكَمِ الثقفىُّ لمُجَّاعَةَ :

ودَعاكَ دَعْوَةَ مُرْهَقٍ فأجبتَه ... عُمَرٌ وقد نَسِىَ الحياةَ وضَاعَا

فَرَدَدتَ عاديةَ الكتيبةِ عن فتًى ... قد كاد يُتركُ لَحْمُهُ أوْزاعَا

وعُزِلَ مُصْعَبُ بن الزبير ووُلِّىَ(٢) حمزةُ بن عبد الله بن الزبير ، فوجَّه المهلَّبَ إليهم ، فحاربهم فأخرجهم عن الأهواز ، ثم رُدَّ مصعبٌ والمهلبُ بالبصرة ، والخوارجُ بأطرافِ إصْبَهَانَ ، والوالى عليها عَتَّابُ بن ورقاءَ الرِّيَاحِىُّ ، فأقام الخوارجُ هناك شيئًا يجْبُونَ القُرَى ، ثم أقبلوا إلى الأهواز من ناحية فارسَ ، فكَتَب مُصْعَبٌ إلى عُمَر بن عبيد الله : ما أنصفتَنَا ، أقمتَ بفارسَ تجبى الخراجَ ومثلُ هذا العدوِّ يحاربُك ، والله لو قاتلتَ ثم هربتَ لكان أعْذَرَ لك . وخرج مصعبٌ من البصرة يريدهم ، وأقبلَ عمر بن عبيد الله يريدهم ، فتنحَّى الخوارجُ إلى السُّوسِ ، ثم أتَوُا المدائنَ ، فقتلوا أحْمَرَ طَيِّئٍ ، وكان شجاعًا ، وكان من فُرْسانِ عُبيد الله بن الحُرِّ ، ففى ذلك يقولُ الشاعرُ :

تركتم فتى الفِتْيَانِ أحْمَرَ طَيِّئٍ ... بِسَاباطَ لم يَعْطِفْ عليه خليلُ

ثم خرجوا عامدين إلى الكوفة ، فلما خالطوا سوادَها ، وواليها الحرثُ بن عبد الله القُباعُ ، فتثاقَلَ عن الخروجِ ، وكان جبانًا ، فذَمَرَه(٣) إبرهيمُ بن الأشْتَرِ ، ولامَهُ الناسُ ، فخرج متحامِلًا حتى أتى النُّخَيْلَةَ ،

(١) الزيادة من ج و د و ه و ف .

(٢) فى ج و د « ووَلِىَ » .

(٣) الذمر : اللوم والحض .

فى ذلك يقولُ الشاعرُ :

إن القُباعَ سار سَيْرًا نُكْرَا … يسيرُ يومًا ويُقيمُ شهرَا

وجعل يَعِدُ الناسَ بالخروج ولا يخرجُ ، والخوارجُ يَعيثُون(١) ، حتى أخذوا امرأةً فقتلوا أباها بين يديها ، وكانت جميلةً ، ثم أرادوا قتلَها ، فقالتْ : أتقتلون مَنْ يُنَشَّأُ فى الحِلْيَةِ وهو فى الخِصَامِ غيرُ مُبِين ؟! فقال قائلٌ منهم : دَعُوها ، فقالوا : قد فَتَنَتْكَ ، ثم قَدَّمُوها فقتَلُوها ، ثم قرَّبوا أُخرى ، وهُمْ بحِذَاءِ القُباعِ ، والجِسْرُ معقودٌ بينهما ، فقطعه القُباعُ ، وهو فى ستة آلافٍ ، والمرأةُ تستغيثُ به و[هى](٢) تقولُ : عَلامَ تقتلونى ؟ فوالله مافسَقْتُ ولا كفَرْتُ ولا ارْتَدَدتُ ! والناسُ يَتَفلَّتُون إلى الخوارج ، والقُباعُ يمنعهم ، فلما خاف أن يَعْصُوه أمر عند ذلك بقطع الجِسْرِ ، فأقام بين دَباهَا ودَبِيرَى(٣) خمسةَ أيامٍ ، والخوارجُ بقُرْبِه ، وهو يقول للناس فى كل يومٍ : إذا لقيتم العدوَّ غدًا فأَثْبِتُوا أقدامَكم واصبِرُوا ، فإن أَوَّلَ الحرب التَّرامى ، ثم إشْراعُ الرِّماح ، ثم السَّلَّةُ(٤) ، فَثَكِلَتْ رجلاً أُمُّه فَرَّ من الزَّحْفِ . فقال بعضهم لما أكثر عليهم : أمَّا الصِّفَةُ فقد سمعناها ، فمتى يَقَعُ الفعلُ ؟! وقال الراجزُ :

إن القُباعَ سار سَيْرًا مَلْسَا … بين دَباهَا ودَبِيرَى خمسَا(٥)

---

(١) فى ج و س و د و هـ « يَفْشُون » .

(٢) الزيادة من ج و د و هـ و ف .

(٣) « دباها ودبيرى » بفتح الدال فيهما ، قريتان من قرى بغداد ، قاله المرصفى .

(٤) « السلة » بفتح السين واللام المشددة : استلال السيوف .

(٥) بحاشية ا مانصه : « المُهَلَّبِىُّ : قال أبو زيد : المَلْسُ : السَّيرُ الشديدُ . وقال غيرُه : هو السريع السهلُ . وقال ابنُ الأعرابِىِّ : يقال مَلَسَ هاربًا : إذا وَلَّى =

فأخذ الخوارجُ حاجتهم ، وكان شأنُ القُباعِ التَّحصُّنَ منهم ، ثم انصرفوا ورجع إلى الكوفة ، وصاروا من فورهم إلى أَصْبَهانَ ، فبعثَ عَتَّابُ بن وَرْقاءَ إلى الزُّبير بن عليٍّ : أنا ابنُ عمك، ولستُ أراكَ تقْصِدُ فى انصرافك من كل حربٍ غيرى . فبعث إليه الزُّبير : إنَّ أَدْنَى الفاسقينَ وأبعدَهم من الحقِّ(١) سَواءٌ .

وإنما سُمِّيَ الحرِثُ بنُ عبد الله [بن أبي ربيعةَ](٢) القُباعَ لأنه وَلِيَ البصرةَ فغيَّرَ على الناسِ مَكاييلَهم ، فنَظَر إلى مكيالٍ صغيرٍ فى مَرْآةِ العَيْنِ وقد أحاط بدقيقٍ استكثَرَه ، فقال : إن مكيالكم هذا لَقُباعٌ . و«القُباعُ» الذى يُخْفِي أو يَخْفَى مافيه ، يقال : انْقَبَعَ الرجلُ : إذا استَتَرَ ، ويقال للقُنْفُذِ القُبَعُ، وذلك أنه يَخْنِسُ رأسَه .

[قال أبو العباس](٣) : وأقام الخوارجُ يغادُونَ عَتَّابَ بن وَرْقاءَ القتالَ ويُرَاوِحُونَه ، حتى طال عليهم المُقامُ ، ولم يَظْفَروا منه بكبير ، فلما كثُرَ ذلك عليهم انصرفُوا ، لا يَمُرُّون بقريةٍ بين أَصْفَهانَ(٤) والأَهْوازِ إلَّا استباحوها وقتَلوا من فيها .

= مُسْرِعاً . وقال ابنُ شاذانَ : المَلْسُ مصدرُ مَلَسَ الشيءُ يَمْلُسُ مَلْسًا : إذا انْخَنَسَ . ومنه قولهم ناقةٌ مَلْسَى : سَرِيعةٌ » .

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « فى الحقِّ » .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

(٣) الزيادة من س و ف .

(٤) فى ج و د و هـ ونسخة بحاشية ا « أصبهان » .

⁂

وشاوَرَ المُصْعَبُ الناس [فيهم](١) ، فأَجْمَعَ(٢) رأيُهم على المهلَّب ، فبلغ الخوارجَ مَشُورَتُهُ(٣) ، فقال لهم قَطَرِىٌّ : إنْ جاءكم عَتَّابُ بن وَرْقاءَ فهو فاتِكٌ يَطْلُعُ فى أوَّلِ المِقْنَب(٤) ولا يَظْفَرُ بكَبيرٍ ، وإن جاءكم عُمر بن عُبيدالله ففارِسٌ يُقْدِمُ ، فإمَّا له وإمَّا عليه ، وإن جاءكم المهلَّب فرجلٌ لا يُناجِزُكم حتى تُناجِزوه ، ويأخذُ منكم ولا يعطيكم ، فهو البَلاءُ اللّازِم ، والمكروهُ الدائمُ .

وعَزَم المصعب على توجيه المهلَّب ، وأن يَشْخَص هو لحربِ عبدِ الملك فلما أَحَسَّ به الزُّبير بن علىٍّ خرج إلى الرَّىِّ ، وبها يزيدُ بن الحرث بن رُوَيْمٍ ، فحاربَه ثم حَصَره ، فلما طال عليه الحصارُ خرج إليه ، فكان الظَّفَرُ للخوارج ، فقُتِلَ يزيدُ بن رُوَيْمٍ ، ونادى يومئذٍ ابنَه حَوْشَباً ففرَّ عنه وعن أُمِّه لَطيفةَ ، وكان علىُّ بن أبى طالب عليه السلام دخلَ على الحرث بن رُوَيْمٍ يعود ابنَه يزيدَ ، فقال له : عندى جاريةٌ لطيفةُ الخدمةِ أبعثُ بها إليك . فسماها يزيدُ لَطيفةَ ، فقُتِلَتْ معه يومئذٍ ، ففى ذلك يقول الشاعرُ :

مَوَاقِفُنا فى كلِّ يومِ كَرِيهةٍ أَسَرُّ وأشْفَى من مَواقِفِ حَوْشَبِ

---

(١) الزيادة من ج و س و د و ه و ف .

(٢) فى ج و د و ه و ف « فاجتمع » .

(٣) فى ج و س و د ه و ف «مُشاورتُه» . وبحاشية ا ما نصه : «ابنُ شاذانَ : المَشُورةُ مَفْعُلَةٌ ، واشْتُقَّ من الإشارة ، ويقال أَشَرْتُ عليه بكذا إشارةً » .

(٤) « المقنب » بوزن « منبر » : جماعة الخيل .

دعاه يزيدٌ والرِّماحُ شَوَارِعٌ فلم يَسْتَجِبْ بَل رَاغ تَرْوَاغ ثَعْلَبِ
ولو كانَ شَهْمَ النَّفْسِ أوذا حفيظةٍ
رأى مارأى فى الموتِ عيسى بن مُصْعَبِ[(١)]

وقد مَرَّ خبرُ عيسى بن مُصْعَبٍ مُسْتَقْصًى[(٢)] . وقال آخرُ :

نَجَّى حَلِيلَتَهُ وأسْلَمَ شَيْخَهُ نَصْبَ الأَسِنَّةِ حَوْشَبُ بن يَزِيدِ

وقال ابنُ حوشبٍ لبلال بن أبي بُرْدَةَ يُعَيِّرُه بأُمِّه ، وبلالٌ مَشدودٌ عندَ يوسف بن عمر : يا ابنَ حَوْراءَ ! فقال بلالٌ ، وكان جَلْدًا : إن الأَمَةَ تُسَمَّى حَوْراءَ وَجَيْداءَ ولَطِيفةَ !! وزعَم الكَلْبِيُّ أن بلالاً كان جَلْدًا حيث ابْتُلِيَ[(٣)] . قال الكلبيُّ : ويُعْجبنى أن أَرَى الاسيرَ جَلْدًا . قال : وقال خالدُ بن صَفْوانَ له بحضرةِ يوسفَ [بن عمرَ][(٤)] : الحمد لله الذى أزال سُلطانَكَ ، وهَدَّ رُكْنَك ، وغَيَّرَ حالَك ، فواللهِ لقد كنتَ شديد الحِجابِ ، مُسْتَخِفًّا بالشريفِ ، مُظْهِرًا للعَصَبِيَّةِ ! فقال له بلالٌ : إنما طالَ لسانُك ياخالدُ لثلاثٍ معكَ هُنَّ علىَّ : الأمرُ عليكَ مُقْبِلٌ وهو عنى مُدْبِرٌ ، وأنت مُطْلَقٌ وأنا مأسورٌ ، وأنت فى طِينَتِكَ وأنا فى هذا البلد غريبٌ . وإنما جرَى إلى هذا لأنه يُقال أنَّ أصلَ آلِ الأَهْتَمِ من الحِيرَةِ ، وأنهم أُشابةٌ[(٥)] دخلتْ فى بنى مِنْقَرٍ من الرُّومِ .

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقال رجلٌ شَهْمٌ بَيِّنُ الشَّهَامَةِ والشُّهُومَةِ . إذا كان حادًّا ذكِيًّا » .

(٢) مضى فى الجزء الثانى ص ٤٧٦ — ٤٧٧

(٣) فى ج و د و ف « حين ابتُلِيَ » .

(٤) الزيادة من ج .

(٥) « الأشابة » بضم الهمزة : الأخلاط من الناس ليس أصلهم واحداً ، كالأوباش والأوشاب ، قاله المرصفى .

⁂

ثم انحطَّ الزُّبير بن عليّ على أَصْفهانَ[(١)] فحصَر بها عَتّابَ بن وَرْقاءَ الرِّياحىَّ سبعةَ أشهرٍ، وعتّابٌ يُحارِبُه فى بعضهنّ، فلما طال به الحِصارُ قال لأصحابه: ماتنتظرون ؟ واللهِ ماتُؤْتَوْنَ من قِلّةٍ، وإنكم لفُرْسانُ عشائرِكم، ولقد حاربتموهم مرارًا فانتصفتم منهم، وما بَقِىَ مع هذا الحصارِ إلّا أن تَفْنَى ذخائرُكم، فيموتَ أحدُكم فيَدْفِنَه أخوه، ثم يموتَ أخوه فلا يجدُ مَن يدفُنه، فقاتِلوا القوم وبكم قوةٌ، مِن قَبْلِ أن يَضْعُفَ أحدُكم عن أن يَمْشِىَ إلى قِرْنِهِ !! فلما أصبحَ الغدَ، صلّى بهم الصبحَ، ثم خرج [بهم][(٢)] إلى الخوارج وهم غارّونَ، وقد نَصَبَ لِواءًا لجاريةٍ له يقال لها ياسمينُ، فقال: مَن أرادَ البقاء فليَلْحَقْ بلواءِ ياسمينَ ! ومَن أرادَ الجهادَ فليَخْرُجْ مَعِى. فخرج فى ألفين وخمسمائةِ فارسٍ، فلم يَشْعُرْ بهم الخوارجُ حتى غَشُوهُمْ، فقاتَلوهم بجِدٍّ لم يَرَ الخوارجُ منهم مثلَه، فعقَرُوا منهم خلقًا [كثيرًا][(٣)]، وقتَلوا الزُّبير بن عليّ، وانهزمت الخوارجُ، فلم يَتّبِعهُمْ عَتّابٌ، ففى ذلك يقول الشاعر:

وَيَوْمٍ بجَيٍّ تلافيْتَه ولولاكَ لَاصْطُلِمَ العَسْكَرُ[(٤)]

قال أبو العباس: نُفَسِّرُ قولَه «ولولاكَ» فى آخر هذا الخبر[(٥)] إن شاء الله.

---

(١) فى ج و د و هـ و ف «أصبهان».
(٢) الزيادة من ج و د و هـ و ف.
(٣) الزيادة من ف.
(٤) بحاشية ا ما نصه: «ابنُ شاذانَ: أصلُ الصَّلْمِ قَطْعُ الأُذنِ، يقالُ صَلَمَ أُذُنَه واصْطَلَمَهَا يَصْطَلِمُهَا صَلْمًا».
(٥) فى ج و س و د هـ و ف «هذا الباب».

وقال رجلٌ من بنى ضَبَّةَ فى تلك الوقعةِ :

خَرَجْتُ من المدينةِ مُسْتَمِيتاً ولم أَكُ فى كَتِيبَةِ يا سِمينا

أَلَيْسَ من الفضائلِ أنَّ قَوْمِى غَدَوْا مُسْتَلْئِمِينَ مُجاهِدِينَا

وتزعمُ الرُّواةُ أنهم فى أيام حِصارِهِم كانوا يَتَوَاقفُونَ ، ويَحْمِلُ بعضُهم على بعضٍ ، وربما كانت مُوَاقفةٌ بغير حربٍ[١] ، وربما اشتدَّت الحربُ بينهم ، وكان رجلٌ من أصحاب عَتَّابٍ يقال له شُرَيحٌ ، ويُكْنَى أبا هُرَيْرَةَ ، إذا تَحاجَزَ القومُ مع المَساء نَادَى بالخوارج وبالزُّبير بن علىٍّ :

يا ابنَ أبى المَاحُوزِ والأَشْرَارِ كيف تَرَوْنَ يا كِلابَ النّارِ

شَدَّ أبى هُرَيرةَ الهَرَّارِ يَهُرُّكُمْ بالليلِ والنهارِ[٢]

ألم تَرَوْا جَيًّا عَلَى المِضمارِ تُمْسِى من الرحمن فى جُوَارِ[٣]

فغاظَهُم[٤] ذلك منه ، فَكَمَنَ له عُبَيْدَةُ بن هلالٍ فضربه ، واحْتَمَلَهُ أصحابُه ، فظَنَّتِ الخوارجُ أنه قد قُتِلَ ، فكانوا إذا تَواقَفُوا نادَوْهُمْ : مافعلَ الهَرَّارُ ؟ فيقولون : مابه مِنْ بَأْسٍ ، حتى أَبَلَّ من عِلَّتِهِ ، فخرج إليهم فصاح :

---

(١) فى ج و س و د و ﻫ و ف « لغير حرب » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : هَرَّ الكلبُ والذِّئبُ يَهِرُّ هَرِيراً : إذا كَشَّرَ ، وهَرَّ الرجلُ الشئَ : إذا كَرِهَهُ » .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : المِضْمَارُ : الغايةُ ، يقالُ جَرَى فى مِضْمارِهِ ؛ والمِضْمَارُ أيضاً : الموضعُ الذى يُضَمَّرُ فيه الفرسُ » .

(٤) فى ج « فتغاظَمَهُمْ » .

يا أعداء الله ! أتَرَوْنَ بى بأساً ؟ فصَاحُوا به : قد كُـنَّا نُرَى أنك لَحَقْتَ بامِّكَ الهَـاوِيَةِ ، فى النار الحامية .

⁂

قال أبو العباسِ : نُفَسِّرُ أشياءَ من العربية تحتاجُ إلى الشرح . من ذلك قوله « وَلَوْلاكَ » ، ومنه قولهُ « ألم تَرَوْا جِيًّا » ومنه قولهُ « يَهُرُّكُمْ بالليل والنهارِ » .

أمَّا قوله « لَوْلاكَ » فإن سِيبويهِ يَزْعَمُ أنَّ « لَوْلا » تَخْفِضُ المُضْمَرَ ويَرْتَفِـعُ بعدَها الظّاهرُ بالابتداء ، فيقالُ : إذا قلتَ « لولاكَ » فما الدليلُ على أن الـكاف مخفوضةٌ دونَ أن تكونَ منصوبةً ، وضميرُ النَّصب كضمير الخفضِ ؟ فتقولُ : إنك تقولُ لنفسك « لولاىَ » ولو كانت منصوبةً لـكانت النونُ قبلَ الياء ، كقولك «رمانى وأعطانى» قال يَزِيدُبن الحَـكَمِ الثّقفِيُّ[1] :

وكَم مَّوْطِنٍ لولاىَ طِحْتَ كما هَوَى بأَجْرامِهِ من قُلَّةِ النِّيقِ مُنْهَوِى[2]

« النِّيقُ » أعلى الجَبلِ ، و « جِرْم » الإنسان : خَلْقُهُ .

فيقالُ له : الضميرُ فى موضع ظاهرِه ، فكيف يكونُ مختلفاً ؟ وإن كان

(١) البيت من قصيدة بليغة يعاتب بها أخاه عبد ربه بن الحكم ، وقد جمعتها وحققت مصادرها عند تعليق على كتاب لباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ (ص ٣٩٦ — ٣٩٩) وأزيد هنا مصدرين آخرين ، هما خزانة الأدب (ج ٣ — ١١٨ بولاق) وسمط اللآلى (ج ١ ص ٢٣٧ — ٢٤١) .

(٢) بحاشية ا ما نصه : «ابنُ شاذانَ . قال الخليلُ : الطَّائِحُ : الهـالكُ المُشْرِفُ على الهلاكِ ، وكلُّ شىء ذَهَبَ فقد طَاحَ يَطِيـحُ طَيْحًا وطَوْحًا ، لُغتانِ » .

هذا جائزًا فَلِمَ لا يكونُ فى الفعل وما أشبهه نحو « إنَّ » وما كانَ معها فى البابِ ؟

وزَعَم الأَخْفَش سَعيدٌ أنَّ الضميرَ مرفوعٌ ، ولكنْ وافقَ ضَميرَ الخفضِ ، كما يَستَوِى الخفضُ والنصبُ . فيقالُ : فهل هذا فى غيرِ هذا الموضع ؟!

قال أبو العباس : والذى أقوله أنَّ هذا خطأٌ لا يَصْلُح ، إلّا أن تقولَ « لولا أنتَ » كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[1] ومن خالفَنا [فهو لا بُدَّ][2] يزعمُ أنَّ الذى قلناه أَجْوَدُ . ويَدَّعِي الوجهَ الآخَرَ فيُجيزُه على بُعْدِهِ[3] .

وأمّا « جَيّ » فالأجودُ فيها أن تقولَ :

* أَلَمْ تَرَوْا جَيَّ عَلَى المِضْمَارِ *

فلا تُنَوِّنَ ، لأنها مدينةٌ ، والاسمُ أعجمىٌّ ، والمؤنثُ إذا سمى باسمٍ أعجمىٍّ على ثلاثةِ أحرفٍ لم ينصَرِف إذا كان مؤنثًا وإن كان أوسطه ساكنًا نحوُ جُورَ وحِمْصَ [وماهَ][4] وما كان مثلَ ذلك ، ولو كان اسمًا لمذكرٍ لانصرَفَ ، فإن صَرَفْتَه جعلتَه اسمًا لبلدٍ ، وإن لم تصرفه جعلتَه اسمًا لبلدةٍ أو لمدينةٍ ، ألا تَرَى أنك تصرفُ نُوحًا ولوطًا ، وهما أعجميّانِ؟ وكذلك لو كان على ثلاثةِ أحرف

---

(١) سورة سبأ آية ٣١

(٢) الزيادة من ج و د و ف .

(٣) فى ج و د و ف « على بُعْدٍ » .

(٤) الزيادة من ج و س و د و ف .

كلُّها متحركٌ، لأنك تَصْرِف «قَدَمًا» لو سمَّيْتَ به(١) رجلًا، فالأعجمىُّ بمنزلة المؤنَّث، لأن امتناعَهما واحدٌ.

وأمّا قولُه «يَهُرُّكُمْ» فإن كلَّ ما(٢) كان من المضاعَفِ على ثلاثة أحرفٍ وكان(٣) متعدِّيًا فإن المضارِعَ منه على «يَفْعُلُ» نحو شَدَّهُ يَشُدُّه، وزَرَّه يَزُرُّه، ورَدَّه يَرُدُّه، وحَلَّه يَحُلُّه. وجاء منه حرفانِ على «يَفْعِلُ» و«يَفْعُلُ» فيهما جيدٌ، هرَّه يَهِرُّه: إذا كَرِهه، ويَهُرُّه أَجْوَدُ، وعَلَّهُ بالحِنَّاءِ يَعِلُّهُ؛ وَيَعُلُّهُ أَجْوَدُ. ومَن قال حَبَبْتُهُ قال يَحِبُّهُ لا غيرُ، وقرأ أبو رَجَاءِ العُطارِدِيُّ ﴿فاتَّبِعُونِى يَحِبَّكُمُ اللهُ﴾(٤) وذلك أنَّ بنى تميمٍ تَدَّغِمُ(٥) فى موضعِ الجزمِ وتُحَرِّكُ أواخِرَه لالتقاءِ الساكنَيْنِ.

⁂

رجع الحديث

[قال أبو العباسِ](٦): ثم إن الخوارجَ أدارُوا أمرَهم بينهم، فأرَادُوا تولِيَةَ عُبَيْدَةَ بنَ هلالٍ، فقال: أَدُلُّكُمْ على منْ هو خيرٌ لكم مِنِّى، مَنْ يُطاعِنُ

---

(١) فى ج و ف «بها».
(٢) رسمت فى جميع أصول الكتاب «كلما».
(٣) ى س و د و ه و ف «فكان».
(٤) سورة آل عمران آية ٣١ والقراء الأربعة عشر قرؤوها «يُحْبِبْكُم». وقراءة أبى رجاء شاذة، وروى عنه أيضاً أنه قرأها «يَحْبِبْكُم» بفك الإدغام. وانظر القراءات الشاذة لابن خالويه (ص ٢٠).
(٥) فى ج و د «تُدْغِمُ».
(٦) الزيادة من س و ه و ف.

فى قُبلٍ ، ويَحْمِي فى دُبُرٍ ، عليكم قَطَرِىَّ بن الفُجاءَةِ المازنىَّ . فبايعُوه ، فوقَفَ بهم ، فقالوا : ياأميرَ المؤمنينَ ! امْضِ بنا إلى فارسَ ؛ فقال : إنّ بفارسَ عُمرَ بن عُبيد الله بنِ مَعْمَرٍ ، ولكنْ نَصِيرُ إلى الأهوازِ ، فإن خرجَ مُصْعَبُ بن الزبير من البصرة دخلناها . فأَتَوُا الأهوازَ ، ثم تَرَفَّعُوا عنها إلى إيذَجَ[1] ، وكان مُصْعَبٌ[2] قد عزم على الخروج إلى باجُمَيْرا[3] ، فقال لأصحابه : إنَّ قَطَرِيًّا قد أطَلَّ علينا ، وإنْ خرجنا عن البصرة دخلَها ، فبعَثَ إلى المهلَّب فقال : اكْفِنا هذا العدوَّ ، فخرج إليهم المهلَّبُ ، فلما أَحَسَّ به قطرىٌّ تيمَّمَ[4] نحو كِرْمانَ ، فأقام المهلَّبُ بالأهوازِ ، ثم كَرَّ قَطَرىٌّ عليه وقد استعدَّ ، فكان الخوارجُ فى جميع حالاتهم[5] أحسنَ عُدَّةً ممن يقاتلهم ، بكثرة السِّلاحِ ، وكثرة الدوابِّ ، وحَصانَةِ الجُنَنِ ، فحارَبَهم المهلَّبُ فنفاهم إلى رامَ هُرْمُزَ .

وكان الحرثُ بن عَمِيرةَ الهَمْدانىُّ قد صارَ إلى المهلَّبِ مُراغِماً لِعَتَّاب بن وَرْقاءَ يقالُ أنه لم يُرْضِهِ عن قتلِه الزبيرَ بن علىّ ، وكان الحرثُ بن عَمِيرةَ هو الذى تَوَلَّى قتلَه وحاصَ إليه أصحابُه ، ففى ذلك يقولُ أعْشَى هَمْدانَ :

إنَّ المَكارمَ أُكْمِلَتْ أسبابُها ... لابنِ اللُّيوثِ الغُرِّ من قَحْطانِ

---

(١) « إيذج » بلد بين خوزستان وأصبهان .

(٢) فى ج و س و د و هـ « المصعب » .

(٣) « باجميرا » موضع دون تكريت . وفى ج و د « باجيراء » .

(٤) فى ج و س و د و هـ و ف « يَمَّمَ » .

(٥) فى ج و د « أحوالهم » .

للفارسِ الحامى الحَقيقةِ مُعْلِمًا   زادِ الرِّفاقِ إلى قُرَى نَجْرانِ

الحٰرثِ بن عَميرةَ الليثِ الذى   يَحْمى العِراقَ إلى قُرَى كَرْمانِ

وَدَّ الأَزارِقُ لو يُصابُ بطَعْنةٍ   ويَموتَ من فُرْسانِهم مِائتانِ

[وَيُرْوَى زَادِ الرِّفاقِ وفارِسِ الفُرْسانِ] وتأويلُه : أن الرُّفْقَةَ إذا صَحِبَها أَغناها عن التزوُّدِ كما قال جريرٌ وأرادَ ابنٌ له سَفَرًا ، وفى ذلك السَّفَرِ يحيي بن أبى حفصةَ ، فقال لأبيه : زَوِّدْنِى ، فقال جريرٌ :

أَزَادًا سِوَى يَحْيَى تُرِيدُ وصاحبًا   أَلَا إنَّ يحيي نِعْمَ زَادُ المسافرِ

فما تُنْكِرُ الكَوْماءُ ضَرْبَةَ سيفِهِ   إذا أَرْمَلُوا أوخَفَّ مافى الغرائرِ[١]

وقوله «ويَموتَ من فرسانِهم» يكونُ على وجهين : مرفوعًا ومنصوبًا، فالرفعُ على العطفِ ، ويدخلُ فى التَّمنِّى ، والنصبُ على الشَّرْطِ والخروجِ من العطفِ ، وفى مصحفِ ابن مسعودٍ ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُوا﴾ والقِراءةُ ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾[٢] على العطفِ ، وفى الكلامِ : ودَّ لو تأتِيه فتُحَدِّثُهُ ، وإنْ شئتَ نَصبْتَ الثانِىَ[٣] .

⁂

[قال أبو العباس][٤] : وخرج مصعبُ بن الزبير إلى باجُمَيْراءَ ، ثم أَتَى الخوارجَ خبرُ مَقْتَلِهِ بمَسْكِنَ ، ولم يأتِ المهلَّبَ وأصحابَه ، فتَواقَفوا يومًا

---

(١) « أرملوا » أى نفد زادهم .

(٢) سورة ن والقلم آية ٩

(٣) فى ج و ف « نصبتَ التاءَ » .

(٤) الزيادة من س و ف .

على الخندق ، فناداهم الخوارجُ : ماتقولون فى المُصْعَب ؟ قالوا : إمامُ هُدًى ، قالوا : فما تقولون فى عبد الملك ؟ قالوا : ضالٌّ مُضِلٌّ . فلما كان بعد يومين أتَى المهلَّبَ قتْلُ مُصْعَبٍ ، وأن أهلَ الشأم اجتمعوا على عبد الملِكِ ، وورَدَ عليه كتابُ عبد الملك بولايته ، فلما تَواقفوا ناداهم الخوارجُ : ماتقولون فى مصعبٍ ؟ قالوا : لانُخبِركم ! قالوا : فما تقولون فى عبد الملك ؟ قالوا : إمامُ هُدًى ! قالوا : يا أعداء الله ! بالأمسِ ضالٌّ مُضِلٌّ واليومَ إمامُ هُدًى ؟! ياعَبِيدَ الدنيا ! عليكم لعنةُ الله !!

⁂

ووَلِى خالدُ بن عبد الله بن أَسِيدٍ ، فقَدِمَ فدخل البصرةَ ، فأراد عزلَ المهلَّبِ ، فأُشيرَ عليه بأن لّا يفعلَ ، وقيل له : إنما أَمِنَ أهلُ هذا المصرِ بأنَّ المهلَبَ بالأهوازِ وعُمرَ بن عُبيد الله بفارسَ ، فقد تنَحَّى عمرُ ، وإن نَحَّيْتَ المهلبَ لم تأمنْ على البصرة [الأزارقةَ][(١)] ، فأَبَى إلَّا عَزْلَهُ ، فقَدِمَ المهلَّبُ البصرةَ ، وخرج خالدٌ إلى الأهوازِ ، فأَشْخَصَه ، فلمَّا صار بِكُرْبُجِ دينارٍ لقيَه قَطَرِىٌّ فمنعه حَطَّ أثقالِه ، وحاربه ثلاثين يومًا ، ثم أقام قطرىٌّ بإزائه ، وخَنْدَقَ على نفسِه ، فقال المهلَّبُ : إنَّ قطريًّا ليس بأحقَّ بالخندق منك ، فعبَرَ دُجَيْلاً إلى شِقِّ نهر تيرَى ، واتّبعه قطرىٌّ ، فصار إلى مدينةِ نَهْر تِيرَى فبَنَى سُورَها وخندقَ عليها ، فقال المهلَّبُ لخالد : خَنْدِقْ على نَفْسِك ، فإنِّى لا آمَنُ عليك البَياتَ ، فقال : ياأبا سعيدٍ ! الأمْرُ أَعْجَلُ من ذلك ، فقال

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

المهلبُ لبعض ولده : إنى أَرَى أمرًا ضائعًا ، ثم قال لزياد بن عَمرو : خَنْدِقْ علينا ، فخندقَ المهلَّبُ وأَمَرَ بِسُفُنِهِ ففُرِّغتْ ، وأَبَى خالدٌ أن يُفرِّغَ سُفُنَهُ ، فقال المهلَّبُ لفَيْروز حُصَيْنٍ : صِرْ معنا ، فقال : يا أبا سعيدٍ ! الحَزْمُ ماتقولُ ، غيرَ أنى أكرهُ أن أُفارقَ أصحابى ، قال : فكُنْ بقُرْبنَا ، قال : أمَّا هذه فنعَم .

وقد كان عبدُ الملك كتب إلى بِشرِ بن مروانَ يأمرُه أن يُمِدَّ خالدًا بجيشٍ كثيفٍ ، أميرُه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعثِ ، ففعل ، فقَدِمَ عليه عبدُ الرحمن ، فأقام قَطَرِىٌّ يُغَادِيهم القتالَ ويُرَاوِحُهم أربعين يومًا ، فقال المهلَّبُ لِمَوْلًى لأبى عُيَيْنَةَ : انْتَبِذْ إلى ذلك النَّاوُوسِ(١) فبِتْ عليه فى كل ليلةٍ ، فمتى أَحْسَسْتَ خَبَرًا من الخوارج أو حركةً أو صَهِيلَ خيلٍ فاعْجَلْ إلينا ، فجاء ليلةً فقال : قد تَحَرَّكَ القومُ ، فجلس المهلَّبُ بباب الخندق ، وأَعَدَّ قطرِىٌّ سفنًا فيها حطبٌ فأشعلها نارًا وأَرسلَها على سُفُنِ خالدٍ ، وخَرج فى أَدْبارِها حتى خالطَهُمْ ، فجعل لا يَمُرُّ برجلٍ إلَّا قتلَه ، ولا بدابَّةٍ إلا عقرَها ، ولا بفُسطاطٍ إلَّا هَتَكَهُ ، فأَمرَ المهلَّبُ يزيدَ [ابنه](٢) فخرج فى مائة فارسٍ فقاتَلَ وأَبْلَى يومئذٍ ، وخرج عبدُ الرحمن بن محمد بن الأشعث فأبلَى بلاءً حسنًا ، وخرج فَيرُوزُ حُصَيْنٍ فى مَوالِيه ، فلم يَزَلْ يَرميهم بالنُّشَّابِ هو ومَنْ معه، فأثَّرَ أثرًا جميلاً، فصُرِع يزيد بن المهلَّب يومئذٍ، وصُرِع عبدُ الرحمن، فحامَى عنهما أصحابُهما حتى ركبا ، وسَقَطَ فَيْرُوزُ حُصَيْنٍ فى الخندقِ ، فأَخذ

---

(١) « الناووس » مقابر النصارى . ومعنى « انتبذ إليه » اذهب إليه منفرداً .

(٢) الزيادة من س و ف .

بيده رجلٌ من الأزدِ فاستنقذه ، فوهبَ له فيْروزُ حُصَيْنٍ عشرةَ آلاف درهمٍ ، وأَصبح عسكرُ خالدٍ كأنه حَرَّةٌ سوداء ، فجعلَ لا يرَى إلّا قتيلاً أو صَريعًا ، فقال للمهلَّب : ياأبا سعيدٍ ! كِدْنا نفْتَضِحُ ، فقال خَندِقْ على نفسِك ، فإن لّاتفْعَلْ عادوا إليك ، فقال : اكْفِنِى أمرَ الخندقِ ، فجَمعَ له الأَخْماسَ ، فلم يبقَ شريفٌ إلّا عَمِلَ فيه ، فصاح بهم الخوارجُ : واللهِ لولا هذا الساحرُ المَزُونِيُّ لكان اللهُ قد دَمَّرَ عليكم. وكانت الخوارجُ تُسَمِّي المهلَّبَ الساحرَ ، لأنهم كانوا يُدَبِّرُونَ الأَمرَ فيجدونَه قد سبَقَ إلى نقض تدبيرهم .

فقال أَعْشَى هَمْدَانَ لابنِ الأشعثِ فى كلمةٍ طويلةٍ :

ويَوْمِ أَهْوَازِكَ لاتَنْسَهُ ليس الثَّنَا والذِّكْرُ بالدَّاثِرِ

وقد ذَكرنا فى قصرِ الممدودِ ، من أن مَدَّ المقصورِ لايجوزُ ما يغنى عن إعادته .

❋

ونَذْكُرُ فَيْرُوزَ حُصَيْنٍ لِما مَرَّ مِن ذكره :

وكان فيروزُ حُصَيْنٍ رجلاً جَيِّدَ البيتِ فى العجم ، كريمَ المحتِدِ ، مشهورَ الآباء ، فلما أَسلم والَى حُصَيْناً ، وهو حُصينُ بن عبد الله العَنْبَرِيُّ ، من بنى العَنْبَرِ بن تَميم بن مُرٍّ ، ثم مِن وَلَدِ طَرِيفِ بن تَميم ، وكان فيروزُ حُصينٍ شجاعًا جَوادًا ، نَبيلَ الصُّورة ، جهيرَ الصوتِ . وتَرْوِى الرُّواةُ أنْ رجلاً من العرب كانت أُمُّه فتاةً ، فقاوَلَ بَنِى عمٍّ له ، فسَبُّوه بالعَجَمِيَّةِ ، ومَرَّ فيروزُ حُصينٍ ، فقال : هذا خَالِى ، فَمَنْ منكم له خالٌ مثلُه ؟ وظَنَّ [الفَتَى](١) أن فَيروزَ

---

(١) الزيادة من ج و د و ف .

لم يسمعها ، وسَمِعَها فيروزُ ، فلما صار إلى منزله بعثَ إلى الفتى ، فاشترى له منزلاً وجاريةً ، ووهبَ له عشَرةَ آلافِ دِرْهم .

ومن مآثره المعروفةِ أن الحجاج [بن يوسف] لما واقفَ ابنَ الأشْعَثِ برُسْتَقاباذَ نادَى منادِي الحجاجِ : مَنْ أتى برأسِ فيروزَ فله عشَرةُ آلافِ درهمٍ ، ففصَلَ(١) فيروزُ من الصَّفِّ ، فصاحَ بالناس : مَنْ عرفني فقد اكتفَى ومَنْ لم يعرفْني فأنا فيروزُ حُصينٍ ، وقد عرفتم مالِي ووفائِي ، مَن أتَى برأس الحجاج فله مائةُ ألفٍ ، فقال الحجاج : واللهِ(٢) لقد تركَني أكْثرُ التَّلفُّتَ وإنِّي لبَيْنَ خاصَّتِي . فأُتِيَ به الحجاجُ فقال له : أأنت(٣) الجاعلُ فى رأسِ أميرِك مائةَ ألفٍ [درهمٍ](٤) ؟ قال : قد فعلتُ ، فقال : واللهِ لأُمَهْدَنَّكَ(٥) ثم لأَحْمِلَنَّكَ ، أينَ المالُ ؟ قال : عندى ، فهل إلى الحياة من سبيلٍ ؟ قال : لا ، قال : فأخرِجْنى إلى الناسِ حتى أجمعَ لك المالَ فلعلَّ قلبَك يرِقُّ علىَّ ! ففعَلَ الحجاجُ ، فخرج فيروزُ فأحَلَّ الناسَ من ودائِعه ، وأَعْتَقَ رقيقَه ، وتَصدَّقَ بماله ، ثم رُدَّ إلى الحجاج فقال : شأنَكَ الآنَ فاصْنَعْ ما شئتَ ، فَشُدَّ

---

(١) فى ج و س و ه و ف « فَنَصَلَ » والمعنى فى الروايتين واحد ، أى خرج من الصف .

(٢) فى ج و س و د و ه و ف « فوالله » .

(٣) فى ج « ءَآأنتَ » .

(٤) الزيادة من ج و س و د و ه و ف .

(٥) قال المرصفى : « من مهدت الفراش مهداً : بسطته ووطأته ، يريد : لأجعلنك طريحاً كالفراش الممهود ، وفى ج و د و ه « لأُمَهِّدَنَّكَ » .

فى القَصبِ الفارسىّ ، ثم سُلَّ حتى شُرِّحَ ، ثم نُضِحَ بالخلّ والمِلْح ، فما تَأَوَّهَ حتى ماتَ .

❊

[قال أبو العباس][(١)]: ومضَى قَطرىٌّ إلى كَرْمَانَ[(٢)]، فانصرف خالدٌ إلى البصرة ، فأقام قطريّ بِكرْمانَ أشهرًا ، ثم عَمَدَ لفارسَ ، وخرج خالدٌ إلى الأَهْواز ، ونَدَب للناس رجلاً ، فَجعلوا يطلبون المهلبَ ، فقال خالد : ذَهَب المهلَّبُ بحظ هذا المصرِ ، إنِّى قد وَلَّيْتُ أخى قِتال الأزارقة ، فَوَلَّى أخاه عبدَ العزيز ، واستخلَفَ المهلَّبَ على الأهواز فى ثلثمائة ، ومضَى عبدُ العزيز فى ثلاثين ألفاً ، والخوارجُ بِدَرَابَ جِرْدَ ، فَجَعل عبدُالعزيز يقولُ فى طريقه يَزْعُمُ أهلُ البصرة أن هذا الأمرَ لا يَتِمُّ إلا بالمهلَّبِ ، فسيعلمون !

قال صَعْبُ بن زيدٍ : فلما خرج عبدُ العزيز عن الأهوازِ جاءنى كُرْدُوسٌ حاجبُ المهلبِ فقال : أَجِبِ الأمير ، فَجِئتُ إلى المهلَّب وهو فى سطحٍ وعليه ثيابٌ هَرَوِيَّةٌ ، فقال : ياصَعْبُ ! أَنا ضائع ، كأَنِّى أَنظرُ إلى هزيمةِ عبد العزيز ، وأخشى أن توافيَنى الأزارقةُ ولا جُنْدَ معى ، فابعثْ رجلاً مِن قِبَلِك يأتينى بخبرِهم سابقًا به إلىَّ ، فوجَّهتُ رجلاً يقال له عمرانُ بن فلان ، فقلتُ : اصحَبْ عسكرَ عبد العزيز واكتبْ إلىَّ بخبرِ يومٍ يوم ، فجعلتُ أُورِدُه على المهلَّبِ .

---

(١) الزيادة من س و ف .

(٢) نون « كرمان » لم تظهر فى طبعة أوربة ، وموضعها واضح ، وفتحتها ثابتة ، فظن مصحح بعض طبعات مصر أن البلد اسمها « كرما » بدون النون ، وهكذا أثبتها فى طبعته !!

فلما قاربهم عبدُ العزيز وقَفَ وقْفَةً ، فقال له الناسُ : هذا يومٌ صالحٌ ، فينبغى أن تَترُكَ[١] — أيُّها الأميرُ — حتى نَطمئنَّ ثم نأخذَ أُهْبَتَنا ، فقال : كَلاَّ ، إلاَّ الأمرُ قريبٌ ، فنَزَلَ الناسُ على غير أمرٍ ، فلم يُسْتَتَمَّ النُّزُولُ[٢] حتى وردَ عليهم سعدُ الطَّلائعِ فى خمسمائة فارسٍ ، كأنهم خيطٌ ممدودٌ ، فناهضهم عبدُ العزيز ، فواقفوه ساعةً ، ثم انهزموا عنه مكيدةً ، فاتَّبعهم ، فقال له الناسُ : لاتتَّبِعْهُم فإنّا على غير تعْبِيَةٍ ، فأَبَى ، فلم يزَلْ فى آثارهم حتى اقتحموا عَقَبَةً ، فاقتحمها وراءهُم ، والناسُ يَنْهَوْنَهُ ويأبَى ، وكان قد جعل على بنى تميمٍ عَبْسَ بن طَلْقٍ الصَّرِيمِيَّ ، الملقَّبَ عَبْسَ الطِّعانِ ، وعلى بَكْرِ بن وائِلٍ مُقاتِلَ بن مِسْمَعٍ القَيْسِيَّ ، وعلى شُرْطَتِهِ رجلاً من بنى ضُبَيْعَةَ بن رَبيعةَ بن نِزَارٍ ، فنَزلوا عن العَقبة ونزلَ خَلْفَهم ، وكان لهم فى بَطْنِ العقبة كَمينٌ ، فلما صاروا وراءهُم خرج عليهم الكَمِينُ . وعَطَفَ [عليهم][٣] سعدُ الطَّلائعِ ، فترجَّلَ عَبْسُ بن طَلْقٍ فقُتِلَ ، وقُتِلَ مُقَاتِلُ بن مِسْمَعٍ ، وقُتِلَ الضُّبَيْعِيُّ[٤] صاحبُ الشرْطةِ ، وانحاز عبدُ العزيز ، واتّبعهم الخوارجُ على فرسخين يقتلونهم كيفَ شاؤا ، وكان عبدُ العزيز قد خرج

---

(١) هكذا ضبطت فى طبعة أوربة بتاء الخطاب والبناء للفاعل ، وغيرها المرصفى إلى النون والبناء للمجهول « نُتْرَكَ » وهو وإن كان صحيح المعنى إلا أنه لايوافق أصول الكتاب .
وفى ج و س و هـ « تَنْزِلَ » وفى ف « تَنْزِلَ فِيهِ » وفى د « نَنْزِلَ » .

(٢) فى ج « فلم يَسْتَتِمَّ النزولَ » .

(٣) الزيادة من ج .

(٤) فى ج و س و د و هـ و ف « الضُّبَعِيُّ » .

معه بأمّ حَفْصٍ ابنتِ[1] المُنْذِرِ بن الجارُودِ امرأتِهِ ؛ فَسَبَوُا النساءَ يومئذٍ، وأَخَذُوا أَسْرَى لاتُحْصَى ، فقَذَفوهم فى غارٍ بعدَ أن شَدُّوهم وَثاقًا ، ثم سَدُّوا عليهم بابَه حتى ماتُوا فيه .

وقال رجلٌ حَضَرَ ذلك اليومَ : رأيتُ عبدَ العزيز وإن ثلاثين رجلاً ليضربونه بأسيافهم وما تُحِيكُ فى جَسَدِهِ[2] .

يقال ماأحاكَ فيه السيفُ، وما يُحِيكُ فيه ، وما حَكَّ ذا الأمرُ فى صَدْرِى ، وماحَكَى فى صدرى ، وما احْتَكَى فى صدرى ، ويقال حاكَ الرجلُ فى مِشْيَتِهِ يَحِيكُ : إذا تبخْتَرَ .

ونُودِىَ على السَّبْىِ يومئذٍ ، فَغُولِىَ بأم حفصٍ ، فبلَغَ بها رجلٌ سبعين ألفًا ، وذلك الرجلُ من مَجُوسَ كانوا أسلموا ولَحِقُوا بالخوارج ، ففَرَضَ لكلِّ واحدٍ منهم خَمْسَمِائَةٍ . فكاد يأخذُها ؛ فشَقَّ ذلك على قَطَرِىٍّ وقال: ماينبغى لرجُلٍ مسلمٍ أن يكونَ عندَه سبعون ألفًا ، إنَّ هذه فِتْنَةٌ[3] ، فَوَثَبَ إليها أبو الحَدِيدِ العَبْدِىُّ فقتَلها ، فأُتِىَ به قَطَرِىٌّ فقال [له][4] : ياأبا الحديد ! مَهْيَمْ ؟ فقال : ياأميرَ المؤمنين ! رأيتُ المؤمنين قد تَزَايَدُوا فى هذه المشركة ، فخَشِيتُ عليهم الفتنةَ !! فقال قَطَرِىٌّ : قد أصبتَ وأحسنتَ ! فقال رجلٌ من الخوارج :

---

(١) فى س و د و هـ و ف « أبنة » وفى ج « بنت » .

(٢) فى ج و د و هـ و ف « فى جُنَّتِهِ » وفى س « فى جَنْبِهِ » .

(٣) فى ج و س و د و هـ و ف « لَفِتْنَةٌ » .

(٤) الزيادة من د و هـ و ف .

كفانا فتنةً عَظُمَتْ وجَلَّتْ   بحمدِ الله سيفُ أبى الحَديدِ
أهابَ المسلمونَ بها وقالوا   على فَرْطِ الهَوَى : هل مِن مَزيدِ
فزادَ أبو الحديدِ بنَصْلِ سيفٍ   رَقيقِ الحـدِّ فِعلَ فتًى رَشيدِ

قوله «أهابَ» يريدُ : أَعْلَنَ ، يقال أَهَبْتُ به : إذا دَعَوتَه ، مِثْلُ صَوَّتَ ، قال الشاعرُ :

أهاب بأحزانِ الفؤاد مُهِيبُ   وماتَتْ نفوسٌ للهوَى وقُلوبُ

وقوله « مَهْيَمْ » حرفُ استفهامٍ[(١)] ، معناه : ما الخبرُ وما الأمرُ ، فهو دالٌّ على ذلك محذوفُ الخبرِ ، وفى الحديث : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بعبد الرحمن بن عَوْفٍ رَدْعَ خَلُوقٍ[(٢)] فقال : مَهْيَمْ ؟ فقال : تزوجتُ يارسولَ الله ، فقال : أَوْلِمْ ولو بشاةٍ ، وكان تَزَوَّجَ على نَواةٍ » وأصحابُ الحديث يَرْوُونَه[(٣)] « على نَوَاةٍ من ذَهبٍ قيمتُها خمسة دراهِمَ[(٤)] » . وهذا خطأٌ وغلطٌ ، العربُ تقول « نَواةٌ » فتَعنِى بها خمسةَ دراهمَ ، كما تقول

---

(١) قال المرصفى : « يريد كلمة استفهام » . وهى مبتدأ محذوف الخبر . وعن أبى عبيد : « هى كلمة يمانية » .

(٢) « الخلوق » بفتح الخاء : طيب معروف مركب ، يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب ، وتغلب عليه الحمرة والصفرة ، قاله فى النهاية . و « الردع » التلطيخ بالطيب ، وقيل هو أثره .

(٣) فى ج و س و د و هـ و ف « يقولون » .

(٤) الحديث رواه أحمد فى المسند من حديث أنس (رقم ١٢٧١٣ ، ١٣٠٠٨ ، ١٣١٥٥ ، ١٣٨٩٩ ، ج ٣ ص ١٦٥ ، ١٩٠ ، ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ، ٢٧١) ورواه أيضا البخارى ومسلم وغيرهم . وانظر فتح البارى (ج ٩ ص ١٩٩ ـ ٢٠٥) وفى كل الروايات أو أكثرها « نواة من ذهب » .

« النَّشّ » لعشرين درهماً ، و « الأُوقِيَّةُ » لأربعين درهما ، فإنما هو اسمٌ لهذا المعنى[١] .

وكان العَلاءُ بن مُطَرِّفٍ السَّعْدِيُّ ابنَ عَمِّ عمْرِو القَنَا ، وكان يحبُّ أن يلقاه في تلك الحروب مبارزةً ، فلَحِقَه عمرُو القَنا وهو منهزم ، فضحك عمرٌو وقال متمثلاً :

تَمَنَّانِي لِيَلْقَانِي لَقِيطٌ أَعامِ لَكَ ابنَ صَعْصَعَةَ بن سَعْدِ

ثم صاح به : انجُ أبا المُصَدَّى ! وكان عمرُو القَنَا يُكْنَى أيضاً أبا المُصَدَّى .

وهذا البيتُ الذى تمثَّلَ به عمرٌو لِيزيدَ بن عَمرِو بن الصَّعِقِ الكِلابيِّ ، بقوله يعنى لَقِيطَ بن زُرَارةَ ، وكان يَطْلُبُه .

وقوله « أَعامِ لَكَ » يريدُ : ياعامِرُ ، فرخَّم . وإنما يريدُ الحَيَّ تعجباً ، أى لَكُمْ أَعْجَبُ من تَمَنِّيه للقائى ، فدَعَا بنى عامِرِ بن صعصعةَ ، وهم بنو صعصعةَ بن معاوية بن بكرِ بن هَوَازِنَ ، ويقال أنَّ عامرَ بن صعصعة هو ابن سعدِ بن زيدِ مَناةَ بن تَميمٍ ، لا ابنُ معاويةَ ، وأنهم نافِلةٌ فى قَيْسٍ ، ولذلك تَنَعَّتْ[٢] بنو سعدٍ من محاربتهم مع بنى تميمٍ يوم جَبَلَةَ ؛ ولذلك أنذرهم كَرِبُ بن صَفْوانَ .

---

(١) قلد المبرد فى هذا أبا عبيد . فى اللسان : قال أبو عبيد : قوله على نواة يعنى خمسة دراهم . قال : وقد كان بعض الناس يحمل معنى هذا أنه أراد قدر نواة من ذهب كانت قيمتها خمسة دراهم ، ولم يكن ثم ذهب ، إنما هى خمسة دراهم تسمى نواة ، كما تسمى الأربعون أوقية ، والعشرون نشا » . ورد عليه الأزهرىّ قال : « ونص حديث عبد الرحمن يدل على أنه تزوج امرأة على ذهب قيمته خمسة دراهم ، ألا تراه قال على نواة من ذهب ، رواه جماعة عن حميد عن أنس . قال : ولا أدرى لم أنكره أبو عبيد ؟! » .

(٢) فى ج و س و د و هـ و ف « امْتَنَعَتْ » .

وهذا البيتُ وضَعه سيبويه فى باب النداء الذى معناه معنى التعجُّبِ ، وشَبيهٌ به قولُ الصَّلَتانِ العَبْدِيِّ :

فياشاعِرًا لا شاعرَ اليومَ مِثْلُه جَريرٌ ولكن فى كُلَيبٍ تَوَاضُعُ

على معنَى قوله : فلله دَرُّهُ شاعِرًا .

وكان العَلاءُ بن مُطَرِّفٍ قد حملَ معه امرأتين له ، إحداهما من بنى ضَبَّةَ يقال لها أمُّ جميلٍ ، والأخرى بنتُ عمه ، وهى فلانةُ بنتُ عَقِيلٍ ، فطلَّق الضَّبيةَ وتخلَّصَ بهما [جميعاً][1] يومئذٍ ، وحَمَل الضَّبيةَ أوَّلاً ، ففى ذلك يقولُ :

أَلَسْتُ كَرِيمًا إِذْ أقولُ لِفِتْيَتِى قِفُوا فاحملوها قبلَ بنتِ عَقِيلِ

ولولم يكن عُودِى نُضارًا لأَصْبَحَتْ تَخِرُّ على المَتْنَيْنِ أمُّ جميلِ[2]

⁂

قال الصَّعْبُ بن يزيدَ : بعثنى المهلَّبُ لآتيَهُ بالخبر ، فصِرْتُ[3] إلى قنطرةِ أَرْبُكَ[4] على فرسٍ اشتريتُه بثلاثةِ آلافِ درهمٍ ، فلم أُحْسِسْ خبرًا ، فَسِرْتُ مُهَجِّرًا إلى أَن أَمْسَيْتُ ، فلمَّا أَظْلَمْنَا سمعتُ كلامَ رجلٍ عَرَفْتُه من الجَهاضِمِ[5] ،

---

(١) الزيادة من ج و د و هـ .

(٢) فى ج و س و د و ف « تجرُّ » .

(٣) فى ج و س و د و هـ و ف « فَضَرَبْتُ » .

(٤) « أربك » قرية بخوزستان .

(٥) بحاشية ا مانصه : « قال الفرَّاء : الجَهْضَمُ : الضَّخْمُ الهامَةِ المُسْتَديرُ الوجهِ . وقال الخليلُ : تقولُ العربُ تَجَهْضَمَ الفحلُ على أقرانِه : إذا علاها بكَلْكَلِهِ ، وبعيرٌ جَهْضَمُ الجَنْبَيْنِ ، أى رَحْبٌ » .

فقلتُ : ماوراءَكَ ؟ فقال : الشرُّ ، قلتُ : فأين عبدُ العزيز ؟ قال : أمامَكَ ، فلما كان مِن آخرِ الليلِ إذا أنا بِرُهاءِ خمسين فارساً معهم لواءٌ : فقلتُ ، [لِواءُ][1] مَن هذا ؟ فقالوا : هذا لواءُ عبدِ العزيزِ ، فتقدَّمتُ إليه ، فسلَّمتُ وقلتُ : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، لايَكبُرَنَّ عليكَ ما كانَ ، فإنك كنتَ في شَرِّ جُنْدٍ وأَخْبَثِه ، قال لي : أَوَ كنتَ مَعَنا ؟ قلتُ : لا ، ولكنْ كأنِّي شاهدٌ أمْرَكَ ، قال : كأنَّك كنتَ معنا ، قلتُ : أرسلني المهلَّبُ لآتيَه بخبرِكَ ، ثم تركتُه وأقبلتُ إلى المهلَّب ، فقال لي : ماوراءَكَ ؟ قلتُ : مايَسُرُّكَ ، قد هُزِمَ [عبدُ العزيز][2] وفُلَّ جيشُه ! فقال : وَيْحَكَ ! وما يَسُرُّنِي من هزيمةِ رجلٍ من قريشٍ وفَلِّ جيشٍ من المسلمين ؟! قلتُ : قد كان ذاكَ ، ساءَكَ أو سَرَّكَ ، فوجَّه رجلاً إلى خالدٍ يُخْبِره ، قال الرجلُ : فلما أَخبرتُ خالدًا قال : كذبتَ ولَؤُمْتَ ، ودَخَل رجلٌ من قريشٍ فكذَّبني ، وقال لي خالدٌ : واللهِ لَهَمَمْتُ أن أضربَ عنقَكَ ، قلتُ : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، إنْ كنتُ كاذبًا فاقتلني ، وإنْ كنتُ صادقًا فأَعطِني مُطْرَفَ هذا المتكلِّفِ ! فقال خالدٌ : لَبِئْسَ ماأَخْطَرْتَ به دَمَكَ !! فما بَرِحْتُ حتى دخل بعضُ الفَلِّ .

وقَدِمَ عبدُ العزيز سوقَ الأهوازِ ، فأكرمَه المهلَّبُ وكساه ، وقَدِمَ معه على خالدٍ ، واستخلفَ ابنَه حبيباً ، وقال له : تَحَسَّسْ عن الأخبار ، فإنْ أحسستَ بخبرِ الأزارقة قريبًا منك فانصرِفْ إلى البصرة ، فلم يَزَلْ حبيبٌ مقيماً والأَزارقةُ تدنُو منه ، حتى بلَغُوا قنطرة أَرْبُكَ ، فانصرفَ إلى البصرة

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .
(٢) الزيادة من س و ف .

على نهر تِيرَى ، فلما دخلها أُعْلِمَ خالدٌ ، فغَضِبَ عليه ، واستتر حبيبٌ فى بنى هلالِ بن عامر بن صعصعة ، فتزوَّج هناك فى استتارهِ الهِلاليَّةَ أمَّ عبَّادِ بن حبيب .

وقال الشاعرُ لخالدٍ يُفَيِّلُ رأيَه ، أى يُخَطِّئُه :

بعَثْتَ غلامًا مِّن قريشٍ فَرُوقَةً ... وتَتْرُكُ ذَا الرأىِ الأَصيلِ المُهَلَّبَا

أَبَى الذمَّ واختارَ الوَفاءَ وأُحْكِمتْ ... قُواهُ وقد ساسَ الأمورَ وجَرَّبَا

وقال الحٰرثُ بن خالدٍ المخزومىُّ :

فَرَّ عبدُ العزيزِ لمَّا رَأَى الأَبْـ ... ـطالَ بالسَّفْحِ نازلُوا قَطَرِيَّا

ويُرْوَى :

فَرَّ عبدُ العزيزِ إِذْ رَاءَ عِيسَى ... وابنَ دَاءودَ نازَلا قَطَرِيَّا[١]

عاهدَ اللهَ إِنْ نَجَا مِلْمَنَايَا ... لَيَعُودَنَّ بعدَها حُرْمِيَّا[٢]

يَسْكُنُ الخَلَّ والصِّفَاحَ فَمَرَّا ... نَ وسَلْمًا وتارةً نَجْدِيَّا

حيثُ لايَشْهَدُ القتالَ ولايَسْـ ... ـمَعُ يومًا لِكَرِّ خَيْلٍ دَوِيَّا

قولُه « إِذْ رَاءَ عيسى » الأصلُ « رَأَى » ولكنه قلبَ فقدَّم الألِفَ وأخَّرَ الهمزةَ ، كما قال كُثَيِّرٌ :

وكلُّ خليلٍ رَاءَنِى فهو قائلٌ ... مِّنْ أَجْلِكِ هذا هامةُ اليومِ أوغَدِ

---

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « عَبْسًا » بدل « عيسى » .

(٢) فى ج و د « حَرَمِيًّا » .

والقلبُ كثير فى كلام العربِ ، وسنذكر منه شيئًا فى موضعه إن شاء اللهُ .

وقولُه « مِلْمَنَايَا » يريدُ مِنَ المنايا ، ولكنَّه حَذَفَ النونَ لقُرْبِ مخرجها من اللاَّم ، فكانتا كالحرفين يلتقيان على لفظٍ فيُحذفُ أحدُهما ، ومن كلام العرب أن يحذفوا النونَ إذا لَقِيَتْ لامَ المعرفةِ ظاهرةً ، فيقولون فى بنى الحٰرِثِ وبنى العَنْبَرِ وما أَشبه ذلك « بَلْحٰرِثِ » و « بَلْعَنْبَرِ » و « بَلْهُجَيْمِ » كما يقولون « عَلْمَاءِ بَنُو فلانٍ » فيحذفونَ إحدَى اللاَّمَيْنِ[1] .

وقولُه « لَيَعُودَنَّ بَعدَها حُرْمِيًّا » العربُ تَنْسُبُ إلى الحَرَمِ فيقولون[2] «حِرْمِيٌّ » و «حُرْمِيٌّ» على قولهم حُرْمَةُ البيتِ وحِرْمَةُ البيتِ ، وقال النابغة الذبيانِىُّ :

من قولِ حُرْمِيَّةٍ قالتْ وقد رَحَلُوا هل فى مُخِفِّيكُمُ مَن يَشْتَرِى أَدَمَا

و « الخَلُّ » ههنا موضعٌ ، وأصلُه الطريقُ فى الرَّمْلِ .

☆☆☆

وكَتَبَ خالدٌ إلى عبد الملك بعُذْرِ عبد العزيز ، وقال المهلَّب : ما تُرَى عبدَ الملك صانعاً بى ، قال : يَعزِلُكَ ، قال : أَتُرَاهُ قاطعاً رَحِمِى ؟ قال : نعم ، أَتَتْهُ هزيمةُ أُمَيَّةَ أَخِيكَ من البَحْرَيْنِ . وتأتيه هَزيمةُ أخيك عبدِ العزيز من فارسَ .

---

(١) انظر أيضا مامضى فى هذا الجزء ص ١٠٤٨

(٢) فى ج وس ود وهـ و ف « فتقول » .

قال أبو العباس : فكَتَبَ عبدُ الملك إلى خالدٍ :

أما بعدُ ، فإنى كنتُ حَدَدْتُ لك حَدًّا فى أمر المهلَّب ، فلما ملكتَ أمرَكَ نبذتَ طاعتى واستبددتَ برأيك ، فولَّيتَ المُهلَّبَ الجِباية ، ووليتَ أخاكَ حَرْبَ الأزارقة ، فقَبَّحَ اللهُ(١) هذا رأيًا ، أتبعثُ غلامًا غِرًّا لم يُجَرِّبِ الحروبَ [للحرب](٢) ، وتتركُ سيدًا شجاعا مُدبِّرًا حازمًا قد مارَسَ الحروبَ تَشْغَلُهُ بالجِبايةِ ؟! أَمَا [واللهِ](٣) لو كافأتُك على قدرِ ذنبك لأَتاكَ مِن نَكِيرى مالا بَقِيَّةَ لكَ معه ، ولكنْ تذكَّرتُ رَحِمَك فَلَفَتَتْنِى عنكَ(٤) ، وقد جعلتُ عقوبتَك عَزْلَكَ .

ووَلَّى بِشْرَ بن مَرْوانَ وهو بالكوفة وكَتَبَ إليه :

أما بعدُ ، فإنك أخو أميرِ المؤمنين ، يجمعك وإيَّاه مَرْوانُ بن الحكَم ، وإن خالدًا لا مُجْتَمَعَ له مع أمير المؤمنين دون اميَّةَ ، فانظرِ المهلَّبَ [بنَ أبى صُفْرَةَ](٥) ، فوَلِّه حربَ الأزارقة ، فإنه سيِّد بَطَلٌ مُجَرَّبٌ ، فأَمْدِدْه(٦) من من أهل الكوفة بثمانية آلافِ رجلٍ .

---

(١) بحاشية ا مانصه : « قال ابن دُرَيْدٍ : قَبَّحَ اللهُ الرجلَ تَقْبيحًا ، وقَبَحَهُ قَبْحًا ، مفتوحٌ ، فى معنى الدعاء عليه ، ورجلٌ قَبيحٌ وَقُبَاحٌ » .

(٢) الزيادة من س و د و ه و ف .

(٣) الزيادة من س و ف .

(٤) فى ج و د و ه و ف «فكفَّتْنِى عنكَ» . وبحاشية ا ما نصه : « المُهلَّبىّ: لَفَتُّ الشئَ أَلْفِتُهُ لَفْتًا : إذا لَوَيْتَه . ولَفَتُّ ردائى على عُنُقِى : إذا عَطَفْتَه » .

(٥) الزيادة من ج و س و د و ه و ف .

(٦) بحاشية ا مانصه : « يقال أَمَدَّ الأميرُ الجيشَ بجيشٍ . والمَدَدُ ماأَمْدَدت به قومًا فى الحربِ أو غيرِها من الطعامِ والأعوانِ » .

فَشَقَّ عليه ما أَمره [به](١) فى المهلَّب . وقال : واللهِ لأقتُلَنَّه(٢) ، فقال له موسى بن نُصَيْرٍ : [أيُّها الأميرُ](٣) ! إنَّ للمهلَّبِ حِفاظًا وبلاءً ووفاءً . .

وخَرجَ بشرُ بن مروانَ يريد البصرةَ ، فكتب موسى وعِكْرمةُ إلى المهلَّب أن يتلقَّاه لِقاءً لايَعْرِفُه به ، فتلقَّاه المهلَّبُ على بغلٍ ، فسلَّم عليه فى غُمارِ الناسِ ، فلما جَلَسَ بِشْرٌ مَجْلِسَهُ قال : ما فعل أميرُكم المهلَّبُ ؟ قالوا : قد تلقَّاك أيُّها الأميرُ وهو شاكٍ(٤) .

فهَمَّ بِشْرٌ أن يُوَلِّى حَرْبَ الأزارقة عُمَرَ بن عُبيد الله ، فقال له أسماءُ بن خارجةَ : إنما وَلَّاك أميرُ المؤمنينَ لِترَى رأيَك ، فقال له عِكْرِمَةُ بن رِبْعِيّ : اكْتُبْ إلى أميرِالمؤمنين وأعْلِمْهُ عِلَّةَ المهلّب ، فكتب إليه يُعْلِمُهُ عِلَّةَ المهلَّبِ وأنَّ بالبصرة من يُغْنِى غَنَاءَهُ ، ووَجَّهَ بالكتاب مع وَفْدٍ أوْفَدَهُمْ إليه ، رئيسُهم عبدُ الله بن حَكيمٍ المُجَاشِعِيُّ ، فلمَّا قرأ الكتابَ خَلاَ بعبد الله بن حَكيمٍ فقال : إنَّ لك دِينًا ورأيًا وحَزْمًا ، فَمَنْ لِقتالِ هؤلاء الأزارقةِ ؟

---

(١) الزيادة من ج و س و هـ و ف .

(٢) فى ج و س و د و هـ « لا قَبِلَتْه » .

(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

(٤) بحاشية ا ما نصه : «قال أبو يعقوب : حدثنى ابنُ شاذانَ عن أبى عُمَرَ عن ثعلبٍ قال : الشَّكِيُّ الذى يَشْتَكِى وجَعًا أو غيرَه ، والشَّكِيُّ المَشْكُوُّ أيضًا ، شكَوْتُه فهو شَكِيٌّ ومَشْكُوٌّ . قال : وقال الخليلُ : الشَّكْوَى الاشْتِكاء ، تقولُ اشتَكَى يَشْتَكِى اشتِكاءً ، يُسْتَعْمَلُ ذلك فى المَوْجِدَةِ والمَرَضِ ، تقولُ هو شاكٍ ومريضٌ قد اشتَكَى وتَشَكَّى » .

قال : المهلَّبُ ، قال : إنه عَلِيلٌ ، قال : ليستْ عِلَّتُه بمانِعَتِه[١] . قال عبدُ الملك : أرادَ بِشْرٌ أن يفعلَ مافعلَ خالدٌ .

فكتَبَ [إليه][٢] يَعْزِمُ عليه أن يُوَلِّيَ المهلّبَ ، فوجَّهَ إليه ، قال المهلَّبُ : أنا عَلِيلٌ ولا يُمْكِنُنِي الاختلافُ ، فأمَرَ بشرٌ بحمل الدواوين إليه ، فجعل يَنْتَخِبُ ، فاعترض بشرٌ عليه ، فاقتَطَعَ أكثرَ نُخْبَتِه ، ثم عَزَمَ [عليه][٣] أن لا يُقيمَ بعدَ ثالثةٍ ، وقد أخَذَتِ الخوارجُ الأَهْوازَ وخَلَّفوها وراءَ ظهورهم وصاروا بالفُراتِ ، فخرج إليهم المهلَّبُ حتى صار إلى شَهَارْطَاقَ ، فأتاه شيخٌ من بنى تميمٍ فقال : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، إنَّ سِنِّى ما تَرَى ، فهَبْنِي لعيالِي ، قال : على أن تقولَ للأَميرِ إذا خَطَبَ فَحَثَّكُمْ على الجهادِ كيفَ تَحُثُّنا على الجهادِ وأنتَ تحبسُ أشرافَنَا وأهلَ النَّجْدةِ منَّا ؟ ففعلَ الشيخُ ذلك ، فقال له بشرٌ : [و][٣] ما أنتَ وذاكَ ؟ قال : لاشيءَ ، وأَعطَى المهلَّبُ رجلاً ألفَ درهمٍ على أن يأتىَ بشرًا فيقولَ له : أيُّها الأمير أَعِنِ المهلَّبَ بالشُّرْطَةِ والمُقَاتِلَةِ ، ففعلَ الرجلُ ذلك ، فقال له بشرٌ : ماأنتَ وذاكَ ؟ قال نَصِيحةٌ [حَضَرَتْنِي][٣] للأَميرِ والمسلمينَ ولا أَعُودُ إلى مثلها ، فأَمَدَّهُ بالشُّرْطَةِ والمُقَاتلة .

وكتب بشرٌ إلى خليفتِه بالكوفة أن يَعْقِدَ لعبد الرحمن بن مِخْنَفٍ على ثمانيةِ آلافٍ ، من كُلِّ رُبْعٍ ألفين ، وَيُوَجِّهَ به مَدَدًا إلى المهلَّب ، فلما أتاه الكتابُ بعثَ إلى عبد الرحمن بن مِخْنَفٍ الأَزْدِيِّ فَعَقَدَ له ، واختارَ له من

---

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « بِمَانِعَةٍ » .

(٢) الزيادة من ج و هـ .

(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

كُلِّ رُبْعٍ ألفين ، فكان على رُبْعِ أهلِ المدينة بِشرُ بن جريرٍ البَجَلِيُّ ، وعلى رُبْعِ تميمٍ وهَمْدانَ عبدُالرحمن بن سَعيد بن قيس الهَمْدانىّ ، وعلى رُبْعِ كِنْدةَ وربيعةَ محمدُ بن إسحٰقَ بن الأشعثِ الكِنْدِىّ ، وعلى مَذْحِجٍ وأسَدٍ زَحْرُ بن قيسٍ المَذْحِجِىُّ ، فقدِموا على بشرٍ ، فَخَلا بعبد الرحمن بن مِخْنَفٍ ، فقال له : قد عرفتَ رأيى فيك وثقتى بك ، فكُنْ عند ظَنِّى ، انظُرْ هذا المزُونِىَّ فخالِفه فى أمره ، وأفسِدْ عليه رأيَه ، فخرج عبدُ الرحمن بن مِخْنَفٍ وهو يقولُ : ما أعْجَبَ ماطَمِعَ مِنِّى فيه هذا الغلامُ ! يأمرُنِى أن أُصغِّرَ شيخا من مشايخ أهلِى وسيدًا من ساداتِهم !؟ فلَحِق بالمهلبِ .

⁂

فلمَّا أحَسَّ الازارقةُ بِدُنُوِّه منهم انكشفوا عن الفُراتِ ، فاتَّبعهم المهلَّبُ إلى سوق الأهوازِ ، فنفاهم عنها ، ثم تَبِعهم(١) إلى رَامَ هُرْمُزَ فهزَمَهم منها ، فدخلوا فارسَ ، وأبْلَى يزيدُ ابنُه فى وقائعه هذه بلاءً حسنًا(٢) ، تَقَدَّم فيه وهو ابنُ إحدى وعشرين سنةً ، فلما صارَ القومُ بفارسَ وَجَّهَ إليهم ابنَهُ المُغيرةَ ، فقال له عبدُ الرحمن بن صُبْحٍ : أيها الأمير ! [إنه](٣) ليس برأيٍ [لك](٤) قتلُ هذه الأكْلُبِ ، ولَئِنْ ـ واللهِ ـ قَتَلْتَهم لتَقْعُدَنَّ فى بيتِك ، ولكنْ طَاوِلْهُمْ وكُلْ بهم ، فقال : ليس هذا من الوَفاءِ .

---

(١) فى ج و د و هـ و ف « اتَّبَعهم » .

(٢) فى ج و س و د و هـ و ف « بلاءً شديدًا » .

(٣) الزيادة من ج و هـ

(٤) الزيادة من ف .

فلم يَلْبَثْ[(١)] بِرَامَ هُرْمُزَ إلَّا شهرًا حتى أتاه[(٢)] موتُ بشرٍ ، فاضطرب الجندُ على ابنِ مِخْنَفٍ ، فوَجَّهَ إلى محمد بن إسحٰقَ بن الأَشْعَثِ وابنِ زَحْرٍ واستحلفهما أن لّا يَبْرَحَا ، فحلفا له ، ولم يَفِيَا ، فجعل الجندُ من أهل الكوفة يتسلَّلون حتى اجتمعوا بسوق الأَهْوازِ ، وأراد أهلُ البصرة الانسلالَ من المهلَّب ، فخطبهم فقال : إنكم لستم كأهل الكوفة ، إنما تَذُبُّونَ عن مصركم وأموالِكم وحُرَمِكُمْ ، فأقام منهم قومٌ وتَسَلَّلَ منهم ناسٌ كثيرٌ .

وكان خالدُ بن عبد الله خليفةَ بشرِ بن مروانَ ، فوَجَّهَ مَوْلًى له بكتاب منه إلى مَنْ بالأهواز ، يَحْلِفُ فيه بالله مجتهدًا ، لَئِنْ لم يَرْجِعُوا إلى مراكزهم وانصرفوا عُصاةً لا يَظْفَرُ بأحدٍ منهم إلَّا قتَله ، فجاء مولاه فجعل يقرأُ الكتابَ عليهم ولا يَرَى فى وجوههم قَبُولَه ، فقال : إنّى لَأَرَى وُجوهًا ما القبولُ من شأنِها ! فقال له ابنُ زَحْرٍ : أيُّها العبدُ ! اقرأْ ما فى الكتاب وانصرِفْ إلى صاحِبك ، فإنك لا تدرى ما فى أنفسنا ، وجعلوا يَسْتَعْجِلُونه فى قراءتِه[(٣)] ، ثم قَصَدُوا قَصْدًا الكوفة ، فنزلوا النُّخَيلةَ ، وكَتبوا إلى خليفة بشرٍ يَسْئَلُونه أن يأذنَ لهم فى الدخول ، فأَبَى ، فدخلوها بغير إذنٍ .

فلم يَزَلِ المهلَّبُ ومَن معه من قُوّادِهِ وابنُ مِخْنَفٍ فى عَدَدٍ قليلٍ ، فلم يَنْشَبُوا أنْ وَلِىَ الحجَّاجُ العِراقَ ، فدَخَلَ الكوفةَ قبْلَ البصرةِ ، وذلك

---

(١) بحاشية ا مانصه : « يقال لَبِثَ بالمكانِ يَلْبَثُ لَبْثًا ولُبثًا فهو لابِثٌ ، وَأَلْبَثْتُهُ إلْبَاثًا ، وَلِى لَبْثَةٌ على هذا الأمر ، أى تَوَقُّفٌ » .

(٢) فى ج و س و د و هـ و ف « أتاهم » .

(٣) فى ج و س و د و هـ و ف « يَسْتَحِثُّونَهُ بقراءتِه » .

فى سنة خمسٍ وسبعين ، فخطبهم وتهدّدهُم ، وقد ذكرنا الخطبة مُتقدِّمًا[(١)] ، ثم نَزَلَ فقال لوُجوهِ أهلها : ما كانتِ الوُلاةُ تفعلُ بالعُصاةِ ؟ فقالوا : كانت تَضْرِبُ وتَحْبِسُ ، فقال الحجّاجُ : ولكنْ ليس لهم عندى إلّا السيفُ ، إن المسلمين لو لم يَغْزُوا المشركين لغزاهُم المشركون ، ولو ساغتِ المعصيةُ لأهلها ما قُوتِلَ عدوٌّ ولا جُبِى فَىْءٌ ولا عَزَّ دِينٌ .

ثم جَلَسَ لتوجيه الناسِ ، فقال : قد أجَّلْتُكُمْ ثلاثًا ، وأُقسم باللّه لا يتخلّفُ أحدٌ من أصحاب ابنِ مِخْنَفٍ بعدَها ولا مِن أهل الثُّغورِ إلّا قتلْتُهُ ، ثم قال لصاحب حَرَسِهِ وصاحبِ شُرَطِهِ : إذا مَضَتْ ثلاثةُ أيامٍ فاتخذا سيوفَكما عِصِيًّا ، فجاءهُ عُمَيْرُ بن ضابِئٍ البُرْجُمِىُّ بابنه ، فقال : أصلح اللّهُ الأميرَ ، إنّ هذا أنفعُ لكم مِنّى ، هو أشدُّ بنى تميمٍ أيْدًا ، وأجمعُهم سلاحًا ، وأربطُهم جَأْشًا ، وأنا شيخٌ كبيرٌ عليلٌ ، واستشهدَ جُلَساءهُ ، فقال [له][(٢)] الحجاجُ : إنّ عُذْرَكَ لَواضِحٌ ، وإن ضَعْفَك لَبَيِّنٌ ، ولكِنِّى أكرهُ أن يجترِئَ بك الناسُ علىَّ ، وبعدُ فأنتَ ابنُ ضابِئٍ صاحبُ عثمانَ ، ثم أمَر به فقُتِلَ ، فاحتملَ الناسُ ، وإن أحدَهُم لَيُتْبَعُ بزادِه وسلاحِه ، ففى ذلك يقول ابنُ الزَّبِيرِ الأَسَدِىُّ :

أقولُ لعبد اللّه يومَ لقيتُهُ أرى الأمرَ أَمْسَى مُنْصِبًا مُتَشَعِّبًا
تخيَّرْ فإمّا أنْ تزورَ ابنَ ضابِئٍ عُمَيْرًا وإمّا أن تزورَ المهلَّبَا

(١) مضت الخطبة فى الجزء الأول ص ٣٣٣ وما بعدها .
(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف

هما خُطَّتا خَسْفٍ نَجَاؤُكَ منهما ... رُكوبُكَ حَوْلِيًّا مِّن الثَّلْجِ أَشْهَبَا
فَمَا إن أرَى الحجاجَ يَغْمِدُ سيفَه ... يَدَ الدهرِ حتى يتركَ الطِّفْلَ أَشْيَبَا
فأَضْحَى ولو كانتْ خُراسانُ دونَه ... رآها مَكانَ السُّوقِ أو هِيَ أَقْرَبَا

وهَرَبَ سَوَّارُ بن المُضَرَّبِ السَّعْدِيُّ من الحجاجِ وقال :

أَقَاتِلِيَ الحجاجُ إن لَّم أَزُرْ له ... دَرابَ وأَتْرُكْ عندَ هندٍ فؤاديَا

وقد مرت هذه الأبياتُ[١] .

⁂

وخرج الناسُ عن الـكوفة ، وأتى الحجاجُ البصرةَ ، فكان عليهم أشدَّ إلحاحًا ، وقد كان أتاهُم خبرُه بالـكوفة ، فتحمَّلَ الناسُ قبلَ قدومه ، فأتاه رجلٌ من بنى يَشْـكُرَ ، وكان شيخًا كبيرًا أعورَ ، وكان يجعلُ على عينه العوراءِ صوفةً ، فكان يُلقَّبُ ذا الـكُرْسُفَةِ ، فقال : أصلحَ اللهُ الأميرَ إنّ بى فَتْقًا ، وقد عَذَرَنِى بِشْرٌ ، وقد رَدَدتُ العطاءَ ، فقال : إنك عندى لَصادِقٌ ، ثم أَمَرَ به فَضُرِبَتْ عُنُقُه[٢] ، ففى ذلك يقول كَعْبٌ الأَشْقَرِىُّ أو الفرزدقُ :

لقد ضَرَبَ الحَجَّاجُ بالمصرِ ضربةً ... تقَرْقَرَ منها بطنُ كلِّ عَرِيفِ

ويُروى عن ابن مَيْرَةَ قال : إنَّا لَنَتَغَدَّى معه يومًا إذ جاء[٣] رجلٌ من

---

(١) فى الجزء الثانى ص ٤٤٥

(٢) بحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ السِّـكِّيتِ : العُنُق مُؤَنَّثٌ فى قول أهل الحجازِ ، وتصغيرُها عُنَيْقَةٌ . وَأَسَدٌ تُذَكِّرُهُ ، و إذاحَقَّرُوهُ قالوا : هذا عُنَيْقٌ طويلٌ » .

(٣) فى ج و د و هـ و ف « جاءه » .

[بَنِي](١) سُلَيْمٍ برجلٍ يقودُهُ ، فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ، إنّ هذا عاصٍ ، فقال : له الرجلُ : أَنْشُدُكَ اللهَ أيُّها الأميرُ في دَمِي ، فواللهِ ما قبَضْتُ دِيوانًا قطُّ ، ولا شهدتُ عسكرًا ، وإنِّي لَحَائِكٌ أُخِذْتُ من تحتِ الحَفِّ(٢) ، فقال : اضربوا عنقَه ، فلمَّا أحسَّ بالسيف سَجَدَ ؛ فلَحِقَه السيفُ وهو ساجدٌ ، فأمسكنا عن الطعامِ(٣) ، فأقبل علينا الحجاجُ فقال : مالِي أراكم صَفِرَتْ أيديكم واصْفَرَّتْ وجوهُكم وحَدَّ نظرُكم مِن قتلِ رجلٍ واحدٍ ؟! إنّ العاصِيَ يجمعُ خِلالًا : يُخِلُّ بِمَرْكَزِهِ(٤) ، ويَعْصِي أميرَه ، ويَغُرُّ المسلمينَ [من نفسِه](٥) وهو أجيرٌ لهم ، وإنما يأخذُ الأُجرةَ لِمَا يعملُ ، والوالِي مُخَيَّرٌ فيه ؛ إن شاءَ قتَلَ وإن شاء عَفَا .

ثم كتَب الحجاجُ إلى المهلَّبِ : أمَّا بعدُ ، فإنَّ بِشْرًا رحمه الله اسْتَكْرَهَ نَفْسَه عليك ، وأَراكَ غَناءَهُ عنك(٦) ، وأنا أُرِيكَ حاجتي إِليك ، فأَرِنِي الجِدَّ في قتالِ عدوِّك ، ومَنْ خِفْتَهُ على المعصيةِ مِمَّن قِبَلَكَ فاقتُلْه ، فإني قاتلٌ مَنْ

---

(١) الزيادة من ج و د و هـ و ف .

(٢) « الحفّ » بفتح الحاء وتشديد الفاء : المنسج .

(٣) في ج و س و د و هـ و ف « عن الأكل » .

(٤) في بعض طبعات مصر « بمركزكم » وهو خطأ ومخالف لكل الأصول .

(٥) الزيادة من د و هـ و ف .

(٦) بحاشية ا ما نصه : « يقال ما يُغْنِي عنك غَنَاءً ، أي ما يُجْزِئُ عنك ، والغَنَاءُ مثلُ الجَدَاءِ ، والغَنَاءُ الإجْزَاءُ ، وتقول رجلٌ مُغْنٍ ، أي مُجْزِئٌ ، والفعلُ غَنِيَ عنه فهو غَانٍ » .

قِبَلِي ومَنْ كان عندى مِن وَلِيٍّ مَنْ هَرَبَ عنك فأعلمنى مكانه ، فإنى أرى أن آخُذَ الوَلِيَّ بالوَلِيِّ ، وَالسَّمِيَّ بِالسَّمِيِّ .

فكتب إليه المهلَّبُ : ليس قِبَلِي إلاَّ مُطِيعٌ ، وإنَّ الناسَ إذا خافوا العقوبةَ كبَّرُوا الذنبَ ، وإذا أمِنُوا العقوبةَ صغَّروا الذنبَ ، وإذا يَئِسُوا من العفوِ أَكْفَرَهُم ذلك ، فهَبْ لِي هؤلاء الذين سَمَّيْتَهم عصاةً ، فإنما هم فرسانٌ أبطالٌ[١] ، أرجو أن يَقتُلَ اللهُ بهم العدوَّ ونادِمٌ على ذَنْبِه .

⁂

فلما رأى المهلَّبُ كثرةَ الناس عليه قال : اليومَ قُوتِلَ هذا العدوُّ . ولمَّا رأى ذلك قَطَرِيٌّ قال : انهضوا بِنَا نُرِيدُ السَّرَدَانَ[٢] فنتحصَّنُ فيها ، فقال عُبَيْدَةُ بن هِلالٍ : أو نَأْتِيَ سَابُورَ ، وخرج المهلَّبُ فى آثارهم ، فأتى أَرَّجَانَ ، وخاف أن يكونوا قد تحصَّنُوا بالسَّرَدَانِ[٢] ، وليست بمدينةٍ ، ولكنْ جبالٌ مُحْدِقَةٌ مَنِيعَةٌ ، فلم يُصِبْ بها أحدًا ، فخرج نحوَهم فعَسْكَرَ بكَازَرُونَ ، واستعَدُّوا لقتالِه ، وخَنْدَقَ على نفسِه ، ثم وَجَّهَ إلى عبد الرحمن بن مِخْنَفٍ : خَنْدِقْ على نفسِك ، فوجَّهَ إليه : خنادقُنا سُيوفُنا ، فوجَّه إليه المهلَّبُ : إنى لا آمَنُ عليك البياتَ ، فقال ابنُه جعفرٌ : ذاك أهونُ علينا من ضَرْطَةِ جملٍ !

---

(١) فى س و د و هـ « فانهم فريقان : أبطال » الخ ولعله أجود .

(٢) كذا فى بعض الأصول بفتح الراء وزيادة ألف بعد الدال . وفى ج و س و د و هـ و ف « السَّرْدَنَ » و « بالسَّرْدَنِ » بسكون الراء وبدون ألف ، وهو الصواب ، كما ضبطه البكرى وياقوت . قال البكرى : « وهو موضع ببلاد فارس بازاء كازرون » .

فأقبلَ المهلّبُ على ابنه المغيرةِ فقال : لم يُصيبوا الرأىَ ولم يأخذوا بالوَثيقةِ ، فلما أصبحَ القومُ غادَوْه الحربَ ، فبعَثَ إلى ابن مِخْنَفٍ يستمدُّه ، فأمَدَّه بجماعةٍ ، وجعل عليهم ابنَه جعفرًا ، فجاؤا وعليهم أَقْبِيَةٌ بِيضٌ جُدُدٌ ، فقاتَلوا يومئذٍ حتى عُرِف مكانُهم ، وحاربَهمُ المهلَّبُ ، وأبْلَى بنوه يومئذٍ كَبَلاءِ الكوفيِّينَ أو أشَدَّ ، ثم نَظَرَ إلى رئيسٍ منهم يقال له صالحُ بن مِخْراقٍ ، وهو يَنْتَخِبُ قومًا من جِلّةِ العسكرِ ، حتى بلغوا أَرْبَعَمِائةٍ ، فقال لابنه المُغيرةِ : ما يُعِدُّ هؤلاء إلّا لِلبيَاتِ ، وانكشف الخوارجُ والأمرُ للمهلَّبِ عليهم ، وقد كَثُرَ فيهم القتلُ والجِراحُ .

☆☆☆

وقد كانَ الحجاجُ فى كل يومٍ يتفقّدُ العُصاةَ ويُوجِّهُ الرجالَ ، فكان يَحْبِسهم نهارًا ، ويَفْتَحُ الحَبْسَ ليلاً ، فيَنْسَلُّ الناسُ إلى ناحيةِ المهلَّبِ ، وكأنَّ الحجاجَ لا يَعلم ، فإذا رأى إسْراعَهمْ تَمَثَّلَ :

إنَّ لها لَسَائقًا عَشَنْزَرَا إذا وَنَيْنَ وَنْيَةً تَغَشْمَرا

«العَشَنْزَرُ» الصُّلْبُ[(١)] ، و«التَّغَشْمُرُ[(٢)]» رُكوبُ الرَّأسِ ، و«المُتَغَشْمِرُ» الجادُّ على ما خيَّلتْ .

وكَتَبَ إلى المهلَّب مِن قَبْلِ الوَقْعةِ : أما بعدُ ، فإنه بلغنى أنك أقبلتَ على جِبايةِ الخَراجِ ، وتركتَ قتالَ العدوِّ ، وإنّى وَلّيْتُكَ وأنا أَرَى مكانَ

(١) بحاشية ا مانصه : « المُهَلَّبِيُّ : العَشَنْزَرُ السَّرِيعُ » . وكلا التفسيرين صحيح .
(٢) فى ج و د و هـ و ف « الغَشْمَرَةُ » .

عبدِ الله بن حَكيمٍ المُجاشِعِيّ وعَبّادِ بن حُصَيْنٍ الحَبَطِيّ ، واخترتُك وأنتَ من أهلِ عُمانَ ، ثُم رجلٌ من الأَزْدِ ، فالْقَهُمْ يومَ كذا فى مكانِ كذا ، وإلّا أَشْرَعْتُ إليكَ صَدْرَ الرُّمح !!

فشاوَرَ بَنِيهِ فقالوا : إنه أَميرٌ ، فلا تَغْلُظْ عليه فى الجواب .

فكَتَب إليه المهلَّبُ : ورَدَ علىَّ كتابُك تزعم أَنِّى أقبلتُ على جباية الخراج وتركتُ قتالَ العدوِّ ، ومَنْ عَجَزَ عن جباية الخراج فهو عن قتال العدوِّ أَعْجَزُ ، وزعمتَ أنك وَلَّيتَنى وأنت تَرَى مكانَ عبد الله بن حكيمٍ المُجاشِعِيّ وعَبّادِ بن حُصَين الحَبَطِيّ ، ولو وَلَّيتَهما لكانا مُسْتَحِقَّيْنِ لذلك فى فَضْلهما وغَنائهما وبطشهما ، واخترتنى وأنا رجلٌ من الأَزْدِ ، ولَعَمْرِى إنّ شَرًّا من الأَزْدِ لقَبِيلَةٌ تُنازِعُها ثلاثُ قبائلَ ، لم تَسْتَقِرَّ فى واحدةٍ منهنَّ ، وزعمتَ أَنِّى إن لم أَلْقَهم فى يومِ كذا فى مكانِ كذا أشرعتَ إلىَّ صدرَ الرمح ، فلو فعلتَ لَقَلَبْتُ إليك ظَهْرَ المِجَنِّ ، والسلامُ .

ثم كانت الوقعةُ . فلما انصرف الخوارجُ قال المهلَّب لابنه المُغيرةِ : إنى أخافُ البَياتَ على بنى تميمٍ ، فانْهَضْ إليهم فكُنْ فيهم ، فأتاهم المغيرةُ ، فقال له الحَرِيشُ بنُ هلالٍ : ياأبا حاتمٍ ! أَيَخافُ الأَميرُ أن يُؤْتَي من ناحيتنا ؟ قُلْ له فَلْيَبِتْ آمِنًا ، فإنَّا كافُوهُ ما قِبَلَنا إن شاء الله . فلما انتصفَ الليلُ ، وقد رَجَعَ المغيرةُ إلى أبيه ، سَرَى صالِحُ بن مِخْراقٍ فى القوم الذين أَعَدَّهُم إلى ناحية بنى تميمٍ ، ومعه عَبِيدةُ بنِ هلالٍ ، وهو يقولُ :

إنى لَمُذْكٍ لِلسُّرَاةِ نارَهَا وَمانعٌ مِمَّنْ أتاها دارَهَا

* وغاسِلٌ بالطَّعْنِ عنها عارَهَا *

فوجدَ بنى تميمٍ أيقاظاً مُتَحارِسِينَ ، فخرج إليهم الحَرِيشُ بن هلالٍ وهو يقولُ :

لقد وَجَدتُمْ وُقُرًا أَنْجادَا لا كُشُفًا مِيلاً ولا أَوْغادَا

هَيْهاتَ لا تُلْفُونَنَا رُقَادَا لا بَلْ إذا صِيحَ بنا آسَادَا[1]

ثم حَمَلَ على القوم فرجعوا عنه ، فاتبعهم وصاح بهم : إلى أينَ يا كلابَ النار ؟ فقالوا : إنما أُعِدَّتِ النارُ لك ولأصحابك ، فقال الحَرِيشُ : كلُّ مملوكٍ لى حُرٌّ إن لم تَدْخُلُوا النارَ إنْ دخلَها مجوسىٌّ فيما بين سَفَوانَ[2] وخُراسانَ .

قوله : « وَجَدتُّم وُقُرًا » جمعُ وقُورٍ . و « النَّجْدُ » ضدُّ البَليدِ ، وهو المتيقِّظُ الذى لا كَسَلَ عندَه ولا فُتورَ . و « الامْيلُ » فيه قولانِ : قالوا :

---

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقال رجلٌ نَجْدٌ ونَجيدٌ بَيِّنُ النَّجْدَةِ : إذا كان جَلْدًا . قال : وحدثنى أبو عُمَرَ الزاهدُ عن ثعلبٍ قال : الوَغْدُ الضَّعيفُ من الرجالِ ، والجماعةُ أَوْغادٌ ، وقد وَغُدَالرجلُ وَغادَةً . قال ثعلبٌ : وحدثنى الأَثْرَمُ عن أبى عُبيدةَ قال : قال أَفَارُ بن لَقِيطٍ : كنتُ وَغْدًا يومَ الكُلابِ ، أى ضعيفاً . قال أبو عُبيدةَ : قلتُ لأُمِّ الهيثم : ما الوَغْدُ ؟ » . وهكذا هو بالأصل ذكر السؤال ولم يذكر الجواب .

(٢) « سفوان » بفتح الفاء : ماء قريب من البصرة .

الذي لا يَسْتَقِرُّ على الدابة ، وقالوا : هو الذى لا سَيْفَ معه . و «الأَكْشَفُ» الذى لا تُرْسَ معه . و «الأَجَمُّ» الذى لا رُمْحَ معه . و «الحاسِرُ» الذى لا دِرْعَ عليه . و «الأَعْزَلُ» الذى لا يَتَقَوَّمُ على ظَهرِ الدابَّةِ . و «الوَغْدُ» الضعيفُ .

ثم قال بعضُهم لبعضٍ : نأتِى عسكرَ ابنِ مِخْنَفٍ فإنه لا خَنْدَقَ عليهم ، وقد تَعِبَ فرسانُهم اليومَ مع المهلَّب ، وقد زَعموا أَنَّا أَهْوَنُ عليهم من ضَرْطةِ جَملٍ ، فأَتَوْهُم ، فلم يَشْعُرِ ابنُ مِخْنَفٍ وأصحابُه بهم إلاَّ وقد خالَطُوهم فى عسكرِهم ، وكان ابنُ مِخْنَفٍ شريفاً ، يقولُ رجلٌ من غامِدٍ لرجلٍ يعاتبُه ويَضْرِبُ بابنِ مِخْنَفٍ المَثَلَ :

تَرُوحُ وتَغْدُو كلَّ يومٍ معَظَّمًا ... كأنك فينا مِخْنَفٌ وابنُ مِخْنَفِ

فتَرَجَّلَ عبدُ الرحمن بنُ مِخْنَفٍ فجالَدهم فقُتِلَ ، وقُتِلَ معه سبعون من القُرَّاءِ ، فيهم نَفَرٌ من أصحاب علىِّ بن أبى طالبٍ صلوات الله عليه ، ونفرٌ من أصحابِ ابن مسعودٍ ، وبَلَغَ الخبرُ المهلَّبَ ، وجعفرُ بن عبد الرحمن بن مِخْنَفٍ عندَ المهلَّبِ ، فجاءهم مُغِيثاً ، فقاتَلَهم حتى ارْتُثَّ(١) وصُرِعَ ، ووَجَّهَ المهلَّبُ إليهم ابنَه حبيبًا فكَشَفَهم ، ثم جاء المهلَّبُ حتى صَلَّى على ابنِ مِخْنَفٍ وأصحابه رحمهم الله ، وصارجُنْدُه فى جُنْدِ المهلَّبِ ، فضَمَّهم إلى ابنِه حبيبٍ ، فعَيَّرهم البصريون ، فقال رجلٌ لجعفرِ بن عبد الرحمن :

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : حدثنى أبو عُمَرَ عن ثعلبٍ عن ابن الأعرابىِّ قال : يقالُ أُرْتُثَّ الرجلُ ارْتِثَاثًا : إذا حُمِلَ من المَعْرَكةِ وبه رَمَقٌ . قال ابنُ شاذانَ : قال النَّضْرُ بن شُمَيْلٍ : ارْتُثَّ صُرِعَ » .

تركتَ أصحابَنا تَدْمَى نُحورُهُمُ ... وجِئتَ تَسْعَى إلينا خَضْفَةَ الجَمَلِ[1]

قوله « خَضْفَةَ الجملِ » يريدُ ضَرْطَةَ[2] الجملِ ، يقال خَضَفَ البعيرُ ، وأنشدنى الرِّيَاشِىُّ لأعرابىٍّ يذمُّ رجلاً اتَّخذ وليمةً :

إنَّا وَجَدْنَا خلفاً بِئْسَ الخَلَفْ ... أَغْلَقَ عَنَّا بابَهُ ثم حَلَفْ

لا يُدْخِلُ البوابُ إلّا مَنْ عَرَفْ ... عَبْدٌ إذا ماناءَ بِالحِمْلِ خَضَفْ[3]

يقال « نَاءَ بحِمْلِهِ » إذا حَمَلَهُ فى ثِقَلٍ وتَكَلُّفٍ ، وفى القرآنِ : ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِى الْقُوَّةِ﴾[4] والمعنى أنَّ العُصْبَةَ تَنُوء بالمفاتيح ، وقد مَضَى تفسيرُ هذا [وتقولُ العربُ « حَبَجَ الرجلُ وحَبَقَ وخَضَفَ وزَدَمَ » كلُّ ذلك إذا ضَرِطَ][5] .

فلامَهُم المهلَّبُ ، وقال : بِئْسَما قُلتم ، واللهِ مافرُّوا ولا جَبُنوا ، ولكنهم خالَفُوا أَميرَهم ، أفلاتذكرون فِرارَكم يومَ دُولابَ ، وفرارَكم بدارِسَ عن عثمانَ ، وفرارَكم عنى ؟!

☆☆☆

ووَجَّهَ الحجاجُ البَرَاءَ بن قَبيصةَ إلى المهلَّبِ يَسْتَحِثُّهُ فى مُناجزةِ القوم ،

---

(١) فى د و ف « تَدْمَى كُلُومُهُمُ » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : حدثنى أبو عُمَرَ عن ثعلب قال : يقال خَضَفَ الحمارُ وغيرُه يَخْضِفُ خَضْفاً وخُضَافاً : إذا ضَرِطَ ، ويقال للمرأة : ياخَضَافِ » . قوله « ضرط » ضبط فى الأصل بفتح الراء ، وهو لغة فيه من باب « ضرب » والأكثر أنه من باب « فرح » .

(٣) فى ج و س و د و هـ و ف « عبدا » .

(٤) سورة القصص آية ٧٦

(٥) الزيادة من ج و ش وحاشية ف .

وكتب إليه : إنك لَتُحِبُّ بقاءهم لتأكلَ بهم . فقال المهلَّبُ لأصحابه : حَرِّكوهم ، فَخرج فرسانٌ من أصحابِه إليهم ، فَخرج إليهم من الخوارج جَمْعٌ ، فاقتتلوا إلى الليل ، فقال لهم الخوارجُ : ويلَكُمْ أَمَا تَمَلُّونَ ؟ فقالوا : لا ، حتى تَمَلُّوا ، قالوا : فمن أنتم ؟ قالوا : تَميمٌ ، قالت الخوارجُ : ونحن بنو تَميم ، فلما أَمْسَوْا افترقوا ، فلما كان الغَدُ خرج عشرةٌ من أصحاب المهلَّبِ وخرج إليهم عشرة من الخوارج ، فاحتَفَر كلُّ واحدٍ منهم حَفِيرَةً وأثبتَ قدَمَه فيها ، فكُلَّما قُتِلَ رجلٌ جاء رجلٌ من أصحابه فاجْتَرَّهُ ووقَف(١) مكانَه ، حتى أَعْتَمُوا ، فقال لهم الخوارجُ : ارجِعُوا ، فقالوا : بِل ارجِعوا أنتم ، فقالوا : ويلكم ! مَنْ أنتم ؟ فقالوا : تَميم ، قالوا : ونحن تَميم ، فرجَع البَراءُ بن قَبِيصةَ إلى الحجاج ، فقال له : مَهْ ؟ قال : رأيتُ قومًا لا يُعينُ عليهم إلَّا اللهُ .

وكتَب إليه المهلَّبُ : إنى منتظرٌ بهم إحدَى ثلاثٍ : موتٌ ذَرِيعٌ ، أو جوعٌ مُضِرٌّ ، أو اختلافٌ مِن أهوائهم .

وكان المهلَّبُ لا يَتَّكِلُ فى الحراسة على أحدٍ ، كان يتولَّى ذلك بنفسه ، ويستعين بولده وبمن يَحُلُّ مَحَلَّهُمْ فى الثقةِ عندَه .

وقال أبو حَرْملةَ العَبْديُّ يهجو المهلَّبَ :

عَدِمْتُكَ يا مُهَلَّبُ مِن أميرٍ ... أمَا تَنْدَى يمينُك للفقيرِ
بِدُولابٍ أضعتَ دماءَ قومٍ ... وطِرْتَ على مُواشِكَةٍ دَرُورِ(٢)

---

(١) فى ج و س و د و ه و ف « وقام » .

(٢) فى ج و س و د و ه و ف « دماء قومى » . وبحاشية ا ما نصه . « ابنُ =

فقال المهلَّبُ : ويحكَ ! والله إنى لأَقِيكُمْ بنفسى و وَلَدِى ، قال : جعلنى الله فداءَ الأَميرِ ، فذاكَ الذى نَكْرَهُ منك ، ما كلُّنا يُحِبُّ الموتَ ، قال : ويحكَ ! وهل عنه مَحِيصٌ ؟ قال : لا ، ولكنَّا نَكْرَهُ التَّعجيلَ ، وأنت تُقْدِمُ عليه إِقْدامًا ، قال المهلَّبُ : أَمَا سمعتَ قولَ [هُبَيرَةَ][1] الكَلْحبةِ اليَرْبُوعِيِّ :

فقلتُ لِكَأْسٍ أَلْجِمِيها فإنما نَزَلْنا الكَثِيبَ مِن زَرودَ لِنَفْزَعا ؟

قال : بلى والله قد سمِعْتُه ، ولكنْ قولى أحبُّ إلىَّ منه ؛ [وهو][2] :

فلمَّا وقَفْتُمْ غُدْوةً وعَدُوُّكُمْ إلى مُهْجتِى وَلَّيْتُ أعداءَكم ظَهْرِى

وطِرْتُ ولم أَحْفِلْ مَقالَةَ عاجزٍ يُسافِى المَنايَا بالرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ

فقال [له][3] المهلَّبُ : بئس حَشْوُ الكَتِيبةِ واللهِ أنتَ ! فإن شئتَ أَذِنْتُ لكَ فانصرفتَ إلى أهلك ؟ فقال : بل أُقِيمُ معك أيُّها الأَميرُ ، فوهبَ له المهلَّبُ وأعطاه ، فقال يمدحُه :

يَرَى حَتْماً عليــه أبو سَعيدٍ جِلادَ القومِ فى أُولَى النَّفِيرِ

= شاذانَ : يقال فرسٌ دَرُورٌ ودَرِيرٌ ، أى سريعٌ . قال امرؤُ القيس :

دَرِيرٌ كَخُذْرُوفِ الوَلِيدِ أَمَرَّهُ تَتابُعُ كفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ » .

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف . وهو اسمه ، والكلحبة لقبه ، وهو من بنى عرين بن يربوع . والبيت من أبيات له فى المفضليات للضبى (ج ١ ص ٤ — ٥ طبعة التقدم سنة ١٣٢٤ و ص ٢٠ من شرح الأنبارى) وذكرها المرصفى فى شرح الكامل (ج ١ ص ١٨) .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

(٣) الزيادة من ج و س و هـ و ف .

إذا نادَى الشُّراةُ أبا سَعيدٍ مَشَى فى رَفْلِ مُحْكَمةِ القَتِيرِ

« الرَّفْلُ » الذَّيْلُ[١] .

❊

وقال المهلَّبُ[٢] ما يَسُرُّنِي أنَّ فى عسكرِى أَلْفَ شجاعٍ بدلَ بَيْهَسِ بنِ صُهَيْبٍ ، فيقال له : أيها الأميرُ ! بيهسٌ ليس بشجاعٍ ، فيقول : أَجَلْ ، ولكنه سَديدُ الرأىِ[٣] مُحْكَمُ العقلِ ، وذو الرأىِ حَذِرٌ سَؤُولٌ ، فأنا آمَنُ أن يُغْتَفَلَ ، فلو كانَ مكانَه أُلْفُ شجاعٍ قلتُ إنهم يَنْشامونَ[٤] حتى يُحْتاجَ إليهم[٥] .

ومَطَرَتِ السماءُ ليلةً مطرًا شديدًا وهم بسابورَ ، وبين المهلَّبِ وبين الشُّراةِ عَقَبةٌ ، فقال المهلَّبُ : من يكفينا هذه العقبةَ الليلةَ ؟ فلم يَقُمْ أحدٌ ، فلبس المهلبُ سِلاحَه وقام إلى العقبة واتَّبعه ابنُه المغيرةُ . فقال رجلٌ من أصحابه يقال له عبدُالله : دعانا الأميرُ إلى ضبط العقبة ، والحَظُّ فى ذلك لنا ، فلم نُطِعْهُ ، فلبس سلاحَه واتَّبعه جماعةٌ من أهل العسكرِ فصاروا إليه ، فإذا المهلب

---

(١) « الرفل » ضبط فى كل الأصول بفتح الراء ، وهو جرّ الذيل . وأما الذيل نفسه فهو الرفل بكسر الراء .

(٢) فى ج و س و د و هـ و ف « وكان المهلب يقول » .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « يقال رأىٌ سَديدٌ وأمرٌ سَديدٌ وأَسَدُّ ، أى قاصدٌ ، وكذلك رجلٌ سَديدٌ ، من السَّدَادِ وهو قَصْدُ الطريقةِ » .

(٤) بحاشية ا ما نصه : «قال الشيخ أبو يعقوبَ : يَنْشَامُونَ أى يَنْغَابُونَ ، يَنْفَعِلُونَ ، مِنْ شَامَهُ يَشِيمُهُ إذا غابَهُ » .

(٥) فى ج و س و د و هـ و ف « حين يحتاج إليهم » ولعلها أجود .

والمغيرةُ لاثالثَ لهما ، فقالوا : انصرفْ أيها الأميرُ فنحن نكفيك إن شاء الله ، فلما أصبحوا إذا بالشُّراةِ على العقبة ، فخرج إليهم غلام من أهل عُمانَ على فرسٍ ، فجعل يحْمِل وفرسُهُ يَزْلَقُ ، وتلقّاه مُدْرِكُ بن المهلَّبِ فى جماعةٍ معه حتى رَدَّهم .

فلما كان يومُ النَّحْرِ والمهلبُ على المنبر يخطبُ الناسَ إذا الشُّراة قد تَألَّبُوا ، فقال المهلَّبُ : سبحانَ اللهِ ! أفى مثلِ هذا اليوم ؟ يامُغيرةُ اكْفِنِيهِمْ ، فخرج إليهم المغيرةُ بن المهلّبِ وأمامَه سَعْدُ بن نَجْدٍ القُرْدُوسِىُّ ، وكان سعدٌ شجاعًا متقدِّمًا فى شجاعتِه ، وكان المهلّبُ(١) إذا ظَنَّ برجلٍ أنّ نفسَه قد أعْجَبَتْه قال له : لو كنتَ سعدَ بن نَجْدٍ القُرْدُوسِىَّ ما عَدَا [وقُرْدُوسٌ من الأَزْدِ] فخرجَ أمامَ المغيرةِ ، وتبع المغيرةَ جماعةٌ من فرسانِ المهلّبِ ، فالْتَقَوْا ، وأمامَ الخوارجِ غلامٌ جامعُ السلاحِ ، مَدِيدُ القامةِ ، كريهُ الوجهِ ، شديدُ الحَمْلةِ ، صحيحُ الفُروسيَّةِ ، فأقبلَ يحْمِلُ على الناس وهو يقولُ :

نحنُ صَبَحْنَاكُمْ غَداةَ النَّحْرِ   بالخيلِ أمثالِ الوَشِيجِ تَجْرِى(٢)

---

(١) فى ج و د و ه و ف « وكان الحجاج » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « المهلّبىُّ : الوَشِيجُ القنا ، وسُمِّىَ وَشِيجًا لتداخُلِ بعضِهِ فى بعضٍ واشتباكِهِ . ويقال وشَجَتِ العُرُوقُ وشِيجًا إذا تداخل بعضها فى بعضٍ » وبحاشية بعض النسخ مانصه : « الوشيجُ الرماحُ ، شَبَّهَ الخيلَ الضُّمْرَ بها . وقال غيره : الوشيجُ أصلُ القَناةِ ، والخَطِّىُّ فروعها ، ويُنْسَبُ الخَطِّىُّ إلى قرية باليمن تُعْرَفُ بالخَطِّ ، تَنْبُتُ بها الرماحُ » .

فخرج إليه سعدُ بن نجدٍ القُرْدُوسِيُّ من الأزدِ، ثم تجَا وَلا ساعةً، فطعنه سعدٌ فقتَلَه، والْتَقى الناسُ، فصُرِعَ يومئذٍ المغيرةُ، فحامَى عليه سعدُ بن نجدٍ وذُبْيانُ السِّخْتِيَانِيُّ(١) وجماعةٌ من الفُرْسانِ حتى رَكِب، وانكشفَ الناسُ عند سَقْطةِ المُغيرةِ، حتى صاروا إلى أبيه المهلَّب، فقالوا: قُتِلَ المغيرةُ، ثم أتاه ذُبْيانُ السِّخْتِيَانِيُّ، فأخبره بسلامتِه، فأعْتَق كلَّ مملوكٍ كان بحضرتِه.

⁂

ووجَّهَ الحجاجُ الجَرَّاحَ بن عبد الله إلى المهلبِ يَسْتَبْطِئُه فى مُناجزة القومِ، وكتبَ إليه: أما بعدُ، فإنك جَبَيْتَ الخراج بالعِلَلِ، وتحصَّنْتَ بالخنادق، وطاوَلْتَ القومَ، وأنت أعزُّ ناصرًا، وأكثرُ عددًا، وما أظنُّ بك مع هذا معصيةً ولا جُبْنًا، ولكنك اتخذْتَ أُكْلاً(٢)، وكان بقاؤُهم أيسرَ عليك من قتالِهم، فناجِزْهُمْ وإلَّا أنكرتَنى، والسلامُ.

فقال المهلّبُ للجرَّاحِ: يا أبا عُقْبةَ! والله ماتركتُ حِيلةً إلّا احتلْتُها، ولا مكيدةً إلّا أعْملتُها، وما العَجبُ من إبطاء النصرِ وتَراخِي الظّفَرِ، ولكنَّ العجبَ أن يكونَ الرأيُ لمن يَملِكُه دونَ من يُبْصِرُهُ!! ثم ناهضهم

---

(١) فى ج و د و هـ «السَّخْتَيَانِى».

(٢) بحاشية ا ما نصه: «ابنُ شاذانَ: قال أبو عُمَرَ: الأُكْلُ الرِّزْقُ، يقال إنه لعظيمُ الأُكْلِ فى الدنيا، أى عظيمُ الرِّزْقِ، ومنه قيل للميِّتِ انقطَعَ أُكْلُه»

ثلاثةَ أيامٍ ، يُغادِيهم القتالَ ، ولا يزالون كذلك إلى العصرِ ، وينصرفُ أصحابُه وبهم قَرْحٌ ، وبالخوارج قَرْحٌ وقَتْلٌ ، فقال له [الجَرّاحُ][1] : قد أَعْذَرْتَ .

فكَتَبَ المهلّبُ إلى الحجاج : أتانى كتابُك تَسْتَبْطِئُنِى فى لقاء القوم ، على أنك لا تَظُنُّ بى معصيةً ولا جُبْنًا ، وقد عاتبتنى معاتبةَ الجبان ، وأوعدتنى وَعِيدَ العاصى ، فاسْئَلِ[2] الجَرّاحَ ، والسلامُ .

فقال الحجّاجُ للجرّاح : كيف رأيتَ أخاك ؟ قال والله ما رأيتُ أيها الأميرُ مثلَه قَطُّ ولا ظننتُ أن أحدًا يَبْقَى على مثلِ ما هو عليه ، ولقد شهدتُ أصحابَه أيامًا ثلاثةً يَغْدُون إلى الحربِ ثم ينصرفون عنها وهُم بها يَتطاعنون بالرماحِ ويَتَجالدون بالسيوف ويتخابطون بالعَمَدِ ، ثم يَرُوحُونَ كأن لم يصنعوا شيئًا ، رَواحَ قومٍ تلك عادتُهم وتجارتُهم . فقال [له][3] الحجاج : لَشَدَّ ما مَدَحْتَهُ أبا عُقْبَةَ ! قال : الحقُّ أَوْلَى .

وكانت رُكُب الناسِ قديمًا من الخَشَبِ ، فكان الرجلُ يُضْرَبُ رِكابُهُ فينقطعُ ، فإذا أراد الضَّربَ أو الطَّعْن لم يكن له مُعْتَمَدٌ ، فأَمر المهلّبُ فضُرِبَتِ الرُّكُبُ من الحديد ، وهو أولُ من أَمر بطبعها ، ففى ذلك يقول عِمْرانُ بن عِصامٍ العنزيُّ :

ضَربوا الدراهمَ فى إمارتِهِمْ ... وضَربتَ للحَدَثانِ والحَرْبِ

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

(٢) رسمت فى ج « فَسْئَلِ » وفى د و ف « فَسَلِ » .

(٣) الزيادة من ج و ف .

حَلَقًا تُرَى منها مَرَافِقُهم   كَمَنَاكِبِ الجَمَّالةِ الجُرْبِ[١]

⁂

وكَتَبَ الحجاجُ إلى عَتَّابِ بنِ وَرْقاءَ الرِّياحىِّ ، من بنى رِيَاحِ بنِ يربوعِ بن حَنْظَلَة ، وهو وَالِى أَصْبَهَانَ[٢] : يأمُرُه بالمسير إلى المهلَّب وأن يَضُمَّ إليه جُنْدَ عبدِ الرحمن بن مِخْنَفٍ ، فكلُّ بلدٍ تَدْخُلانِه من فتوح أهل البصرة فالمهلّبُ أميرُ الجماعة فيه ، وأنتَ على أهل الكوفة ، فإذا دخلتم بلدًا فتحُه لأهل الكوفة فأنتَ أميرُ الجماعة [فيه][٣] ، والمهلّب على أهل البصرة .

فقَدِمَ عَتَّابٌ فى إحدى جُمادَيَيْنِ من سنة سِتٍّ وسبعين على المهلّب ، وهو بسابورَ ، وهى من فُتوح أهل البصرة فكان المهلّبُ أميرَ الناسِ ،

(١) « الجمالة » فى كل نسخ الكتاب بفتح الجيم وتشديد الميم ، ويظهر أن الشيخ المرصفى لم يتجه له توجيهها ، فضبطها بكسر الجيم وتخفيف الميم ، وفسرها بالطائفة من الجمال ، وادعى أن البيت دخله الوقص وهوحذف الجزء الثانى المتحرك . ولكن فى إحدى النسخ الثابتة فى جزء التعليقات من طبعة أوروبة (ص ١٩٩) زيادة فيها بعض بياض فى الأصل ونصها : « قال أبو العباس : يقال جَمَّالَة لأصحاب الجمال ، كما يقال بَغَّالَة لأصحاب البغال ... أن يكون عَنَى أن هذه الرُّكْب الحديد تُؤَثِّرُ ... كتأثير الكَدِّ فى مناكب الحمالين ، وقد ... يَصُكُّ الراجلَ بركابه الحديدِ فيُوهِنُ مرفقَه حتى يَصيرَ كمنكبِ الجمل الأجرب ، كما قالَ :

إذا شئتَ لاقيتَنِى مُسْلِمًا   تزَاحِمُ كالجمل الأجربِ

قال : والجملُ الأجربُ يُتَوَقَّى لجربه ، كما يُتَوَقَّى هذا فى الحَرْبِ » . فقد ظهرت صحة الكلمة وتوجيهها والحمد لله .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « قال أبو يعقوبَ : هى إِصْبَهَانُ بكسر الهمزة ، إِصْبَهْ هو العسكر بالفارسية ، وإصبهانُ العسَاكرُ » . أقول : وقد ثبت عنهم فتح الهمزة وكسرها ، كما ضبطت بذلك مرارا فى أصول الكامل ، هنا وفيما مضى ، وكذلك نص عليه ياقوت وغيره .

(٣) الزيادة من د و ش و ف .

وعتابٌ على أصحاب ابنِ مِخْنَفٍ ، والخوارجُ فى أيديهم كِرْمانُ[1] ، وهم بإزاء المهلَّب بفارسَ يحاربونه من جميع النَّواحى .

فوَجَّه الحجاجُ إلى المهلَّبِ رجلين يَسْتَحِثَّانِهِ مُناجَزَةَ القوم ، أحدهما يقال له زيادُ بن عبد الرحمن ، من بنى عامر بن صَعْصَعة ، والآخرُ من آل أبى عَقِيلٍ جدِّ الحجاجِ ، فضمَّ زيادًا إلى ابنِهِ حبيبٍ ، وضمَّ الثَّقَفِيَّ إلى يزيدَ ابنِهِ ، وقال لهما : خُذَا يزيدَ وحبيبًا بالمناجزةِ ، فغَادَوُا الخوارجَ فاقتَتَلُوا أشدَّ قتالٍ ، فقُتِلَ زيادُبن عبد الرحمن ، وفُقِدَ الثَّقفىُّ ، ثم باكَروهم فى اليوم الثانى وقد وُجِدَ الثقفىُّ ، فدعَا به المهلَّبُ ودعَا بالغَدَاء ، فجعل النَّبْلُ يقع قريبًا منهم ، والثقفىُّ يَعْجَبُ من أمر المهلَّبِ ، فقال الصَّلَتَانُ العبدىُّ :

أَلَا يا اصْبَحانى قبلَ عَوْقِ العَوائقِ ... وقبلَ اخْتراطِ القوم مثلَ العَقائِقِ

غداةَ حَبيبٌ فى الحـديد يَقُودُنا ... نَخوضُ المَنَايا فى ظِلال الخَوافِقِ

حَرُونٌ إذا ما الحربُ طار شَرارُها ... وهاجَ عَجاجُ الحرب فوق البَوارقِ

فَمن مُبْلِغُ الحجاجِ أنْ أَمِينَه ... زيادًا أُطاحتْـهُ رِماحُ الأَزارقِ

قوله « وقَبْلَ اختراطِ القوم مثلَ العقائِق » يعنى السُّيوفَ و « العقائقُ » جمع عَقِيقةٍ ؛ يقال سيف كأنه عَقِيقَةُ بَرْقٍ ، أى كأنه لَمْعَةُ برقٍ ،

(١) هنا بحاشية ا مانصه : « قال الشيخ أبو يعقوبَ : هى كِرمانُ بكسر الكاف لاغيرُ ، ومعناها دِيدَانٌ جمعُ دُودٍ ، كِرْمْ دُودٌ وكِرْمان دِيدَانٌ » . أقول : وفتحها جائز أيضا كما ضبط مرارا فى الكتاب ، وانظر المعرب للجواليقى بتحقيقنا طبعة دار الكتب المصرية ص ٢٩٢

ويقال انعقّ البرقُ إذا تبَسَّمَ ، وللعقيقةِ مواضعُ ، يقال فلانٌ بعَقِيقَةِ الصَّبيِّ ، أي بالشَّعَرِ الذى وُلِدَ به لم يَحْلِقْه ، ويقال عَقَقْتُ الشيءَ أى قطعتُه ، ومِنْ ذا فلان يَعُقّ أَبَوَيْهِ ، وكذا عَقَقْتُ عن الصبى ، إذا ذبحتَ عنه ، وقال أعرابيٌّ :

أَلم تَعلَمِي يادارَ بَلْجَاءَ أَنَّنى إذا أَجْدَبَتْ أو كان خِصْبًا جَنابُها
أَحَبُّ بلادِ اللهِ ما بين مُشْرِفٍ إلىَّ وسَلْمَى أن يَصُوبَ سَحابُها[1]
بلادٌ بها عَقَّ الشبابُ تَميمتى وأولُ أرضٍ مَسَّ جِلْدِى تُرابُها

فلم يَزَلْ عَتَّابُ بن وَرْقاءَ مع المهلَّب ثمانيةَ أشهرٍ ، حتى ظَهَرَ شَبيبٌ ، فكَتَب الحجاج إلى عتّابٍ يأمره بالمصير[2] إليه ليوجِّهه إلى شبيب ، وكَتب إلى المهلَّب [يأمره][3] بأن يَرْزُقَ الجُنْدَ ، فَرزَق المهلَّبُ أهلَ البصرة ، وأَبَى أن يرزقَ أهلَ الكوفة ، فقال له عتَّابٌ : ما أنا ببارحٍ حتى ترزق أهلَ الكوفة ، فأَبَى ، فَجَرتْ بينهما غِلْظَةٌ ، فقال عتَّابٌ : قد كَان يبلُغنى أنك شجاعٌ فرأيتُك جَبانًا ، وكان يبلُغنى أنك جوادٌ فرأيتك بخيلاً ، فقال له المهلَّبُ : يا ابن اللَّخْنَاء ! فقال له عتَّابٌ : لكنَّك مُعَمٌّ مُخْوَلٌ[4] !! فغضبتْ بَكْرُ بن وائلٍ للمهلَّبِ لِلْحِلفِ ، وَوثَبَ ابنُ نُعَيْمِ بن هُبَيْرَةَ بن أبى مَصْقَلَةَ

---

(١) « مشرف » رمل بالدهناء . وفى ج و س و د و هـ « مَشْرِقٍ » .

(٢) فى ج و س و ف « بالمسير » .

(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شَاذانَ : حدثنى أبو عُمَرَ عن ثعلبٍ عن ابن الأعرابىّ قال : يقال رجل مُعَمٌّ مُخْوَلٌ ومُعِمٌّ مُخْوِلٌ : إذا كان كريمَ الأعمام والأخوال » .

على عتّابٍ فشتَمه ، وقد كان المهلَّب كارهاً للحِلفِ ، فلما رأى نُصْرةَ بكر بن وائل له سَرّهُ الحِلف واغتَبَطَ به ، ولم يزل يُؤَكِّدُه ، فغضبت تميمُ البصرةِ لعتَّاب ، وغضبت أَزْدُ الكوفةِ للمهلَّبِ .

[قال أبو العباس : تحالفَ الازْدُ وربيعةُ بعدَ الإسلام ، وادَّعَوْا أنّ ذلك كان قديمًا فى الجاهلية ، لقول النبي عليه السلام : « لاحِلْفَ فى الإسلام ، وكلُّ حِلْفٍ فى الجاهلية فلن يَزِيدَه الإسلامُ إلّا شِدَّةً » . والحِلْفُ العَهْد والصحبةُ ، والحليفُ الصاحبُ . وإنما نَهَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنِ الحِلْفِ فى الإسلام لِئَلاَّ يُعِينَ مسلمٌ على مسلمٍ ، فأمّا مامَضَى فقد ثبتَ به حُرْمةٌ لايزيدُها الإسلامُ إلّا شِدَّةً][1] .

فلما رأى ذلك المغيرةُ بن المهلَّب مَشَى بين أبيه وبين عتّابٍ ، فقال لعتَّابٍ : ياأبا ورْقاءَ ! إن الأمير يَصِيرُ لك إلى كُلّ ما تُحِبُّ ، وسأل أباه أن يَرْزُقَ أهلَ الكوفة ، فأجابه ، فَصَلَحَ الأمْرُ ، فكانت تميمٌ قاطبةً وعتّابُ بن ورقاءَ يَحْمَدُونَ المُغيرةَ بنَ المهلَّب ، وقال عتّابٌ : إنى لأعرفُ فضلَه على أبيه ، وقال رجلٌ من الأزد من بنى إيادِ بن سُودٍ :

أَلَا أَبْلِغْ بَنِي وَرْقَاءَ عنّا ... فلولا أنّنا كُنّا غِضَابًا[2]

على الشيخ المهلَّبِ إذْ جفانا ... لَلَاقَتْ خيلُكم منّا ضِرابًا

---

(١) الزيادة من بعض النسخ الثابتة فى جزء التعليقات (ص ٢٠٠) .

(٢) فى ج و س و د و ه و ف « ألا أبلغ أبا ورقاء » .

☆☆☆

وكان المهلَّبُ يقولُ لبنيه : لا تبْدَؤُهم بقتالٍ حتى يَبْدَؤُكم فيَبْغُوا عليكم ، فإنهم إذا بَغَوْا نُصِرتم عليهم .

فَشَخَصَ عَتَّابُ بن وَرْقاءَ إلى الحجاج فى سنة سبعٍ وسبعين ، فوجَّهه إلى شَبيبٍ ، فقتله شَبيبٌ ، وأقام المهلَّبُ على حربهم ، فلما انقضى من مُقامِهِ ثمانيةَ عشرَ شهرًا اختلفوا .

وكان سببُ اختلافهم أنَّ رجلاً حدَّادًا من الأزارقة كان يَعْمَلُ نِصالًا مسمومةً ، فيُرْمَى بها أصحابُ المهلَّبِ ، فرُفِعَ ذلك إلى المهلّبِ فقال : أنا أكْفيكُمُوه إن شاء الله ، فوَجَّهَ رجلاً من أصحابه بكتابٍ وألف درهمٍ إلى عسكرِ قَطَرِيٍّ فقال : ألْقِ هٰذَا الكِتابَ فى عسكرِ قَطَرِيٍّ واحْذَرْ على نفسِك ، وكان الحدَّادُ يقال له أبزَى ، فمضى الرسولُ ، وكان فى الكتاب : أما بعدُ ، فإنَّ نِصالَكَ قد وَصَلَتْ إلىَّ ، وقدوجَّهْتُ إليك بألفِ درهمٍ ، فاقْبِضْها وزِدْنَا من هذه النِّصالِ . فوَقَعَ الكتابُ والدَّراهمُ إلى قطريٍّ ، فَدَعَا بأَبزَى ، فقال: ماهذا الكتابُ ؟ قال: لا أدرى ، قال: فهذه الدراهمُ ؟ قال : ما أعْلَمُ عِلْمها ، فأَمر به فَقُتِلَ ، فجاءه عبدُ رَبِّهِ الصغيرُ مَوْلَى بنى قيسِ بن ثعْلَبَةَ فقال له : أقَتَلْتَ رجلاً على غير ثقةٍ ولا تَبَيُّنٍ ؟! فقال له : ماحالُ هذه الدراهمِ ؟ قال : يجوز أن يكون أمرُها كَذِبًا ويجوزُ أن يكون حقًّا ، فقال له قطريٌّ : قَتْلُ رجلٍ فى صلاح الناس غيرُ مُنْكَرٍ ، وللإمام أن يحكم بما رآه صلاحًا ، وليس

للرعية أن تعترض عليه ، فتنكّر له عبدُ ربِّهِ فى جماعةٍ [معه][١] ، ولم يفارقوه .

فبلغَ ذلك المهلَّبَ فدسَّ إليه رجلاً نصرانيًّا ، فقال له : إذا رأيتَ قطريًّا فاسْجُدله ، فإذا نهاكَ فقل : إنما سجدتُ لك ، ففعلَ النصرانىُّ ، فقال له قطرىٌّ : إنما السجودُ لله ، فقال : ماسجدتُ إلّا لك ، فقال له رجلٌ من الخوارج : قد عبدَكَ من دُونِ الله ، وتلاَ : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ[٢] ، أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾[٣] فقال قطرىٌّ : إنَّ هؤلاء النصارى قد عَبدُوا عيسَى ابنَ مريمَ فما ضَرَّ ذلك عيسى شيئًا ، فقام رجل من الخوارج إلى النصرانىِّ فقتَلَه ، فأنكر ذلك عليه وقال : أقَتلْتَ ذِمِّيًّا ؟! فاختلفتِ الكلمةُ فبلغَ ذلك المهلَّبَ ، فوَجَّهَ إليهم رجلاً يسألهم عن شىء تَقدَّمَ به إليه ، فأتاهم الرجلُ فقال : أرأيتم رجلين خرَجَا مُهاجِرين إليكم ، فماتَ أحدُهما فى الطريق وبلَغَكُمُ الآخرُ فامتحنتموه فلم يُجزِ المحنةَ ، ماتقولون فيهما ؟ فقال بعضُهم : أمَّا الميِّتُ فمؤمنٌ من أهل الجنة ، وأمَّا الآخرُ الذى لم يُجزِ المحنةَ فكافرٌ حتى يُجيزَها ، وقال قومٌ آخرون : بل هما كافران حتى يُجيزَا المحنةَ ، فكثُر الاختلافُ .

---

(١) الزيادة من ج و هـ و ف .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ شاذانَ : قال أبو عُبيدةَ : كلُّ شىء أَلْقيْتَهُ فى النار فهو حَصَبٌ لها . ويقال حَصَبْتُ النارَ أَحْصِبُها حَصْبًا إذا أَلْقيْتَ فِيهَا حَطَبًا » .

(٣) سورة الأنبياء آية ٩٨

☆☆☆

فخرج قطريٌّ إلى حدود إِصْطَخْرَ ، فأقام شهرًا والقومُ فى اختلافهم ، ثم أَقبلَ ، فقال لهم صالح بن مِخْراقٍ : ياقومِ ! إِنكم قد أقررتم أَعْيُنَ عدوٍّ كم وأطمعتوهم فيكم ، لِمَا ظهر من اختلافكم ، فعودوا إلى سلامة القلوب واجتماعِ الكلمة .

وخرج عَمْرُو القَنَا فنادَى : يا أيها المُحِلُّونَ ! هل لكم فى الطِّرَادِ فقد طال العهد به ؟ ثم قال :

ألم تَرَ أنَّا مُذْ ثلاثون ليـلةً قَريبٌ وأعداءِ الكتابِ على خَفْضِ

فتَهَايَجَ القومُ وأسرعَ بعضُهم إلى بعضٍ، فأَبْلَى يومئذ المغيرةُ بن المهلبِ، وصار فى وسَطِ الأزارقة ، فجعلتِ الرِّماحُ تَحُطُّهُ وتَرْفَعُه ، واعْتَوَرَتْ رأسَه السُّيوفُ ، وعليه ساعدُ حديدٍ ، فوضع يَدَه على رأسِه ، فَجَعَلت السيوفُ لاتَعملُ فيه شيئًا ، واستنقذه فُرْسانٌ من الأزدِ بعدَ أَنْ صُرِعَ ، وكان الذى صَرَعَهُ عَبيدةُ بن هِلالٍ ، وهو يقولُ :

أنا ابنُ خَيْرِ قومِهِ هلالِ شيخٍ على دِينِ أبى بِلالِ

☆ وذاكَ دِينِى آخرَ اللَّيالى ☆

فقال رجلٌ للمغيرة : كُنَّا نَعْجَبُ كيف تُصْرَعُ ، والآنَ نعجبُ كيف تَنْجُو ! !

وقال المهلَّبُ لِبَنِيهِ : إِنّ سَرْحَكم لَغارٌّ ، ولستُ آمَنُهم عليه ، أَفوَكَّلْتمْ به أحدًا ؟ قالوا : لا ، فلم يَسْتَتِمَّ الكلام حتى أتاه آتٍ فقال : إِنّ صالحَ بنَ مِخْراقٍ

قد أغارَ على السَّرْحِ ، فشَقَّ ذلك على المهلَّبِ ، وقال : كلُّ أمرٍ لا أَلِيهِ بنفسى فهو ضائعٌ ، وتَذَمَّرَ عليهم ، فقال له بِشْرُ بن المغيرة : أَرِحْ نفسَك ، فإن كنتَ إنما تريدُ مِثْلَكَ فوالله لا يَعْدِلُ أحدُنا شِسْعَ نَعْلِكَ ، فقال : خُذُوا عليهم الطَّريقَ ، فثار بِشْرُ بن المغيرة ومُدْرِكٌ والمُفَضَّلُ ابنا المهلَّبِ ، فسَبَقَ بشرٌ إلى الطريق ؛ فإذا رجلٌ أسودُ من الأزارقة يَشُلُّ السَّرْحَ[1]، أى يَطْرُدُهُ، وهو يقولُ :

نحنُ قَمَعْناكُمْ بِشَلِّ السَّرْحِ   وقد نَكَأْنَا القَرْحَ بعدَ القَرْحِ[2]

« الشَّلُّ » الطَّرْدُ . ويقال « نَكَأْتُ القَرْحَةَ » مهموزٌ ، و « نَكَيْتُ العَدُوَّ » غيرُ مهموزٍ مِنَ النِّكايَةِ ، و « نَكَأْتُ القرحةَ نَكْأً » قال ابن هَرْمَةَ :

ولا أَراها تَزالُ ظالمـــةً   تُحْدِثُ لى قَرْحَةً وتَنْكَؤُها

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِىُّ : السَّرْحُ المالُ الذى يُسامُ فى المَرْعَى من الأنعامِ ؛ يقال سَرَحَ القومُ إبلَهُمْ سَرْحًا ، وسَرَحَتِ الإبلُ سَرْحًا ، والمَسْرَحُ مَرْعَى السَّرْحِ ، ولا يُسَمَّى من المالِ سَرْحًا إلَّا مايُغْدَا بِهِ ويُراحُ ، والجمعُ السُّرُوحُ ، والسَّارِحُ يكونُ اسمًا للرَّاعى الذى يَسْرَحُ الإبلَ ، ويكونُ السَّارِحُ اسمًا للقومِ الذين لهم السَّرْحُ » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ شاذانَ : قال الخليلُ : تقولُ قَمَعْتُ فلانًا فانقمَعَ ، أى ذَلَّلْتُهُ فذَلَّ واختَبَأَ فَرَقًا . وقال مُؤَرِّجٌ : قَمَعْتُ الرجلَ أَقْمَعُهُ قَمْعًا إذا ضربتَ رأسَهُ » .

ولَحِقَهُ المفضلُ ومُدْرِكٌ ، فصاحَا برجل من طَيِّئٍ : اكْفِنَا الأَسْوَدَ ، فاعْتَوَرَهُ(١) الطَّائِيُّ وبِشْرُ بن المغيرة فقتلاه ، وأسرَا رجلاً من الأزارقة ، فقال له المهلَّبُ : مِمَّن الرجلُ ؟ قال : رجلٌ من هَمْدَانَ ، قال : إنك لَشَيْنُ هَمْدانَ ، وخَلَّى سبيلَه .

[قال](٢) : وكان عَيَّاشٌ الكِنْدِيُّ شُجاعًا بَئِيسًا(٣) . فأبْلَى يومئذٍ ، ثم مات على فراشه بعدَ ذلك . فقال المهلَّبُ : لا وَأَلَتْ نفسُ الجَبانِ بعد عَيَّاشٍ(٤) .

وقال المهلَّبُ : ما رأيتُ كهؤلاء كلَّما يُنْقَصُ منهم يَزِيدُ فيهم .

⁂

وَوَجَّهَ الحجاجُ إلى المهلَّب رجلين ، أحدُهما من كَلْب ، والآخرُ من سُلَيمٍ ، يَسْتَحِثَّانه بالقتالِ ، فقال المهلَّبُ متمثِّلاً :

وَمُسْتَعْجِبٍ مِمَّا يَرَى من أنَاتِنَا ... ولو زَبَنَتْهُ الحربُ لم يَتَرَمْرَمِ

الشِّعْرُ لأَوْسِ بن حَجَرٍ .

وقوله « زَبَنَتْهُ » يقول : دَفَعَتْهُ . و « لم يَتَرَمْرَمِ » أى لم يتحرَّكْ ، يقال : قيلَ له كذا وكذا فما تَرَمْرَمَ .

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقالُ تعاوَرَ القومُ فلانًا واعْتَوَرُوهُ ضربًا ، أى كُلَّمَا كَفَّ واحدٌ ضَرَبَهُ آخرُ . والتَّعاوُرُ التَّداوُلُ » .

(٢) الزيادة من ف .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ شاذانَ : بَؤُسَ الرجلُ يَبْؤُسُ بَأْسًا فهو بَئِيسٌ ، إذا كان شديدَ البأسِ » .

(٤) أى لانجتْ ، ومنه المآل والمَوْئِلُ ، أى المَلْجأ والمَنْجا .

وقال لِيزِيدَ : حَرِّ كْهُمْ ، فَحَرَّ كَهُمْ فَتَهَايَجُوا ، وذلك فى قريةٍ من قرى إِصْطَخْرَ ، فحَمَلَ رجلٌ من الخوارج على رجلٍ من أصحاب المهلَّبِ فطعَنه ، فشَكَّ فَخِذَهُ بالسَّرْجِ ، فقال المهلَّبُ للسُّلَمِيِّ والكَلْبِيِّ : كيف نُقاتل قومًا هذا طَعْنُهم ؟

وحَمَلَ يزيدُ عليهم وقد جاءَ الرُّقَادُ ، وهو من فرسانِ المهلَّبِ وهو أحدُ بنى مالك بن رَبيعةَ ، على فرسٍ له أَدْهَمَ ، وبه نَيِّفٌ وعشرون جراحةً ، وقد وَضَعَ عليها القُطْنَ ، فلما حَمَلَ يَزيدُ ولَّى الجمعُ وحَمَاهم فارسانِ ، فقال يزيدُ لِقيْسٍ الخُشَنِيِّ مَوْلَى العَتيكِ : مَنْ لِهٰذَيْنِ ؟ قال : أنا ، فَحَمَلَ عليهما ، فعَطَف عليه أحدُهما ، فطعنه قيسٌ الخُشَنِيُّ فصرَعَه ، وحملَ عليه الآخرُ فعانَقَه ، فسَقَطا جميعًا إلى الأرضِ ، فصاحَ قَيْسٌ الخُشَنِيُّ ، اقتُلُونا جميعًا ، فحَمَلَتْ خيلُ هؤلاء وخيلُ هٰؤلاءِ ، فحجزوا بينهما ، فإِذا مُعانِقُه امرأةٌ ! فقام قيسٌ مُسْتَحْيِيًا ، فقال له يزيدُ : أمَّا أنت فبارَزْتَها على أنها رجلٌ ، فقال : أرأيتَ لو قُتِلْتُ أما كان يُقالُ قَتَلَتْهُ امرأةٌ ؟!

وأَبْلَى يومئذٍ ابنُ المُنْجِبِ السَّدُوسِيُّ ، فقال له غلامٌ له يقال لَه خِلاجٌ : والله لَوَدِدْنَا أنَّا فَضَضْنَا عَسْكَرَهم حتى أصيرَ إلى مُسْتَقَرِّهِمْ فأَسْتَلِبَ مما هناك جاريتين ، فقال لَه مولاه : وكيف تَمَنَّيْتَ اثنتين ؟ قال : لِأُعْطِيَكَ إحداهما وآخذَ الأُخرى ! فقال ابنُ المُنْجِبِ :

أَخِلَاجُ إنَّك لن تُعانِقَ طَفْلَةً ... شَرِقًا بها الجَادِيُّ كالتِّمْثَالِ
حتى تُلاقِيَ فى الكتيبةِ مُعْلِمًا ... عَمْرَو القَنَا وعَبيدةَ بنَ هلالِ

وتَرَى المُقَعْطَرَ فى الكَتِيبة مُقْدِمًا ... فى عُصْبةٍ قَسَطُوا مع الضُّلَّالِ
أو أن يُعَلِّمَكَ المهلَّبُ غَزْوةً ... وتَرَى جبالًا قد دَنَتْ لجبالِ

⁂

قوله « طَفْلَةً » يقول ناعمة ، وإذا كسرتَ الطاء فقلت « طِفْلَة » فهي الصغيرة . و « الجادِىُّ » الزعفرانُ . و « الكَتِيبَةُ » الجيشُ ، وإنما سُمِّيَ الجيشُ كتيبةً لانضمام أهلِه بعضِهم إلى بعضٍ ، وبهذا سُمِّيَ الكتابُ ، ومنه قولهم كَتَبْتُ البغلةَ والناقةَ إذا خَرَزْتَ ذلك الموضعَ منها[1] وكَتَبْتُ القِرْبَةَ . و « المُعْلِمُ » الذى قد شَهَرَ نَفْسَه بعَلامةٍ ، إمَّا بعمامةٍ صَبيغٍ ، وإمَّا بِمُشَهَّرةٍ ، وإمَّا بغير ذلك . وكان حمزةُ بن عبد المُطَّلِب رضوانُ الله عليه مُعْلِمًا يومَ بدر بريشةِ نَعامةٍ فى صدره، وكان أبو دُجَانَةَ، وهو سِماكُ بن خَرَشَةَ الأنصارىُّ، يومَ أُحُدٍ لَمَّا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ يَأْخُذُ سيفى هذا بحَقِّهِ؟ قالوا : وما حَقُّهُ يارسول الله ؟ قال : أَنْ يُضرَبَ به فى العدوِّ حتى ينْحَنِيَ ، فقال أبو دُجَانَةَ : أنا ، فَدَفَعَه إليه ، فَلَبِسَ مُشَهَّرَةً فأَعْلَمَ بها ، وكان قومُه يَعْلَمُونَ لِما بَلَوْا منه أنه إذا لَبِسَ تلك المُشَهَّرَةَ لم يُبْقِ فى نفسِهِ غايةً ، ففعل، وخَرَجَ يمشى بين الصَّفَّيْنِ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنها لَمِشْيةٌ يُبْغِضُها اللهُ عزّ وجلّ إلَّا فى مثل هذا الموضع » . ويُرْوَى « أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سَمِعَ عليًّا صلواتُ الله عليه يقولُ لفاطمةَ ورَمَى إليها

(١) أى يجمع بين شفريها بسير لئلا ينزو الفحل عليها . فهذا تفسير لقولهم « كتبت البغلة والناقة » . وأما قوله بعد « وكتبت القربة » فانه لم يذكر تفسيره لظهوره . وهذا هو الثابت فى جميع أصول الكتاب ، ولكن طبعات مصر قدمت قوله « وكتبت القربة » قبل قوله « إذا خرزت » الخ وهو مخالف لكل النسخ المخطوطة .

بسيفِه فقال : هاكِ حَمِيدًا فاغْسِلِي عنه الدَّمَ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لَئِنْ كنتَ صدقتَ القتالَ اليومَ لقد صَدَقَهُ معك سِماكُ بنُ خَرَشَةَ وسَهلُ بن حُنَيْفٍ[1] والحٰرثُ بن الصِّمَّةِ» وفى بعض الحديث «وقَيْسُ بنُ الرَّبِيعِ» وكلُّ هؤلاءِ من الأنصارِ .

⁂

عاد الحديث إلى ذكر الخوارج

وعَمْرُو القَنَا من بنى سعدِ بن زيد مَنَاةَ بن تميمٍ ، وعَبِيدَةُ بن هلالٍ من بنى يَشْكُرَ بن بكرِ بن وائلٍ ، والذى طَعَنَ صاحبَ المهلَّبِ فى فخذه فشكَّهَا مع السَّرْجِ من بنى تميمٍ ، قال : ولا أدْرِى أعَمْرٌو هو أم غيرُه ، والمُقَعْطَرُ من عَبْدِ القَيْسِ .

وقوله « قَسَطُوا » أى جارُوا ، يقال قَسَطَ يَقْسِطُ فهو قاسِطٌ ، إذا جار ، قال اللهُ جلَّ ثناؤُه : ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[2] . ويقال أقْسَطَ يُقْسِطُ فهو مُقْسِطٌ ، إذا عَدَلَ ، قال اللهُ تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[3] .

---

(١) هنا فى هـ زيادة نصها : «وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ بايَعَهُ: أُبَايِعُكَ يارسول الله على أن لَّا أَخِرَّ إلَّا قائمًا . قوله على أن لا أَخِرَّ إلَّا قائمًا يعنى أن لا أموتَ إلاَّ مُسْلِمًا ، ومنه قولُ الله عزَّ وجلَّ : فلما خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ»

(٢) سورة الجن آية ١٥

(٣) سورة المائدة آية ٤٢ وسورة الحجرات آية ٩ وسورة الممتحنة آية ٨

وكان بَدْرُ بن الهُذَيلِ شجاعًا ، وكَان لَحَّانَةً ، فكَان إذا أَحَسَّ بالخوارج نادَى : ياخَيْلِ[1] اللهِ ارْكَبِي ! وله يقولُ القائلُ :

وإذا طَلَبْتَ إلى المهلَّبِ حاجةً عَرَضَتْ تَوَابِعُ دُونَه وعَبِيدُ

العبدُ كُرْدُوسٌ وعَبْدٌ مِثْلُه وعِلاجُ بَابِ الأَحْمَرِيْنِ شَدِيدُ

« كُرْدُوسٌ » رَجُلٌ من الأَزْدِ ، وكان حاجِبَ المهلَّبِ . وقولُه « وعِلاجُ بابِ الأَحمرين شديدُ » العربُ تُسَمِّي العَجَمَ الحمراءَ ، وقد مَرَّ تفسير ذا . وقوله « تَوَابِعُ » أرادَ به الرجالَ ، فجاز في الشِّعْرِ ، وإنما رَدَّهُ إلى أصله للضَّرورة ، وما كان من النعوت على « فَاعِلٍ » فجمعه « فاعلون » لئلَّا يلتبسَ بجمع « فاعلةٍ » التي هي نعتٌ ، وقد قلنا في هذا ولِمَ قالوا « فَوارِسُ » و « هَالِكٌ في الهَوَالِكِ » .

وكَان بِشْرُ بن المغيرة أبلَى يومئذٍ بلاءً حسنًا عُرِفَ مكانُهُ فيه ، وكانت بينَه وبينَ بَنِي المهلَّبِ جَفْوةٌ ، فقال لهم : يابَنِي عَمِّ[2] ! إنِّي قد قصَّرتُ عن شَكَاةِ العَاتِبِ[3] ، وجاوَزْتُ شَكَاةَ المُسْتَعْتِبِ ، حتى كأَنِّي لا مَوْصُولٌ ولا مَحْرُومٌ ، فاجعلوا لي فُرْجَةً أَعِشْ بها ، وهَبُونِي أَمْرَأً رَجَوْتُم نَصْرَهُ أو خِفْتُم لسانَه . فرَجَعوا له ووَصَلُوه ، وكلَّموا فيه المهلَّبَ فوصلَه .

---

(١) بكسر اللام ، كما ضبط في الأصول ، وهذا هو الشاهد على لحنه ، فان الصواب فتحها .

(٢) في ج و س و د و هـ و ف « يابني عمي » .

(٣) هنا بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِيُّ : الشَّكَاةُ والشكايَةُ وَاحِدٌ ، قال أبو ذُؤَيْبٍ

* وتلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عنك عارُها *

يقالُ شَكَوْتُه أَشْكُوهُ شَكْوًا وشِكَايَةً وشَكَاةً » .

ووَلَّى الحجاجُ كَرْدَمًا فارسَ ، فوجَّهه الحجاجُ إليها والحربُ قائمةٌ ، فقال رجلٌ من أصحاب المهلَّبِ .

ولو رَآها كَرْدَمٌ لـكَرْدَمَا   كَرْدَمَةَ العَيْرِ أَحسَّ الضَّيْغَمَا

« الضَّيْغَمُ » الأسدُ . و « الـكَرْدَمَةُ » النُّفورُ .

⁂

فكَتَبَ المهلبُ إلى الحجاج يسألُه أن يتجافَى له عن إِصْطَخْرَ ودَرَابَجِرْدَ لأرْزَاقِ الجُنْدِ ، ففعل ، و [قد][(١)] كان قَطَرِيٌّ هَدَمَ مدينةَ إِصْطَخْرَ ، لأنَّ أهلَها كانوا يكاتبون المهلَّبَ بأخباره ، وأراد مثلَ ذلك بمدينة فَسَا ، فاشتراها منه آزَاذْ مَرْدُ بنُ الهِرْبِذِ بمائةِ ألفِ درهمٍ فلم يهدمها ، فواقعه المهلَّبُ فهزمه ، ونفاه إلى كِرمانَ واتَّبعَه ابنُه المغيرة ، وقد كان دفع إليه سيفًا وَجَّهَ به الحجاجُ إلى المهلَّب ، وأَقسم عليه أن يتقلّده ، فدفعه إلى المغيرة بعد ما تقلّد به ، فرجع به المغيرةُ إليه وقد دمَّاه ، فسُرَّ المهلَّبُ بذلك وقال : مايَسُرُّنى أن أكونَ كنتُ [قد][(٢)] دفعْتُه إلى غيرك من وَلَدِى ، اكْفِنِى جِبايةَ خراجِ هاتين الـكُورتَيْنِ ، وضمَّ إليه الرُّقَادَ ، فجعلا يَجْبِيانِ ولا يُعْطِيانِ الجُنْدَ شيئًا ، ففى ذلك يقول رجلٌ منهم ، وأَحْسِبُه من بنى تميمٍ ، فى كلمةٍ له :

ولو عَلِمَ ابنُ يوسفَ ما نُلاقِى   من الآفاتِ والـكُرَبِ الشِّدَادِ
لفاضتْ عينُهُ جَزَعًا علينا   وأَصْلَحَ ما استطاعَ من الفسادِ
أَلا قُلْ للأميرِ جُزِيتَ خيرًا   أَرِحْنَا من مُغيرةَ والرُّقَادِ

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .
(٢) الزيادة من س و ف .

فما رَزَقَا الجنودَ بها قَفيزًا   وقد ساسَتْ مَطاميرُ الحَصَادِ

يقال « سَاسَ الطعامُ وأَسَاسَ » إذا وقع فيه السُّوس ، و « دَادَ وأَدَادَ » من الدُّودِ ، ورَوَى أبو زيدٍ « دِيدَ فهو مَدودٌ » فى هذا المعنى .

فحاربهم المهلَّبُ بالسِّيرْجَانِ حتى نفاهم عنها إلى جِيرَفْتَ ، واتَّبعهم فنزل قريبًا منهم ، واختلفت كلمتهم .

وكان سببُ ذلك أن عَبيدةَ بن هلالٍ اليَشْكُرِيَّ اتُّهِمَ بامرأة رجلٍ حدَّادٍ[1] رأوه مرارًا يدخل منزلَه بغير إذنٍ ، فأَتَوْا قَطَرِيًّا فذكروا ذلك له ، فقال لهم : إن عَبيدةَ من الدِّينِ بحيثُ علمتم ، ومن الجهاد بحيثُ رأيتم ، فقالوا : إنَّا لا نُقَارُّه[2] على الفاحشة ، فقال : انصرفوا ، ثم بَعَثَ إلى عَبيدةَ فأخبره وقال : إنا لا نُقارُّ على الفاحشة ، فقال : بَهَتُونى يا أمير المؤمنين ! فما تَرَى ؟ قال : إنى جامِعٌ بينَك وبينَهم ، فلا تَخْضَعْ خُضوعَ المُذْنِبِ ، ولا تَتَطاوَلْ تَطاوُلَ البَرِىء ، فجَمَعَ بينهم فتكلَّموا ، فقام عَبيدةُ فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ، لَا تَحْسِبُوهُ[3]

---

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « نجار » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقال فلان قارٌّ أى ساكنٌ ، وما يتقارُّ فى مكانه . وفى الحديث : قَارُّوا الصلاةَ ، ومعناه السكونُ » .

(٣) « تحسبوه » ضبطت فى أصول الكتاب بكسر السين ، وقراءة ابن عامر وعاصم وحمزة وأبى جعفر بفتحها ، وقرأ باقى الأربعة عشر بالكسر . وانظر إتحاف فضلاء البشر (ص ٣٢٣) . وفى اللسان « وحَسِبَ الشىءَ كائنًا يَحْسِبُه ويَحْسَبُه ، والكسر أجود اللغتين ، حِسْبانًا ومَحْسَبَةً ومَحْسِبَةً : ظَنَّهُ ، ومحْسِبَةٌ مصدر نادرٌ » .

شَرًّا لَكُمْ ، بل هو خيرٌ لكم ﴾ الآياتِ[١] فبكَوْا وقاموا إليه فاعْتَنَقُوه ، وقالوا : اسْتَغْفِرْ لَنَا . ففعَلَ ، فقال لهم عبدُ ربِّهِ الصغيرُ مولَى بنى قيس بن ثَعْلَبَةَ : واللهِ لقد خدَعكم ! فبايَعَ عبدَ ربِّه منهم ناسٌ كثيرٌ لم يُظْهِروا ولم يَجِدُّوا على عَبيدةَ فى إقامة الحدِّ ثَبَتًا .

☆

وكان قَطَرِيٌّ قد استعملَ رجلًا من الدَّهاقِينِ فظهرتْ له أموالٌ كثيرةٌ ، فأتَوْا قَطَرِيًّا فقالوا : إنَّ عمر بن الخطاب لم يكن يُقارُّ عُمَّالَهُ على مثل هذا ، فقال قَطَرِيٌّ : إنى استعملتُه وله ضِيَاعٌ وتجاراتٌ ، فأَوْغَرَ ذلك صدورَهم ، وبَلَغَ ذلك المهلَّبَ ، فقال : إن اختلافَهم أشدُّ عليهم مِنِّى .

وقالوا لقطرىٍّ : ألَا تخرُجُ بنا إلى عدوِّنا ؟ فقال : لا ، ثم خرج ، فقالوا : قد كَذَبَ وارْتَدَّ ! فاتَّبعوه يومًا فأحَسَّ بالشَّرِّ ، فدخل دارًا مع جماعةٍ من أصحابه ، فصاحوا به : يادابَّةُ اخْرُج إلينا !! فخرج إليهم ، فقال : رَجَعْتم بَعْدِى كفَّارًا ؟! فقالوا : أَوَ لَسْتَ دابَّةً ؟ قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ إلّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾[٢] ولكنك قد كفرتَ بقولك أَنَّا قد رَجَعْنا كفارًا ، فتبْ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، فشاور عَبيدةَ ، فقال : إن تُبْتَ لم يَقْبَلوا منك ، ولكن قُلْ : إنما استفهمتُ فقلتُ أَرجعتم بعدى كفارًا ، فقال ذلك لهم ، فقبلوه منه ، فرجَع إلى منزله ، وعَزَمَ أن يبايعَ الْمُقَعْطَرَ العَبْدِيَّ ، فكرهه القومُ وأَبَوْهُ فقال له صالح بن مِخْراقٍ عنه وعن القوم : ابْغِ لنا

(١) سورة النور الآيات ١١ فما بعدها .
(٢) سورة هود آية ٦

غيرَ المُقَعْطَرِ ، فقال [لهم](١) قطريٌّ : أرى طولَ العهد قد غيَّرَكُمْ ، وأنتم بصَدَدِ عَدُوِّكُمْ ، فاتقُوا اللّهَ وأقبِلُوا على شأنِكم ؛ واستعِدُّوا للقاءِ القوم ، فقال له صالح بن مِخْرَاقٍ : إنّ النّاسَ قَبْلَنَا [قد](١) سامُوا عثمانَ بنَ عفّانَ أن يَعْزِلَ عنهم سعيدَ بنَ العاصِي ففعَلَ ، ويجب على الإمام أن يُعْفِيَ الرعيةَ مما كَرِهَتْ ، فأَبَى قطريٌّ أن يعزلَه ، فقال له القومُ : إنّا خلعناك وولّينا عَبْدَ رَبِّهِ الصغيرَ ، فانفصل إلى عبد ربه أكثرُ من الشَّطر ، وجُلُّهُمْ الموالى والعَجَمُ ، وكان هناك منهم ثمانيةُ آلافٍ ، وهم القُرَّاء ، ثم ندم صالِحُ بنُ مِخْرَاقٍ فقال لقطريٍّ : هذه نَفْحَةٌ من نفحات الشيطان ، فأَعْفِنَا من المُقَعْطَرِ وسِرْ بنا إلى عدوِّكَ ، فأَبَى قطريٌّ إلَّا المُقَعْطَرَ ، فحَمَلَ فَتًى من العرب على صالِح بن مخراقٍ فطعنه فأنفذه وأجَرَّهُ الرمحَ فقتَله .

ومعنى « أَجَرَّهُ الرمحَ » طعنه وتركَ الرمحَ فيه ، قال عَنْتَرةُ :

وآخَرَ منهم أجْرَرْتُ رمحى ... وفى البَجْلِيِّ مِعْبَلَةٌ وَقِيعُ(٢)

فنَشِبَتِ الحربُ بينهم ، فتهايجُوا ، ثم انحاز كلُّ قومٍ إلى صاحبهم ، فلما كان الغدُ اجتمعوا فاقتتلوا قتالًا شديدًا ، فأَجْلت الحربُ عن ألفى قتيلٍ ، فلما كان الغدُ باكروهم القتالَ ، فلم ينتصف النهارُ حتى أَخرجت العجمُ

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : بَجْلَةُ بطنٌ من العرب ، وهم حلفاءُ لبنى سُلَيمٍ . عنده ،، وفِى البَجْلِى ،، بإسكان الجيم . قال : وبَجِيلَةُ حىٌّ من اليَمن ، وبنو بَجَالَةَ بَطْنٌ من بنى ضَبَّةَ . قال الأخفشُ . . . . » . ثم ضاع باقى الكلام لتمزيق الورق فى هذا الموضع .

الحربَ من المدينة ، وأقام عبدُ ربه بها ، وصار قَطَرِيٌّ خارجًا من مدينة جِيرُفتَ بإزائهم ، فقال له عَبيدَة : يا أميرَ المؤمنين ! إنْ أقمتَ لم آمَنْ هذه العبيدَ عليك إلّا أن تُخَنْدِقَ ، فَخَنْدَقَ على باب المدينة ، وجعل يُناوشهم .

وارتحلَ المهلَّبُ فكان منهم على ليلةٍ ، ورسولُ الحجاج معه يستحثُّه ، فقال له : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، عاجِلْهُمْ قبلَ أن يصطلحوا ، فقال المهلَّبُ : إنهم لن يصطلحوا ، ولكن دَعْهُمْ ، فإنهم سيصيرون إلى حالٍ لا يفلحون معها ، ثم دَسَّ رجلًا من أصحابه فقال : إيتِ عَسْكَرَ قَطَرِيٍّ فقلْ : إنى لم أزَلْ أرى قطريًّا يُصِيبُ الرَّأيَ حتى نزلَ منزِلَه هذا ، فبانَ خَطَؤُه ، أَيُقيمُ بين المهلَّبِ وعَبْدِ رَبِّهِ ، يغاديه هذا القتالَ ويُراوِحُهُ هذا ؟! فنَمى الكلامُ إلى قَطَرِيٍّ ، فقال: صَدَقَ ، تنَحَّوْا بنا عن هذا الموضع ، فإن اتّبعَنا المهلبُ قاتلناه ، وإن أقام على عبد ربه رأيتم فيه ماتحبون ، فقال له الصَّلْتُ بن مُرَّةَ : ياأمير المؤمنين ! إنْ كنتَ [إنما][1] تريدُ اللهَ فَأَقْدِمْ على القوم ، وإن كنت [إنما][1] تريد الدنيا فَأَعْلِمْ أصحابَك حتى يَسْتأمِنوا ، وأنشأ الصَّلت يقولُ :

قُل لِلْمُحِلِّينَ قد قَرَّتْ عُيونُكُمُ ... بفُرْقةِ القومِ والبَغْضاء والهَرَبِ
كنا أُناسًا على دِينٍ فغَيَّرَنا ... طولُ الجِدالِ وخَلْطُ الجِدِّ باللَّعِبِ[2]
ماكانَ أغْنَى رجالًا ضَلَّ سَعْيُهُمُ ... عن الجدالِ وأغناهُم عن الخُطَبِ
إنِّى لَأَهْوَنُكُمْ فى الأرضِ مُضْطَرَبًا
مالِى سِوَى فَرَسِى والرُّمْحِ مِن نَشَبِ

(١) الزيادة من ج و س و هـ و ف .

(٢) فى ج و س و د « فَفَرَّقَنَا » بدل « فغيرنا » .